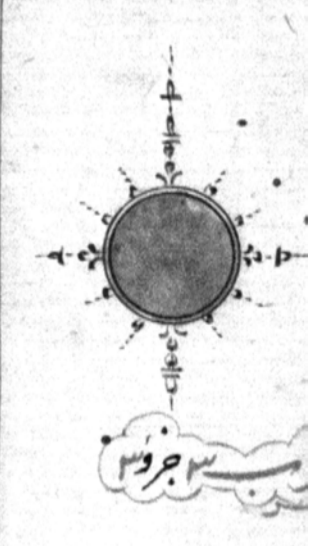
ومعلما ورسولا القراءة قرا اهل المدينه وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء والباقون بالنون وقرا نافع انى اخلق بكسر الالف والباقون انى
بالفتح وقرا اهل المدينة ويعقوب طايرا وشله فى المايدة وابو جعفر كهيئة الطاير فيهما والباقون طيرا بغير الف الحجة ومن قرا ويعلمه
عطفه على قوله ان الله يبشرك ومن قرا ونعلمه جعله على نحو نحن قدرنا بينكم الموت ومن فتح انى اخلق بجعلها بدلا من الآية كانه قال و
جيئتكم بانى اخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين احدهما الاستيناف وقطع الكلام مما قبله والآخر انه فسر الآية بقوله انى اخلق كما فسر الوعد فى
قوله وعد الله الذين امنوا بقوله لهم مغفرة وفسر المثل فى قوله كمثله آدم بقوله خلقه من تراب وهذا الوجه احسن كانه فى المعنى كمن فتح وابدل
من اية ومن قرا طايرا اراد ما انفخ فيه وما اخلقه طايرا فافرد لذلك اواراد يكون كل واحد طايرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اى اجلدوا كل
واحد منهم اللغة الحكمة والحكم بمعنى ونظيره الذلة والذل والطين معروف وطينت الكتاب جعلت عليه طينا لاختمه به وطنت البيت
تطيينا والهيئة الحال الظاهرة هاء فلان بها هيئة والنفخ معروف نفخ ينفخ نفخا والنافخة للماء والكمه العمى قال سويد بن ابى كاهل كمهت عيناه
حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع والادخار الافتعال من الدخر وجوز النحويون تذخرون بالذال الاعراب موضع يعلمه يحتمل ان يكون نصبا
بالعطف على وجيها ويحتمل ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه عطف على موضع لا جملة لها وهى قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل
هو عطف على نوحيه اليك وهذا لا يجوز لانه يخرج من معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على تقدير ويجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة
عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال عطفا على وجيها الا انه فى ذلك الوقت يكون رسولا بل بمعنى انه يرسل رسولا وقال الزجاج المعنى
يكلمهم رسولا بانى قد جيئتكم ولو قرئت بالكسر انى قد جئتكم لكان صوابا والمعنى يقول انى قد جئتكم ومعنى انى اخلق يحتمل ان يكون
خفضا ورفعا فالخفض على البدل من آية والرفع على ما ذكرناه وقيل وبما تاكلون جايز ان يكون ما هنا بمعنى الذى اى بما تاكلونه وتدخرونه
وجايز ان يكون بمعنى المصدر اى انبئكم باكلكم وادخاركم والاول اجود المعنى ويعلمه الكتاب اراد الكتابة عن ابن جريح قال
اعطى الله عيسى عليه السلم تسعة اجزاء من الخط وساير الناس جزء وقيل اراد بعض الكتب التى انزلها الله تعالى على انبيائه سوى التورية
والانجيل مثل الزبور وغيره عن ابى على الجبائى وهو اليق بالظاهر والحكمة اى الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روى عن النبى صلى الله
عليه وآله انه قال اوتيت القرآن ومثليه قالوا اراد به السنن وقيل اراد بذلك جميع ما علمه من امور الدين والتورية والانجيل
فان قيل لم افردها بالذكر مع دخولهما فى الحكمة قيل تنبيها على جلالة موقعهما كقوله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل وقطع ههنا
قصة مريم وولادتها ويأتى تمام قصتها فى سورة مريم وابتداء بقصة عيسى عليه السلم فقال ورسولا الى بنى اسرائيل وقد ذكرنا تقديره و
معناه يدور عليه انى قد جيئتكم اى قال لهم وكلمهم لما بعث اليهم بانى قد جيئتكم باية اى بدلالة وحجة من ربكم دالة على نبوتى
ثم حذف الياء فوصل الفعل انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير معناه وهذه الآية انى اقدر لكم من الطين مثل صورة الطير فانفخ
فيه اى فى الطير المقدر من الطين وقال فى موضع اخر فيها اى فى الهيئة المقدرة فيكون طيرا باذن الله تعالى وقدرته وقيل بامر الله تعالى
وانما وصل قوله باذن الله بقوله فيكون طيرا دون ما قبله لان تصوير الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فاما
جعل الطين طيرا حتى يكون لحما ودما وخلق الحيوة فيه مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فقال باذن الله ليعلم انه فعله تعالى وليس
بفعل لعيسى عليه السلم وفى التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طايرا وابرئ الاكمه اى الذى ولد اعمى عن ابن عباس
وقتادة وقيل هو الاعمى عن الحسن والسدى والابرص الذى به وضح قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى خمسون الفا من اطاق منهم
ان يبلغه بلغه ومن لم يطق اتاه عيسى يمشى اليه وانما كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان واحيى الموتى باذن الله انما اضاف الاحياء الى
نفسه على وجه المجاز والتوسع ولان الله تعالى كان يحيى الموتى عند دعائه وقيل انه احيا اربعة انفس عازر وكان صديقا وكان قد
مات منذ ثلثة ايام فقام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره ثم قال اللهم رب السموات السبع ورب الارضين السبع انك ارسلتنى الى بنى
اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم انى احيى الموتى فاحى عازر قال فقام عازر ... ح من قبره وبقى وولد له وابن العجوز مر به ميتا على
سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع الى اهله وبقى وولد له وابنة العاشر قيل له اتحييها وقد
ماتت امس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعا عليه السلم باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب

نصف راسه فقال قد قامت القيمة فقال لا ولكني دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان وكان سام بن نوح
عليه السلم قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله سبحانه ففعل وقال الكلبي
كان عيسى عليه السلم يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وانما خص عيسى عليه السلم بهذه المعجزات لان الغالب في زمانه كان الطب فاراهم الله
سبحانه الايات من جنس ما هم عليه ليكون المعجز اظهر كما ان الغالب في زمان موسى عليه السلم السحر فاتاهم من جنس ذلك بما اعجزهم عن
الاتيان بمثله وكان الغالب في زمان نبينا صلى الله عليه وآله البيان والبلاغة والفصاحة فاراهم الله سبحانه المعجزة بالقرآن الذي
بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون ابلغ في باب الاعجاز بان ياتي كلام امم الانبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن
الاتيان بمثله اذ لو اتاهم بما لا يعرفونه لكان يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر غير انهم لا يهتدون اليه وانبئكم اي اخبركم بما تاكلون
اي بالذي تاكلونه وتدخرون وكان يقول للرجال تغديت بكذا وكذا ورفعت الى الليل كذا ان في ذلك اي فيما ذكرت لكم لاية لكم اي حجة
ومعجزة ودلالة لكم ان كنتم مومنين بالله اذا كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة الا لمن آمن بالله لان العلم بالمرسل لابد ان يكون قبل العلم
بالرسول وفي الآية دلالة على ان عيسى عليه السلم كان مبعوثا الى جميع بني اسرائيل وقوله انى اخلق يدل على ان العبد يحدث ويفعل ويخلق
خلافا للقول المجبرة لكن الخالق على الاطلاق هو الله تعالى قوله تعالى وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ
عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ آيتان اللغة الفرق بين التصديق و
التقليد ان التصديق لا يكون الا فيما برهن صاحبه والتقليد قد يكون حاصله فيما لم يبرهن ولهذا لا تكون مقلدين للنبي صلى الله عليه وآله
وان كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق في الفعل بتحسينه والتحريم هو حظر الفعل بتقبيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج الاعراب
مصدقا نصب على الحال وتقديره وجئتكم مصدقا لان اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يحب ومعرفا له ولا يكون عطفا على وجيها
ولا رسولا لقوله لما بين يدي ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبيدة اراد بقوله بعض الذي حرم عليكم كل الذي حرم واستشهد بقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها قال معناه او يعتلق كل النفوس وانكر الزجاج ذلك وقال معناه او يعتلق نفسي
حمامها وخطّى ابو عبيدة من وجهين احدهما ان البعض لا يكون بمعنى الكل والثاني انه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لانه يدخل الكذب
والظلم والقتل في ذلك المعنى ومصدقا لما بين يدي اي لما انزل قبلي من التورية وما فيه من البشارة بي ومن ارسل قبلي من الانبياء ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم هذا معطوف على معنى قوله مصدقا وتقديره ولاصدق ما بين يدي من التورية ولاحل لكم كما تقول جئته
معتذرا ولاجتلب عطفه وقيل ان الذي احل لهم لحوم الابل والشروب وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حرم على بني اسرائيل
عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل احل لهم السبت عن الكلبي وجئتكم باية من ربكم اي بحجة تشهد بصدقي فاتقوا الله في
مخالفتي وتكذيبي واطيعون كما امركم الله تعالى به ان الله ربي وربكم اي مالكي ومالككم وانما قال ذلك ليكون حجة على النصارى في قولهم
المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوني اليه فانا عبد له كما انتم عبيد له فاعبدوه وحده هذا صراط مستقيم اي عبادته دين مستقيم وقد استوفينا
الكلام في الرب والصراط المستقيم في سورة الحمد قوله تعالى فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ
ثلث آيات اللغة الاحساس الادراك بالحاسة واحس القتل لانه يحس بالمر واحس العطف لاحساس الرقة على صاحبه والانصار
جمع نصير كالاشراف جمع شريف واصل الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه قال الحرث
بن حلزة فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح يعني النساء لبياضهن والشاهد وهو المخبر بالشيء عن مشاهدة حقيقة
وقد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق اي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد اي معد للشهادة والمكر اصله
الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه والممكورة من النساء الملتفة الخلق وحد المكر خب يختدع به العبد لا يقاعه
في الضر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد تكون لاظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الاضرار بالعبد والمكر حيلة على العبد
بوقعه في مثل الرهن الاعراب قيل ان الى بمعنى مع كقولهم الذود الى الذود وقال الزجاج لا يجوز ان يقال ان بعض الحروف من حروف



ب ٣ جزو ٣

المعانى بمعنى الاخر وانما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه بمع افاد هذا المعنى لا ان الى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يجز ان تقول ذهب زيد مع عمرو
لان الى غاية ومع الضم الشئ والحروف قد تتقارب فى الفايدة فيظن الضعيف العلم باللغة ان معناهما واحد من ذلك قوله عز وجل ولاصلبنكم
فى جذوع النخل ولو كانت على هنا لادت هذه الفايدة واصل فى انما هو للوعاء واصل على لما على الشئ تقول التمر فى الجراب لو قلت على الجراب
لم يصح ولكن جاز فى جذوع النخل لان الجذع مشتمل على المصلوب لانه قد اخذه من اقطاره ولو قلت زيد على الجبل او فى الجبل لصح لان الجبل
قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف فلما احس اى وجد وقيل ابصر ورأى وقيل علم عيسى منهم الكفر وانهم لا يزدادون الا
اصرارا على الكفر بعد ظهور الايات والمعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعريف عما فى اعتقادهم من نصرته فقال من انصارى الى الله
وقيل انه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصارى الى الله فيه اقوال احدها ان معناه من اعوانى على الكفار مع معونة الله عن السدى وابن
جريج والثانى ان معناه من انصارى فى السبيل الى الله عن الحسن لانه دعاهم الى سبيل الله والثالث معناه من اعوانى الى اقامة الدين المودى
الى الله اى الى نيل ثوابه كقوله انى ذاهب الى ربى ومما يسال على هذا ان عيسى انما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للحماية
من الكافرين الذين ارادوا قتله عند اظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل ايضا يجوز ان يكون طلب النصرة للتمكين من اقامة الحجة وليتميز
الموافق من المخالف وقال الحواريون واختلف فى تسميتهم بذلك على اقوال اولها انهم سموا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير وثانيها
انهم كانوا قصارين يحورون الثياب عن ابن ابى نجيح عن ابى ارطاة وثالثها انهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس والسدى ورابعها
انهم كانوا خاصة الانبياء عن قتادة والضحاك وهذا اوجه لانهم مدحوا بهذا الاسم كانه ذهب الى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الابيض بالتحوير
ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الزبير ابن عمتى وحوارى من امتى وقال الحسن الحوارى الناصر والحواريون الانصار وقال الكلبى
وابو روق الحواريون اصفياء عيسى وكانوا اثنى عشر رجلا وقال ابو عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا بينين عليهم على اثر العبادة
ونورها وحسنها كما قال سيماهم فى وجوههم من اثر السجود نحن انصار الله معناه نحن اعوان الله على الكافرين من قومك اى اعوان رسول الله
او اعوان دين الله امنا بالله اى صدقنا انه واحد لا شريك له واشهد يا عيسى بانا مسلمون اى كن لنا شهيدا عند الله اشهد على اسلامهم
لان الانبياء شهداء الله على خلقه يوم القيمة كما قال سبحانه ويوم نبعث من كل امة شهيدا ربنا اى يا ربنا امنا بما انزلت على عيسى واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين اى فى جملة الشاهدين بجميع ما انزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كراماتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد وامته عن
ابن عباس وقد سماهم الله شهداء بقوله ليكونوا شهداء على الناس اى من الشاهدين للحق عندك هذا كله حكاية قول الحواريين وبعضهم
اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا رسول الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان او جبلا فيخرج لكل انسان منهم رغيفين
ياكلهما واذا عطشوا قالوا يا رسول الله عطشنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان او جبلا فيخرج ماء فيشربون فقالوا يا روح الله من
افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد امنا بك واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون
الثياب بالكراء وقوله ومكروا يعنى كفار بنى اسرائيل الذين عناهم بقوله فلما احس عيسى منهم الكفر ومعناه دبروا لقتل عيسى عليه السلم
ومكر الله اى جازاهم على مكرهم وسمى الجزاء على المكر مكرا كما قال الله يستهزئ بهم وجاء فى التفسير ان عيسى عليه السلم بعد اخراج قومه اياه
وامه من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به فذلك مكرهم به ومكر الله
تعالى بهم القاؤه الشبه على صاحبهم الذى اراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى الى السماء وقال ابن عباس لما اراد ملك بنى
اسرائيل قتل عيسى عليه السلم دخل خوخة وفيها كوة فرفعه جبرائيل عليه السلم من الكوة الى السماء فقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل
عليه فاقتله فدخل الخوخة فالقى عليه شبه عيسى عليه السلم فخرج الى اصحابه يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى
وقال وهب اسروه ونصبوا خشبة ليصلبوه فاظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فاخذوا رجلا يقال له يهودا وهو
الذى دلهم على المسيح وذلك ان عيسى عليه السلم جمع الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك
ويبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود فى طلبه فاتى احد الحواريين اليهم وقال ما تجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلثين
درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عليه شبه عيسى عليه السلم لما دخل البيت ورفع عيسى فاخذ فقال انا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا

الرسول

الى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام فلما صلب شبه عيسى واتى على ذلك سبعة ايام قال الله عز وجل لعيسى اهبط الى مريم ثم
لتجمع لك الحواريين وتبثهم فى الارض دعاة فهبط عليها واشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة ثم رفعه الله سبحانه و
تلك الليلة هى الليلة التى يدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله عز وجل
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اى افضل المعاقبين وقيل انصف الماكرين واعدلهم لان مكرهم ظلم ومكره عدل وانصاف وانما اضاف
الله سبحانه المكر الى نفسه على مزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثانى ليس باعتداء وانما
هو جزاء وهذا احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة فالمجانسة مثل قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه
يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة قوله تعالى اِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى اِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ اِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا اِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ ثُمَّ اِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَاَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٥ آية العامل فى قوله
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذاك اذ قال الله وتمثيله ذاك واقع اذ قال الله ثم حذفت واقعا
وهو العامل اذا واقيمت اذ مقامه وعيسى فى موضع الضم لانه منادى مفرد معرفة لكن لا يبين فيه الاعراب لانه منقوص وهو لا ينصرف
لاجتماع العجمة والتعريف المعنى لما بين سبحانه ما هم به قوم عيسى من المكر به وقتله عقبه بما انعم عليه من لطف التدبير وحسن التقدير
فقال اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك قيل فى معناه اقوال احدها ان المراد انى قابضك برفعك من الارض الى السماء من غير وفاة
بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبى وغيرهم وعلى هذا القول يكون للمتوفى تاويلان احدهما انى رافعك الى وافيا
لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته اى اخذته تاما والاخر انى مسلمك من قولهم توفيت منه كذا اى تسلمته وثانيها
انى متوفيك وفاة نوم ورافعك الى فى النوم عن الربيع قال رفعه نائما ويدل عليه قوله وهو الذى يتوفاكم بالليل اى ينيمكم لان
النوم اخو الموت وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الاية وثالثها انى متوفيك وفاة موت عن ابن عباس ووهب
قالا اماته ثلث ساعات فاما النحويون فيقولون هو على التقديم والتاخير اى رافعك ومتوفيك لان الواو لا يوجب الترتيب بدلالة
قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر والنذر قبل العذاب وبدلالة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروى عن الضحاك ويدل
عليه ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيمة وقد صح عنه صلى الله عليه وآله انه قال
كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخارى ومسلم فى الصحيح فعلى هذا يكون تقديره انى قابضك بالموت بعد نزولك
من السماء وقوله ورافعك الى فيه قولان احدهما رافعك الى سمائى وسمى رفعه الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء ويعنى رافعك
الى كرامتى كما قال حكاية عن ابرهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين اى الى حيث امرنى ربى سمى ذهابه الى الشام ذهابا الى ربه وقوله
ومطهرك من الذين كفروا فيه قولان احدهما مطهرك باخراجك من بينهم وانجائك منهم فانهم ارجاس وجعل مقامه فيما بينهم كملاقاة
النجاسة من حيث كان يحتاج الى مجاورتهم ومحاوراتهم والاخر ان تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذى كانوا هموا به لان
ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائى وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة معناه وجاعل الذين امنوا
فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك فى العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل فى البرهان والحجة والمعنى به النصارى قال ابن زيد ولهذا
اليهود لا ترى حيث كانوا الا اذل من النصارى ولهذا زال الملك عنهم وان كان ثابتا فى النصارى فى بلاد الروم وغيرها فهم اعز منهم
وفوقهم الى يوم القيمة قال الجبائى فيه دلالة على انه لا يكون لليهود مملكة الى يوم القيمة كما للروم وقيل المعنى به امة محمد صلى الله عليه وآله
وانما سماهم تبعا وان كانت لهم شريعة على حدة لانه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى اما الصورة فانه يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده
واما المعنى فلان نبينا صلى الله عليه وآله كان مصدقا بعيسى وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا وساير
الانبياء متحدة فى ابواب التوحيد فعلى هذا هو متبع اذا كان معتقدا اعتقاده وقائلا بقوله وهذا القول اوجه لان فيه ترغيبا فى
الاسلام ودلالة على امة محمد صلى الله عليه وآله يكونون ظاهرين الى يوم القيمة وان من دعاه الها لا يكون فى الحقيقة تابعا له ثم الى
مرجعكم اى مصيركم فاحكم بينكم اى فاقضى بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر عيسى قوله تعالى فَاَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا

خمس

شديدا

شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ •
ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ • ثلث آيات القراءة قرا حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم بالياء والباقون بالنون الحجة
من قرا بالنون فهو مثل فاعذبهم وحسنه قوله ذلك نتلوه ومن قرا بالياء فلان ذكر الله قد تقدم فى قوله اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك او
صار من لفظ الخطاب الى الخبر كقوله فاولئك هم المضعفون بعد قوله وما اتيتم من زكوة الاعراب نتلوه عليك فى موضع رفع بانه خبر ذلك
ويجوز ان يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذى فعلى هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذى نتلوه من قوله من الآيات فى موضع
رفع بانه خبره وانشدوا فى مثله عدس ما لعباد عليك امارة امنت وهذا تحملين طليق المعنى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى
الدنيا والآخرة عذابهم فى الدنيا اذلالهم بالقتل والاسر والخسف والجزية وكلما فعل بهم على وجه الاستحقاق والاهانة وفى الآخرة
عقاب الابد فى النار وما لهم من ناصرين اى اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم يوفر عليهم ويتم اجورهم اى جزاء اعمالهم والله لا يحب الظالمين اى لا يريد تعظيمهم واثابتهم ولا يرحمهم ولا يثنى عليهم وهذه
الآية حجة على من قال بالاحباط لانه سبحانه وعد بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط ذلك اشارة الى الاخبار
عن عيسى عليه السلم وزكريا ويحيى وغيرهم نتلوه عليك نقرؤه ونكلمك به وقيل تأمر جبرائيل ان يتلوه عليك عن الجبائى من الآيات
اى من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذا اعلمتهم بما لا يعلمه الا قارئ كتاب او معلم ولست بواحد منهما فلم يبق الا انك
قد عرفته من طريق الوحى والذكر الحكيم والقرآن المحكم وانما وصفه بانه حكيم لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة
دليلا لانها بما فيها من البيان كانها تنطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل فى الحقيقة هو الدال قوله تعالى إِنَّ مَثَلَ عِيسَى
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ • الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ • فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ •
ثلث آيات اللغة المثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثانى سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت اتعالى اى جئت
واصله المجئ الى ارتفاع الا انه كثر فى الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل فى الابتهال قولان احدهما انه بمعنى الالتعان فافتعلوا بمعنى
تفاعلوا كقولهم استوروا بمعنى تشاوروا وبهله الله لعنه وعليه بهلة الله اى لعنة الله والآخر انه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد
نظر الدهر عليهم فابتهل اى دعا عليهم فابتهل اى دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن وهو المباعدة من رحمة الله عقابا على معصيته و
لذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل او بهيمة او نحوها الاعراب قوله خلقه من تراب لا موضع له من الاعراب لانه
لا يصح ان يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا له لانه ماض فهو متصل به غير متصل فى اللفظ بعلامة من علامات الاتصال
فيكون رفع على تقديره فهو يكون والحق رفع لانه خبر مبتداء محذوف تقديره هو ذلك الاخبار فى امر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك
لدلالة شاهد الحال عليه كما تقول الهلال والله اى هذا الهلال والله اى هذا الهلال وقيل الحق مبتداء وخبره فى قوله من ربك النزول
قيل نزلت الآيات فى وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله هل رايت ولدا من غير ذكر فنزل عليه ان مثل عيسى عند الله
الآيات فقراها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول الله الى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما
رجعوا الى رحالهم قال لهم الاسقف انظروا محمدا فى غد فان غدا بولده واهله فاحذروا مباهلته وان غدا باصحابه فباهلوه فانه على غير
شئ فلما كان من الغد جاء النبى صلى الله عليه وآله آخذا بيد على بن ابى طالب عليه السلم والحسن والحسين عليهما السلم بين يديه يمشيان وفاطمة
عليها السلم تمشى خلفه وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما راى النبى صلى الله عليه وآله قد اقبل بمن معه سال عنهم فقيل له هذا ابن
عمه وزوج ابنته واحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من على وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله فجثا
على ركبتيه فقال ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة فكع ولم يقدم على المباهلة فقال له السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة
فقال لا انى ارى رجلا جريا على المباهلة وانا اخاف ان يكون صادقا ولئن كان صادقا لم يحل علينا الحول وفى الدنيا نصرانى يطعم الماء
فقال الاسقف يا ابا القسم انا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على الفى حلة

عشر

من حلل الاواقي قيمة كل حلة اربعون درهما فما زاد او نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلثين درعا وثلثين رمحا وثلثين فرسا ان كان
باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم كتابا وروي ان الاسقف قال لهم اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا عن مكانه
لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا كلهم قالوا ولما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب
الا يسيرا حتى رجعا الى النبي صلى الله عليه وآله واهدى العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلين واسلما [illegible] ثم رد الله سبحانه على النصارى
قولهم المسيح انه ابن الله فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي مثل عيسى في خلق الله اياه من غير اب كمثل آدم في خلق الله اياه من غير اب
ولا ام فليس هو بابدع ولا اعجب من ذلك فكيف انكروا هذا واقروا بذلك ثم بين كيف خلقه اي انشاه من تراب وهذا اخبار عن آدم عليه السلم
ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق قبله احدا من الريح كما خلق آدم عليه السلم من التراب ولم يخلق قبله احدا من التراب ثم قال له اي
لآدم وقيل لعيسى كن اي كن حيا بشرا سويا فيكون اي فكان في الحال على ما اراد وقد مر تفسير هذه الكلمة فيما قيل في سورة البقرة مشروحا
وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لان الله تعالى احتج به على المشركين ودل على جواز خلق عيسى من غير اب بخلقه آدم من
غير اب ولا ام الحق من ربك اي هذا هو الحق من ربك اضافه الى نفسه تاكيدا وتعليلا اي هو الحق لانه من ربك فلا تكن ايها السامع من
الممترين وقد مر تفسيره في سورة البقرة فمن حاجك معناه فمن جادلك وخاصمك يا محمد فيه اي في قصة عيسى من بعد ما جاءك من
العلم اي من البرهان الواضح على انه عبدي ورسولي عن قتادة وقيل معناه فمن حاجك في الحق والهاء فيه عائد الى قوله الحق من ربك فقل
يا محمد لهؤلاء النصارى تعالوا اي هلموا الى حجة اخرى ماضية فاصلة تميز الصادق من الكاذب ندع ابناءنا وابناءكم اجمع المفسرون
على ان المراد بابنائنا الحسن والحسين قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لان المباهلة لا تجوز
الا مع البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن ونقصان عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وانما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الاحكام
الشرعية وقد كانت سنهما عليهما السلم في تلك الحال سنا لا يمتنع معها ان يكونا كاملي العقل على ان عندنا يجوز ان يخرق الله العادات
للائمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانة لهم عمن سواهم ودلالة
على مكانهم من الله واختصاصهم به ومما يؤيده من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وآله ابناي هذان امامان قاما او قعدا ونساءنا اتفقوا
على ان المراد به فاطمة عليها السلم لانه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء ويعضده ما جاء
في الخبر ان النبي صلى الله عليه وآله قال فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها وقال عليه السلم ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى
لرضاها وقد صح عن حذيفة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول اتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة او نساء
امتي وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت اسر النبي الى فاطمة شيئا فضحكت فسالتها فقالت قال لي الا ترضين ان تكوني سيدة
نساء هذه الامة او نساء المؤمنين فضحكت لذلك ونساءكم اي من شئتم من نسائكم وانفسنا يعني عليا عليه السلم خاصة ولا يجوز ان
يكون المعني به النبي صلى الله عليه وآله لانه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان نفسه وانما يصح ان يدعو غيره واذا كان قوله وانفسنا لا بد
ان يكون اشارة الى غير الرسول وجب ان يكون اشارة الى علي عليه السلم لانه لا احد يدعي دخول غير امير المؤمنين علي عليه السلم وزوجته
وولديه في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه الى حيث لا يبلغه احد اذ جعله الله سبحانه نفس الرسول
صلى الله عليه وآله وهذا ما لا يدانيه فيه احد ولا يقاربه ومما يعضده من الروايات ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن
بعض اصحابه فقال له قائل فعلي فقال انما سالتني عن الناس ولم تسالني عن نفسي وقوله عليه السلم لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض عليا
فانه مني وانا منه ان الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة وقوله عليه السلم باحد وقد ظهر من نكايته في المسلمين و
مواساته اياه بنفسه حين قال جبرائيل يا محمد ان هذه هي المواساة فقال يا جبرائيل انه مني وانا منه فقال جبرائيل عليه السلم وانا منكما
وانفسكم يعني من شئتم من رجالكم ثم نبتهل اي نتضرع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذب فنجعل لعنة الله
على الكاذبين منا وفي هذه الآية دلالة على انهم علموا ان الحق مع النبي صلى الله عليه وآله لانهم امتنعوا من المباهلة واقروا بالذل والخزي

وانفاد

والانقاد والقبول الجزية فلولم يعلموا ذلك لباهلوا وكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله فى الحال ولو لم يكن النبى صلى الله عليه وآله متيقنا
بنزول العقوبة بعدوه دونه لوباهلوا لما ادخل اولاده وخواص اهله فى ذلك مع شدة اشفاقه عليهم قوله تعالى اِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ
وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اللّٰهُ وَاِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ • آيتان اللغة القصص القصة فعل بمعنى مفعول ع ١٣
كالنقص والقبض والقصص جمع القصة يقال اقتصصت الحديث وقصصته قصا وقصصا رويته على جهته وهو من اقتصصت الاثر اى
اتبعته ومنه اشتق القصاص والقصص الحق الذى تتابع فيه المعانى والتولى عن الحق اعتقادلانه كالادبار عنه بعد الاقبال عليه واصل
التولى كون الشئ يلى غيره من غير فصل بينه وبينه والافساد ايقاع الشئ على خلاف ما توجبه الحكمة والاصلاح ايقاعه على ما توجبه الحكمة
والفرق بين الفساد والقبيح ان الفساد تغيير عن المقدار الذى تدعوا اليه الحكمة وليس كذلك القبيح لانه ليس فيه معنى المقدار وانما
هو ما زجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعوا اليه الحكمة الاعراب ما من اله الا الله دخول من فيه لعموم النفى لكل اله وانما افادت من
هذه المعنى لان اصلها لابتداء الغاية الى انتهاء وقوله لهو يجوز ان يكون هو فصلا وتسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له موضع ويكون
القصص خبران ويجوز ان يكون ابتداء والقصص خبره والجملة خبران المعنى ان هذا لهو القصص الحق معناه ان هذا الذى اوحينا اليك
فى امر عيسى وغيره لهذا الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الامر فهو معاند وما من اله الا الله اى وما لكم احد يستحق اطلاق
اسم الالهية وان عيسى ليس باله كما زعموا وانما هو عبد الله ورسوله ولو قال ما اله الا الله بغير من لم تفد هذا المعنى وان الله لهو العزيز اى هو
القادر على الكمال الحكيم فى الاقوال والافعال والتقدير والتدبير فان تولوا اى فان اعرضوا عن اتباعك وتصديقك بما اتيت به من
الدلالة والبينات فان الله عليم بالمفسدين اى بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على فسادهم وانما ذكر ذلك على جهة الوعيد والا فانه
سبحانه عليم بالصالح والمفسد جميعا ونظيره قول القائل لغيره انا اعلم بشرك وفسادك وقيل معناه انه عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق
وبانهم لا يقدمون على مباهلتك لمعرفتهم بنبوتك قوله تعالى قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا اِلٰى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اَلَّا نَعْبُدَ
اِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا اَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِاَنَّا مُسْلِمُونَ • آية اللغة
قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال فلذلك تقول العرب للقصيدة كلمة ويروى ان حسان بن ثابت كان اذا قيل
له انشدنا قال هل انشد كلمة الحويدرة يعنى قصيدته التى اولها بكرت سمية بكرة فتمتع ومعنى سواء اى عدل وسوى وسوى بمعناه
قال زهير اروني خطة لا ضيم فيها يسوى بيننا فيها السواء فان ترك السواء فليس بينى وبينكم بنى حصن بقاء وقيل سواء مستو وهو
مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه الى كلمة مستوية وهو عند الزجاج اسم ليس بصفة وانما جر بتقدير ذات سواء وجوز نصبه
على المصدر الاعراب موضع ان لا نعبد فيه وجهان احدهما ان يكون فى موضع جر على البدل فى كلمة فكانه قال تعالوا الى ان لا
نعبد الا الله والآخر ان يكون فى موضع رفع على تقدير هى ان لا نعبد ولو قرئ ان لا نعبد بالرفع كان ان هى المخففة من الثقيلة
وكانه قال انه لا نعبد الا الله كقوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا وعلى هذا تثبت النون فى الخط ويكون ان من العوامل فى الاسماء
وعلى الاول يكون من العوامل فى الافعال ولا تثبت النون فى الخط ولو قرئ ان لا نعبد الا الله بالاسكان فان مفسرة كالتى
فى قوله ان امشوا وكلا نعبد نهى النزول قيل فى سبب نزول الآية اقوال احدها انها نزلت فى نصارى نجران عن الحسن والسدى
وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير وثانيها انها نزلت فى يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا ايضا وثالثها
انها فى الفريقين من اهل الكتاب على الظاهر عن ابى على الجبائى وهذا اولى لعمومه المعنى لما تم الحجاج على القوم دعاهم سبحانه
الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كان على الحق فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب تعالوا اى هلموا الى كلمة سواء اى عدل بيننا
وبينكم يعنى عادلة لا ميل فيها كما يقال رجل عدل اى مادل لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيما ترك العبادة لغير الله
وهى ان لا نعبد الا الله لان العبادة لا تحق الا له ولا نشرك به فى العبادة شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اختلف
فى معناه فقيل معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى ربا فانه كان بعض الناس وقيل ان معناه ولا تتخذوا الاحبار اربابا بان تطيعهم طاعة
الارباب كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وروى عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال ما عبدوهم من دون الله

ولکنهم حرموا لهم حلالا واحلوا لهم حراما وکان ذلک اتخاذهم اربابا من دون الله وقد روی ایضا انه لما نزلت هذه الآیة قال عدی بن حاتم
ماکنا نعبدهم یا رسول الله فقال علیه السلم اماکانوا یحلون لکم ویحرمون فتاخذون بقولهم فقال نعم فقال النبی صلی الله علیه وآله هو ذاک
فان تولوا ای اعرضوا عن الاقرار لله بالعبودیة وان احدا لا یستحق العبادة غیره فقولوا انتم ایها المسلمون مقابلة لاعراضهم عن الحق وتجدید
الاقرار ومخالفة لهم اشهدوا بانا مسلمون ای مخلصون مقرون بالتوحید وقیل منقاد مستسلمون مقابلة لاعراضهم عن الحق وتجدید الاقرار
ومخالفة لهم اشهدوا بانا مسلمون ای مخلصون مقرون بالتوحید وقیل منقاد مستسلمون لما اتی به النبی صلی الله علیه وآله والانبیاء
من الله وقیل مقیمون علی الاسلام وهذا تادیب من الله تعالی لعبده المومن وتعلیم له کیف یفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة
لیعلم المبطل ان مخالفته لا تؤثر فی حقه ولیدل علی ان الحق یجب اتباعه من غیر اعتبار بالقلة والکثرة قوله تعالی یا اهل الکتاب
لم تحاجون فی ابراهیم وما انزلت التوریة والانجیل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فیما لکم به علم فلم
تحاجون فیما لیس لکم به علم والله یعلم وانتم لا تعلمون آیتان القراءة قرا اهل الکوفة ها انتم بالمد والهمزة وقرا اهل المدینة وابو
عمرو بغیر همز ولا مد الا بقدر خروج الالف الساکنة وقرا ابن کثیر ویعقوب بالهمز والقصر بغیر مد فی وزن هعنتم وقرا ابن عامر بالمد والهمز
الحجة الکلام فی الهمز والمد کثیر والوجه ان من خفف فعلی الاصل لانهما حرفان ها وانتم من لم یمد ولم یهمز فللتخفیف من غیر اخلال اللغة
الفرق بین الحجاج والجدال ان الحجاج یتضمن اما حجة او شبهة فی صورة الحجة والجدال هو فتل الخصم الی المذاهب بحجة او شبهة او ایهام
فی الحقیقة لان اصله من الجدل وهو شدة الفتل والحجة هی البیان الذی یشهد فی صحة المقالة وهو والدلالة بمعنی واحد
ها انتم للتنبیه وقد کثر التنبیه فی هذا ولم یکثر فی ها انت لان اسم من حیث لا یصلح لکل حاضرة فی الجملة وانما هو للمخاطب وخبر انتم یجوز
ان یکون حاججتم علی ان یکون هؤلاء عطف بیان ویجوز ان یکون خبره هؤلاء علی ان اولاء بمعنی الذین وما بعده صلة له النزول
قال ابن عباس وقتادة ان احبار الیهود والنصاری نجران اجتمعوا عند رسول الله صلی الله علیه وآله فتنازعوا فی ابراهیم فقالت
الیهود ماکان الا یهودیا وقالت النصاری ماکان الا نصرانیا فانزل الله هذه الآیة المعنی یا اهل الکتاب لم تحاجون فی ابراهیم
ای لم تنازعون وتجادلون فیه وتدعون انه علی دینکم وما انزلت التوریة والانجیل الا من بعده ای من بعد ابراهیم افلا تعقلون
ان الاقامة علی الدعوی من غیر برهان غیر جائز فی العقل فکیف تجوز الاقامة علی الدعوی بعد ما ظهر فسادها فان قیل لو دل نزول
التوریة والانجیل بعد ابراهیم انه لم یکن علی الیهودیة والنصرانیة لوجب ان یدل نزول القرآن بعده علی انه لم یکن علی الاسلام فالجواب
ان الکل متفقون علی انه علیه السلم متسم باسم الاسلام غیر ان الیهود ادعوا ان الاسلام هو الیهودیة والنصاری ادعوا انه هو النصرانیة
والتوریة والانجیل انزلنا من بعد ابراهیم واسمه فیهما اسم الاسلام ولیس فی واحد منهما انه کان علی دین الیهودیة او النصرانیة فاما
القرآن وان کان منزلا ففیه وصف ابراهیم علیه السلم بدین الاسلام ونفی الیهودیة والنصرانیة عنه ففی هذا اوضح حجة علی ان کان
مسلما وان محمدا وامته الذین لهم اسم الاسلام اولی به منهم وقد قیل ان الیهود اعتقدوا ان الیهودی اسم لمن تمسک بالتوریة
واعتقد شریعته والنصاری اعتقدوا ان النصرانی اسم لمن تمسک بالانجیل واعتقد شریعته فرد الله سبحانه دعوی الفریقین و
اخبر ان التوریة والانجیل ما انزلا الا من بعد ابراهیم فکیف یکون متمسکا بحکمهما واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسک بحکم القرآن
اذ الاسلام عبارة عن الدین دون احکام الشریعة فوصفناه بالاسلام کما وصفه الله تعالی به فان قیل فهل کان ابراهیم علیه السلم
متمسکا بدین الاسلام وببعض احکام شریعة نبینا صلی الله علیه وآله لا بجمیعها لان من حکم الشریعة قراءة القرآن فی الصلوة
ولم یکن ذلک فی شریعته وانما قلنا انه مسلم وان کان متمسکا ببعض احکام الشریعة لان اصحاب النبی صلی الله علیه وآله فی بدء
الاسلام کانوا مسلمین قبل استکمال الشرع وقبل تمام نزول القرآن والواحد منا مسلم علی الحقیقة وان لم نعمل بجمیع احکام الشریعة ها انتم
هؤلاء یا معشر الیهود والنصاری وهو فی الظاهر تنبیه علی انفسهم والمراد به التنبیه علی حالهم اذ التنبیه انما یکون فیما قد یغفل عنه
الانسان دون ما یعلمه حاججتم جادلتم وخاصمتم فیما لکم به علم معناه حاججتم فی ابراهیم ولکم به علم لوجود اسمه فی التوریة والانجیل
فلم تحاجون فیما لیس لکم به علم ای فلم تحاجون فی دینه وشانه ولیس لکم به علم لم ینکر الله سبحانه علیهم محاجتهم فیما علموه وانما انکر



خمس

عليهم محاجتهم فيما لم يعلموه والله يعلم شان ابرهيم ودينه وكل ما ليس عليه دليل لانه العالم بجميع المعلومات وانتم لا تعلمون فلا تتكلموا فيه ولا
تضيفوا اليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين ۝ ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ۝ آيتان اللغة
قد ذكرنا الاصل في اليهود والنصارى والحنيف في سورة البقرة واولى الذي بمعنى افعل من غيره لا يجمع ولا يثنى لانه تتضمن معنى الفعل
والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضل من فضل منه ومعنى قولنا هذا الفعل اولى من غيره انه يفعل وقولنا زيد اولى من غيره معناه
انه على حال هو احق بها من غيره والاتباع جريان الثاني على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق
او في الصحيح لانه ان صح الدليل صح المدلول عليه بصحته وكذلك المأموم الذي يتبع الامام المعنى ثم كذب الله سبحانه اليهود والنصارى
فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا نزه ابرهيم عليه السلم وبراه عن اليهودية والنصرانية لانهما صفتا ذم فدل القرآن والاجماع على
ذلك وهذا يدل على ان موسى عليه السلم ايضا لم يكن يهوديا ولم يكن عيسى عليه السلم نصرانيا فان الدين عند الله الاسلام واليهودية
ملة محرفة عن شرع موسى والنصرانية ملة محرفة عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جرتا على فرقتين ضالتين ولكن كان حنيفا اي مائلا عن
الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل معناه مستقيما في دينه مسلما اي كائنا على دين الاسلام وما كان من المشركين قيل ان هذا يتضمن
كون اليهودية والنصرانية شركا وقيل ان معناه لم يكن مشركا وقيل ان معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركوا العرب ان اولى الناس
بابرهيم يعني احق الناس بنصرة ابرهيم بالحجة او بالمعونة للذين اتبعوه في وقته وزمانه تولاه بالنصرة على عدوه حتى ظهر امر الله
وعلت كلمته وهذا النبي والذين آمنوا يتولون نصرته بالحجة لما كان عليه من الحق وتبرئته كل عيب عنه اي هم الذين ينبغي لهم ان
يقولوا نحن على دين ابرهيم ولهم ولايته والله ولي المؤمنين لانه يتولى نصرتهم والمؤمن ولي الله لانه يتولى نصرته والمؤمن ولي الله لهذا المعنى
بعينه وقيل لانه يتولى نصرة ما امر به الدين وانما افرد الله النبي عليه السلم بالذكر تعظيما لامره واجلالا لقدره كما افرد جبرائيل وميكائيل
وقيل ليدخل في الولاية وتعود اليه الكناية فان التقدير والذين امنوا به وفي هذه الاية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب
يعضد ذلك قول امير المؤمنين عليه السلم ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثم تلى هذه الآية وقال ان ولي محمد من اطاع
الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت لحمته قرابته وروى عمر بن يزيد قال ابو عبد الله عليه السلم انتم والله من
آل محمد قلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلثا ثم نظر الي ونظرت اليه فقال يا عمر ان الله يقول في الكتاب
ان اولى الناس بابرهيم الاية رواه علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس عنه قوله تعالى ودت طائفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ۝ آية اللغة ودت بمعنى تمنت فلما كان بمعنى التمني صلح للماضي والحال
والاستقبال فلذلك جاز لو وليس كذلك المحبة والارادة لانهما يتعلقان الا بالمستقبل فلا يجوز ان يقال اراد لو يضلونكم كان الارادة
تجري مجرى الاستدعاء الى الفعل او مجرى العلة في ترتيب الفعل فاما التمني فهو تقرير شيء في النفس يستمتع بتقريره والفرق بين ود
لو يضله وبين ود ان يضله ان للاستقبال وليس كذلك لو المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا الى الضلال فقال ودت اي
تمنت وقيل ارادت طائفة اي جماعة من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة لو يضلونكم اي يهلكونكم
بادخالكم في الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله اذا ضللنا في الارض ومعناه هلكنا وبطل صورنا وما يضلون
الا انفسهم معناه لا يرجع وبال ضلالتهم الا على انفسهم ولا يتخطاهم الا بهم فان المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك
الاسلام الى غيره من الاديان فيبقى عليهم اثم الكفر ووبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم اي لا يعتد بما يحصل
لغيرهم من الهلاك في جنب ما يحصل لهم وما يشعرون اي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود عليهم وقيل ما يشعرون ان الله تعالى
يضل الكافرين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون بانهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي قوله تعالى يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ۝ يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ۝
آيتان الاعراب لم اصله لما حذفت الالف لاتصالها بالحرف الجار مع كثرة وقوعها ولدلالة الفتحة عليها وكذلك عم وبم المعنى

عشر ١٥

ثم خاطب الله سبحانه الفريقين فقال يا اهل الكتاب لم تكفرون بما يتلى عليكم من آيات الله يعني القران وانتم تشهدون اى تعلمون و
تشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الاقرار بها من التورية والانجيل اذ فيهما ذكر النبي صلى الله عليه وآله والاخبار بصدق نبوته وبيان
صفته وقيل يعني بايات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوته عليه السلم وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني بالايات ما في وبيان
صفته وقيل يعني بايات الله ما في كتبهم ان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان الدين هو الاسلام وانتم تشاهدون في كتبكم ذلك وقيل يعني
بها ما يتلى عليهم من غرايب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم عن ابي مسلم وقيل يعني بالايات الحجج الدالة على نبوة محمد وانتم تشهدون ان ظهور
المعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتم بصحة دين الاسلام يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال احدها ان المراد تحريفهم التورية والانجيل عن الحسن وابن زيد وثانيها ان المراد
به اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق وفي قلوبهم من اليهودية والنصرانية ما فيها لانهم تداعوا الى اظهار الاسلام في صدر النهار
والرجوع عنه في اخره تشكيكا للناس عن ابن عباس وقتادة وثالثها ان المراد به الايمان بموسى عليه السلم والكفر بمحمد صلى الله عليه وآله
ورابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمدا حق بما يظهرونه من تكذيبه عن الجبائي وابي مسلم وتكتمون الحق اى نبوة محمد وما
وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة به وانتم تعلمون انه حق وانما نزلت هذه في طايفة من علمائهم لان الكتمان انما يجوز على
الطايفة القليلة دون الكثير وقيل معناه وانتم تعلمون الامور التي يصح بها التكليف والاول اصح لما في الاية من الذم على الكتمان
قوله تعالى وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ
بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير ان يؤتى احد ممدودة
والباقون ان يؤتى بغير مد واستفهام الحجة قال ابو علي من قرا ان يؤتى احد فتقديره لا تؤمنوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن
تبع دينكم وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين المفعول وفعله واذا حذفت الجار من ان كان على الخلاف يكون في
قول الخليل جرا وفي قول سيبويه نصبا واما اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل ان تعلقه بتؤمنوا وانت اوصلته بحرف آخر جار
فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان تعديه الى مفعولين اذا كان يتعدى الى مفعول واحد الا ترى ان تعدى الفعل بالجار كتعديه بالهمزة
وتضعيف العين فكما لا يتكرر هذان كذلك لا يتكرر الجار فاذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى والمعنى لا تقروا بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم كما تقول اقررت لزيد بالف فيكون اللام متعلقا بالمعنى ولا تكون زايدة على حد ان كنتم للرؤيا تعبرون
ولكن يتعلق بالاقرار وان شئت حملت الكلام على معنى الجحود وكان معنى لا تؤمنوا اجحدوا وانكانه قال اجحدوا الناس الا لمن تبع دينكم فيكون
اللام على هذا زايدة وقد تعدى امن باللام في غير هذا قال الله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية وقال امنتم له قبل ان آذن لكم ويؤمن
لله ويؤمن للمؤمنين فتعدى مرة بالباء ومرة باللام ووجه قراءة ابن كثير ان في موضع رفع الابتداء لانه لا يجوز ان يحمل على ما قبله
من الفعل لقطع الاستفهام بينهما وخبره يصدقون به ويعترفون به ونحو ذلك مما دل عليه قوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
هذا على قول من قال افزيد ضربته كان ان عنده في موضع نصب ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على معنى تذكرون ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم او تشعرون ويدل على ذلك قوله اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم فحديثهم بذلك اشاعة منهم له
وافشاء وبخ بعضهم بعضا بالحديث بما علموه من امر النبي صلى الله عليه وآله وعرفوه من وصفه فهذه الاية في قراءة ابن كثير ولعله اعتراها
في قراءته اللغة الطايفة الجماعة وفي اصلها قولان احدهما انها كالرفقة التي من شانها ان تطوف البلاد في السفر الذي عليه
الاجتماع والاخر انها جماعة يستوي بها حلقة يطاف حولها ووجه النهار اوله وسمي وجها لانه اول ما يواجهك منه كما يقال لاول
الثوب وجه الثوب وقيل لانه كالوجه في انه اعلاه واشرف ما فيه قال الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا
بوجه نهار النزول قال الحسن والسدي تواطا اثنى عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في
دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس كذلك

نصف الحزب

وظهر

ظهر لتاكد به وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه فی دينهم وقالوا انهم اهل كتاب وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم الى دينكم و
قال مجاهد ومقاتل والكلبی كان هذا فی شان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف امنوا بالذی انزل على محمد
من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار وارجعوا آخره الى قبلتكم لعلهم يشكون المعنى لما ذكر سبحانه صدرا من كياد القوم عقبه بذكر هذه
المكيدة الشديدة فقال وقالت طائفة اى جماعة من اهل الكتاب اى بعضهم لبعض امنوا بالذی انزل على الذين آمنوا وجه النهار اى اول النهار
واكفروا آخره واختلف فی معناه على اقوال احدها اظهروا الايمان لهم اول النهار وارجعوا عنه فی آخره فانه احرى ان ينقلبوا عن دينهم
عن الحسن وجماعة وثانيها امنوا بصلوتهم الى الكعبة اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون بذلك عن دينهم عن مجاهد وثالثها اظهروا
الايمان فی صدر النهار بما سلف لكم من الاقرار بصفة محمد صلى الله عليه وآله ثم ارجعوا فی آخره لتوهموهم انه قد كان قد وقع لكم غلط فی
صفته لعلهم يرجعون عن دينهم الاسلام عن ابن وجماعة ولا تؤمنوا اى ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اليهود وقام بشرايعكم وهو عطف
على ما مضى واختلف فی معنى الآية على اقوال احدها ان معناه ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والبيان
والحجة الا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقيل انما قال ذلك يهود خيبر ليهود المدينة لان لا يعترفوا به فيلزمهم العمل به الاقرار بصحته
وقيل معناه لا تعترفوا بالحق الا لمن تبع دينكم وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى اى لا تصدقوا بان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا
منهم فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود ورد عليهم قل يا محمد ان الهدى هدى الله فلا ينبغی لهم ان ينكروا
ان يؤتى احد مثل ما اوتوا وهذا معنى قول الحسن والاخفش وابی على الفارسی وثانيها ان يكون قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
كلام اليهود وما بعده عن الله تعالى ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم ايها المسلمون كقوله يبين الله
لكم ان تضلوا اى ان لا تضلوا وان لا يحاجوكم به عند ربكم لانه لا حجة لهم ويكون هدى الله بدلا من الهدى والخبر ان لا يؤتى احد مثل ما
اوتيتم وهذا قول السدی وابن جريج وقال ابو العباس المبرد ان لا ليست مما تحذف هنا ولكن الاضافة هنا معلومة فحذفت الاول
واقيمت الثانی مقامه والمعنى قل ان الهدى هدى الله كراهة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اى ممن خالف دين الاسلام لان الهدى لا يهدی
من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله يبين لكم كراهة ان تضلوا وقال قوم ان تقديره قل يا محمد ان
الهدى الى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من النبوة او ان يحاجوكم بذلك عند ربكم ان تقبلوا ذلك منهم عن
قتادة والربيع والجبائی وقيل ان الهدى هدى الله معناه ان الحق ما امر الله به ثم فسر الهدى فقال ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
فالمؤتى هو الشرع وما يحاج به هو العقل وتقدير الكلام ان هدى الله ما شرع او عهد به فی العقل فهذه اربعة اقوال وثالثها ان يكون
الكلام من اول الآية الى آخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها المؤمنون الا لمن تبع دينكم وهو دين الاسلام ولا تصدقوا بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم من الدين فلا نبی بعد نبيكم ولا شريعة بعد شريعتكم الى يوم القيمة ولا تصدقوا بان يكون لاحد عليكم عند ربكم
لان دينكم خير الاديان وان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فيكون الآية كلها خطابا للمؤمنين من الله سبحانه عن تلبيس اليهود
عليهم لئلا يزلوا ويدل عليه ما قال له الضحاك ان اليهود قالوا انا نحاج عند ربنا من خالفنا فی ديننا فبين الله سبحانه انهم هم المدحضون
المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون وقوله قل ان الفضل بيد الله يريد به النبوة وفعل الحجج التی اوتيها محمد ومن معه وقيل
نعم الدين والدنيا وقوله بيد الله اى ملكه وهو القادر عليه العالم بمحله يؤتيه من يشاء وفی هذه الآية دلالة على ان النبوة ليست
بمستحقة وكذلك الامامة لان الله سبحانه علقه بالمشية والله واسع الرحمة جدا وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم بمصالح الخلق و
قيل عليم حيث يجعل رسالته يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم مر تفسيره فی سورة البقرة فی العشرين التی بعد المائة وفی
هذه الآية معجزة باهرة لنبينا صلى الله عليه وآله اذ فيها اخبار عن سرائر القوم التی لا يعلمها الا علام الغيوب وفيها دفع لمكايدهم ولطف
للمؤمنين فی الثبات على عقايدهم قوله تعالى وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ
بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ آيتان القراءة قرا حمزة وابو بكر عن عاصم يؤده بسكون

الهاء وروى عنه عن ابي عمرو وقرا ابو جعفر ويعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب ابي عمرو والباقون بالكسر والاشباع
اما سكون الهاء فان اكثر النحويين على انه لا يجوز وغلط الزجاج الراوي فيه عن ابي عمرو وقال وحكى سيبويه عنه وهو ضابط المثل
هذا انه كان يكسر كسرا خفيفا وقال الفراء هذا مذهب لبعض العرب بسكون الهاء اذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم
انتم وقمتم اما الاختلاس فانه للاكتفاء بالكسرة من الياء واما الاشباع فعلى الاصل اللغة القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في اول
السورة والدينار اصله دنار بنونين فقلبت احدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة وجمعه دنانير ودمت ولكن من كسر الدال
والميم قال في المضارع تمات وتدام وهي لغة ازد السراة ووفى واوفى لغتان فاهل الحجاز يقولون اوفيت واهل نجد يقولون وفيت الفرق
ان تقول تامنه بقنطار وبين ان تقول على قنطار ان معنى الباء الصاق الامانة ومعنى على استعلاء الامانة وهما يتعاقبان في هذا
الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل احدهما الاضراب عن الاول على جهة الانكار للاول وعلى هذا الوجه
يكون من اوفى بعهده واتقى كنفسه نحو قولك ما تقدم زيد فيقال بلى اي بلى قد قدم قال الزجاج هنا وقف تام ثم استانف من اوفى الخ لانهم
لما قالوا ليس علينا في الاميين سبيل قيل بلى اي عليهم سبيل والثاني الاضراب عن الاول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه
لا يكون مكتفيه والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الاثبات وانما جاز امالة بلى لمشابهتها الاسم من وجهين احدهما
انه يوقف عليها كما يوقف على الاسم والاخر انها على ثلثة احرف ولذلك خالفت لا في الامالة النزول عن ابن عباس قال يعني بقوله من
ان تامنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام اودعه رجل الف ومايتا اوقية من ذهب فاداه اليه فمدحه الله سبحانه ويعني بقوله من
ان تامنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن عازورا وذلك ان رجلا من قريش استودعه دينارا فخانه وفي بعض التفاسير ان الذي يؤدي
الامانة في هذه الآية النصارى والذين لا يؤدونه اليهود المعنى ثم ذكر سبحانه معايب القوم وان فيهم من يخرج عن العيب فقال
ومن اهل الكتاب من ان تامنه اي تجعله امينا بقنطار اي على قنطار يعني مال كثير على ما قيل فيه من الاقوال التي مضى ذكرها في
اول السورة يؤده اليك اي يؤده عند المطالبه ولا يخون فيه ومنهم من ان تامنه بدينار اي على ثمن دينار والمراد ان تجعله امينا على
قليل من المال لا يؤده اليك عند المطالبة وهم كفار اليهود بالاجماع الا ما دمت عليه قايما معناه الا ان تلازمه وتتقاضاه عن الحسن
وابن زيد وقيل الا ان تدوم قايما بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل الا ما دمت عليه قايما بالاجتماع معه والملازمة عن
السدي قال ما دمت عليه قايما على راسه وقيل قايما اي ملحا عن ابن عباس ذلك اي ذلك الاستحلال والخيانه بانهم قالوا ليس
علينا في الاميين سبيل هذا في العلة التي لاجلها كانوا لا يؤدون الامانة ويميلون الى الخيانة اي قالت اليهود ليس علينا في اموال
العرب التي اصبناها سبيل لانهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل انهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك انهم
عاملوا جماعة منهم ثم اسلم من له الحق فامتنع من عليه الحق من اداء الحق وقالوا انما عاملناكم وانتم على ديننا فاذا فارقتموه سقط حقكم
وادعوا ان ذلك في كتبهم فاكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون لان الله تعالى امرهم
بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريح وانما سموهم اميين لعدم كونهم من اهل الكتاب او لكونهم من اهل مكة وهي ام القرى ثم رد سبحانه
عليهم فقال بلى وفيه نفي لما قبله واثبات لما بعده كانه قال ما امر الله سبحانه بذلك ولا احبه ولا اراده بل اوجب الوفاء بالعهد
واداء الامانة من اوفى بعهده يحتمل ان يكون الهاء في بعهده عايده الى اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب فيكون معناه
بعهد الله الى عباده امر ان يفيه ويحتمل ان تكون عليه الى من ومعناه من اوفى بعهد نفسه لان العهد يضاف تارة الى المعاهد
وتارة الى المعهود له واتقى الخيانه ونقض العهد فان الله يحب المتقين معناه فان الله يحبه الا انه عدل الى ذكر المتقين
ليبين الصفة التي تجب بها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكانه قال والله يحب المؤمنين ولا يحب اليهود وروي عن النبي صلى الله
عليه وآله وانه لما قرا هذه الآية قال كذب اعداء الله ما من شي كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة
الى البر وعنه صلى الله عليه وآله قال ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان وعنه صلى الله عليه وآله قال من ائتمن على امانة فاداها ولو شاء لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ه

قوله

قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية النزول نزلت في جماعة من احبار اليهود ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكعب بن الاشرف كتموا ما في التورية من امر محمد صلى الله عليه وآله وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا بانه من عند الله لئلا تفوتهم الرياسة وما كان لهم على اتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الاشعث واعرف بالحق ورد الارض عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل حلف يمينا فاجرة في تنفيق سلعته عن مجاهد والشعبي المعنى ثم ذكر سبحانه الوعيد لهم على افعالهم الخبيثة فقال ان الذين يشترون بعهد الله اي بامر الله سبحانه وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه ان الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه وايمانهم اي وبالايمان الكاذبة ثمنا قليلا اي عوضا نزرا وسماه قليلا لانه قليل في جنب الله ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب وقيل العهد ما اوجبه الله على الانسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الانسان من الزجر عن الباطل والانقياد للحق اولئك لا خلاق لهم اي لا نصيب وافر لهم في نعيم الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم وقت الحساب لهم عن الجبائي والاخرين لا يكلمهم اصلا وتكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم بامر الله اياهم استهانة بهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة معناه ولا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل لغيره انظر الي يريد ارحمني وفي هذا دلالة على ان النظر اذا عدي بحرف الى لا يفيد الرؤية لانه لا يجوز حملها هنا على انه لا يراهم بلا خلاف ولا يزكيهم اي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الازكياء عن الجبائي وقيل لا يطهرهم عن دنس الذنوب والاوزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بانهم ازكياء ولا يسميهم بذلك بل يحكم بانهم كفرة نحوه عن القاضي ولهم عذاب اليم موجع مولم وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال اخيه لقي الله وهو عليه غضبان وتلى هذه الآية وروى مسلم بن الحجاج في الصحيح باسناده من عدة طرق عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان الذي لا يعطي شيئا الا منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وروى عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرء مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان اورده مسلم ايضا في الصحيح قوله تعالى وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ آية اللغة اصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها ومنه لويت الغريم ليا وليانا اذا مطلته حقه قال الشاعر تطيلين لياني وانت ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا ومنه الحديث لي الواجد ظلم والالسنة جمع اللسان على التذكير كما رواه حمزة ويقال السن على التانيث كعناق واعنق والفرق بين حسبت وزعمت يحتمل ان يكون يقينا وظنا وحسبت لا يحتمل اليقين اصلا الاعراب لفريقا نصب بانه اسم ان واللام للتاكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فاما قولهم جاء في القوم كلهم اجمعون فكل تاكيد للقوم واجمعون تاكيد لكل قيل نزلت في جماعة من احبار اليهود كتبوا بايديهم ما ليس في كتاب الله من نعت النبي صلى الله عليه وآله وغيره واضافوه الى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود والنصارى حرفوا التورية والانجيل وضربوا كتاب الله بعضه ببعض والحقوا به ما ليس منه الذين لحيف عن ابن عباس المعنى وان منهم اي من اهل الكتاب وهو عطف على قوله وان من اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار لفريقا اي طائفة يلوون السنتهم بالكتاب معناه يحرفون الكتاب عن جهته ويعدلون به عن القصد بالسنتهم فجعل تحريف الكتاب عن جهته ليا باللسان وهذا معنى قول قتادة ومجاهد وابن جريج والربيع وقيل يفسرونه بخلاف الحق لتحسبوه من الكتاب اي لتظنوه ايها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وما في هذه الآية على ان المعاصي ليست من عند الله ولا من فعله لانها لو كانت من فعله لكانت من عنده فان قالوا انها من عنده خلقا وفعلا وليست من عنده انزالا ولا امرا فالجواب لو كانت كذلك لكانت من عنده على اكد الوجوه فلم يجز اطلاق النفي بانها ليست من عند الله وكما لا يجوز ان يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لاطلاق النفي بانه ليس من الكتاب كذلك لا يجوز ان يكون من عند الله لاطلاق النفي بانه ليس من عند الله ويقولون على الله الكذب في نسبتهم ذلك الى الكتاب وهم يعلمون ان ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب

قوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون

آيتان القراءة قرا اهل الكوفة وابن عامر تعلمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرا عاصم غير الاعشى والبرجمي وابن عامر ويعقوب ولا يامركم بنصب الراء والباقون بالرفع الحجة حجة من قال تعلمون بالتشديد ان التعليم ابلغ في هذا الموضع لانه اذا علم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بترك عمله داخلا في جملة من وبخ بقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وحجة من قرا تعلمون ان العالم الدارس بعلمه ودرسه مما يكون داعيا الى التمسك بعلمه والعمل به ما يدركه العالم المعلم في تعليمه ومن قرا يامركم فعلى القطع من الاول ولا يامركم الله ومن نصبه فعلى قوله وما كان لبشر ان يامركم ان تتخذوا ومما يقولون الرفع ما روي في حرف ابن مسعود ولن يامركم فهذا يدل على الانقطاع من الاول ومما يقوي النصب ما جاء السير ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله يا محمد اتريد ان نتخذك ربا فقال الله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ولا ان يامركم اللغة البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول هذا خلق وهؤلاء خلق وانما وقع للمصدر على القليل والكثير لان جنس الفعل فصار كاسماء الجنس مثل الماء والتراب ونحوه والرباني هو الذي يرب الناس تدبيره له واصلاحه اياه يقال رب فلان امره ربابة فهو ربان اذا دبره واصلحه ونظيره نعس ينعس فهو نعسان واكثر ما يجيء فعلان من فعل يفعل فيكون العالم ربانيا بالعلم مدبر الامر ويصلحه وقيل انه مضاف الى علم الرب وهو علم الدين الذي يامر به الا انه غير في الاضافة ليدل على هذا المعنى كما قيل في الاضافة الى البحرين بحراني وكما قيل لعظيم الرقبة رقباني وللعظيم اللحية لحياني فقيل لصاحب علم الدين الذي امر به الرب رباني النزول قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود ورئيس وفد نجران قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك الها فقال معاذ الله ان اعبد غير الله او امر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فانزل الله الآية عن ابن عباس وعطا وقيل نزلت في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله فانزل الله الاية المعنى لما تقدم ذكر اهل الكتاب وانهم اضافوا ما يتدينون به الى الانبياء برأهم الله تعالى عن ذلك فقال ما كان لبشر يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا ما كان لنا ان نتكلم بهذا اي ما ينبغي وقيل معناه لا يجوز لبشر ولا يحل له ان يؤتيه الله اي يعطيه الله الكتاب والحكم اي العلم والنبوة اي الرسالة الى الخلق ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله اي اعبدوني معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الانبياء الذين خصهم الله برسالته واجتباهم للنبوة وانزل عليهم كتبه وجعلهم حكماء علماء ان يدعوا الناس الى عبادتهم وانما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي عن مثل هذا القول لا على وجه النهي وقوله عبادا هو من العبادة وقال القاضي وعبيد بخلافه لانه بمعنى العبودية ولا يمتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله ويمتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله ويمتنع ان يكونوا عبادا لغيره ولكن كونوا ربانيين فيه حذف اي لا ينبغي لهذا البشر ان يقول للناس اعبدوني ولكن ينبغي ان يقول لهم كونوا ربانيين وفيه اقوال احدها ان معناه كونوا علماء فقهاء عن علي وابن عباس والحسن وثانيها كونوا حكماء علماء عن قتادة والسدي وابن ابي رزين وثالثها كونوا حكماء اتقياء عن سعيد بن جبير ورابعها كونوا مدبري امر الناس في الولاية بالاصلاح عن ابن زيد وخامسها كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال انفق بمالك اي من مالك عن الزجاج وروي انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك الا ولله عليه حق واجب ان يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال ابو عبيد سمعت رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وما كان وما يكون وقال ابو عبيدة لم تعرف العرب الرباني وهذا فاسد لان القرآن نزل بلغتهم وروي عن محمد بن الحنفية انه قال يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الامة وقد ذكرنا اشتقاقه وقيل بما كنتم تعلمون الكتاب اي القرآن وبما كنتم تدرسون اي الفقه ومن قرا بالتشديد اراد تعلمونه سواكم فيفيد انهم يعلمون ويعلمونه غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر من كونهم عالمين ودخلت الباء في قوله بما كنتم تعلمون لاحد ثلاثة اشياء اما ان يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما يقال نفعوهم بمالكم او يريد كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم ووقعت الباء موقع في او يريد كونوا ممن يستحق ان يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح بان

يعلموا

يعملوا بما علمتم وذلك ان الانسان انما يستحق الوصف بانه عالم اذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله انما يخشى الله من عبادة العلماء ولا
يامركم اي ولا يامركم الله عن الزجاج وقيل ولا يامركم محمد عن ابن جريج وقيل ولا يامركم عيسى ومن نصب الراء عطفه على ان يؤتيه
الله فمعناه ولا كان لهذا النبي صلى الله عليه واله ان يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اي الهة كما فعله الصابئون والنصارى
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون الف انكار واصله الاستفهام وانما استعمل في الانكار لانه مما لو اقر به المخاطب لظهرت فضيحته
فلذلك جاء على السوال وان لم يكن الغرض تعرف الجواب ومعناه ان الله تعالى انما يبعث النبي ليدعوا الناس الى الايمان
فلا يبعث من يدعو المسلمين الى الكفر قوله تعالى وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَاَقْرَرْتُمْ وَاَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ اِصْرِي قَالُوا اَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَاَنَا مَعَكُمْ
مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • آيتان القراءة قرا حمزة وحده لما بكسر اللام والباقون بفتحها وقرا نافع
آتيناكم على التوحيد الحجة الوجه في قراءة حمزة لما آتيتكم بكسر اللام انه يتعلق بالاخذ كان المعنى اخذ ميثاقهم لهذا ويكون ما على هذا موصولة
والعايد من الموصول الى الجملة المعطوفة على صلته وهو قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهو قوله ما معكم لانه في
معنى ما اتيتموه من الكتاب والحكمة فهذا يكون مثل قوله انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لانه في معنى لا يضيع اجرهم
ويجوز ان يكون ما على القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر فالقول فيما يقتضيه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من
الراجع الى الموصول من جملة الاولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه واللام في لما فيمن قدر ما موصولة لام الابتداء
وهي المتلقية لما اجري مجرى القسم من قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لتؤمنن به ولتؤمنن
متعلق بقسم والله لتؤمننه والذكر الذي في لتنصرنه يعود على رسول المتقدم ذكره واذا قدرت ما للجزاء كانت ما في موضع نصب
بآتيتكم ولآتيتكم في موضع جزم بالعطف على آتيتكم واللام الداخلة على ما لا يكون المتلقية للقسم ولكن يكون بمنزلة اللام في قوله لئن
لم ينته المنافقين قوله لنغرينك بهم وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة واثباتها تارة كما
يقال وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن فتلحق هذه اللام ان مرة ولا تلحق اخرى كما ان كذلك في قولك والله ان لو فعلت لفعلت
الحجة لما تقدم ذكر النبيين العامل في اذ محذوف وتقديره واذكروا اذ اخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذ قالت
الملائكة وروي عن امير المؤمنين علي عليه السلم وابن عباس وقتادة ان الله تعالى اخذ الميثاق على الانبياء قبل نبينا صلى الله
عليه وآله ان يخبروا اممهم بمبعثه ونعته ويبشروهم به ويامروهم بتصديقه وقال طاوس اخذ الله الميثاق على الانبياء على
الاول ان يؤمن بالآخر فاخذ ميثاق الاول لتؤمنن بما جاء به الآخر وقال الصادق عليه السلم تقديره واذ اخذ الله ميثاق امم النبيين
بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منه وقوله لما
آتيتكم بفتح اللام اذا كانت ما موصولة فتقديره للذي آتيتكموه اي اعطيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول اي نبي وقيل يعني
محمدا عليه السلم مصدقا لما آتيناكموه من الكتب لتؤمنن به اي بالذي آتيتكموه ولتنصرنه اي ولتنصرن الرسول فعلى هذا يكون
المعنى انه انما اخذ الميثاق على الانبياء ليصدق بعضهم بعضا ويامر بعضهم بالايمان ببعض ويكون النصرة بالتصديق والحجة
وهو المروي عن الحسن وسعيد بن جبير وطاووس واذا كانت ما للجزاء فتقديره اي شيء آتيتكم ومهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن
به فالشرط هو ايتاؤهما اياهم الحكمة ومجيء الرسول والجزاء القسم والمقسم عليه وهو قوله لتؤمنن به فاغنى جواب القسم عن الجزاء
كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله من كتاب من هذه للتبيين لما كقولك ما عندك من ورق وعين وهذا خاتم من فضة و
يكون على هذا تقديره ان الله سبحانه قال مهما آتيتكم كتابا وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة والله
لتؤمنن به ولتنصرنه فاقروا بذلك واعطوا عليه مواثيقهم وهذا اشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الانبياء لياخذوه على اممهم بتصديق
محمد اذا بعث ويامرهم بنصرته على اعدائه اذا ادركوه وهو المروي عن علي عليه السلم وابن عباس وقتادة والسدي واختاره ابو علي
الجبائي وابي مسلم ويكون معنى قوله جاءكم جاء اممكم واتباعكم وانما خرج الكلام على النبيين لان ما لزمهم لزم اممهم ومن قرا لما

عقبه تعالى بذكر نبينا عليه السلام وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال تع واذ اخذ الله ميثاق النبيين

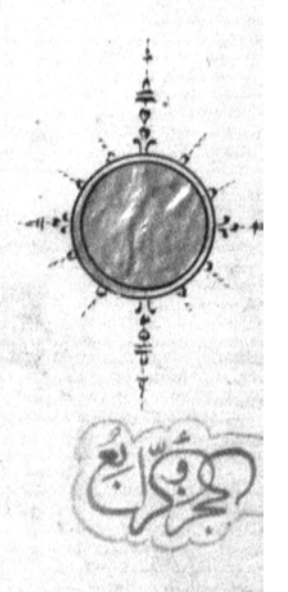
اتيتكم بكسر اللام فالمعنى اخذ الله ميثاقهم لما اوتوه اى لاجل ما اوتوه من الحكمة والكتاب ولانهم الافاضل وخيار الناس ويكون
اللام للتعليل فيقتضى ان لايكون الاثبات سابقا لاخذ الميثاق وقوله لتؤمنن به متعلق باخذ الميثاق وهو فى الحاصل راجع الى
الى معنى الشرط والجزاء وقوله ولتنصرنه اى بالبشارة للامم به قال اى قال الله تعالى لانبيائه اقررتم وصدقتموه واخذتم على ذلكم اصرى
معناه وقبلتم على ذلك عهدى ونظيره فان اوتيتم هذا فخذوه وقيل معناه واخذتم العهد بذلك على اممكم قالوا اى قال الانبياء و
اممهم اقررنا بما امرتنا بالاقرار به قال الله فاشهدوا بذلك على اممكم وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اممكم عن على عليه السلم وقيل
فاشهدوا اى فاعلموا ذلك وانا معكم اعلم عن ابن عباس وقيل ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال الله تعالى للملائكة اشهدوا عليكم
فيكون كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب وهذه الآيات من شكلات آيات القرآن وقد غاص النحويون فى وجوه اعرابها
وتحقيقها وشقوا الشعر فى تدقيقها ولا تراها فى موضع اوجز لفظا واكثر فايده واشد تهذيبا مما ذكرته هنا وبالله التوفيق فمن تولى
بعد ذلك اى فمن اعرض عن الايمان بمحمد بعد هذه الدلالات والحجج وبعد اخذ الميثاق على النبيين لانهم قد مضى زمانهم وجاز
ذلك لان اخذ الميثاق على النبيين يتضمن الاخذ على اممهم وقد روى عن على عليه السلم انه قال لم يبعث الله نبيا آدم وما بعده الا
اخذ عليهم العهد لئن بعث الله محمدا وهو حى لتؤمنن به ولتنصرنه وامره بان ياخذ العهد بذلك على قوله فاولئك هم الفاسقون
ولم يقل الكافرون لان المراد الخارجون فى الكفر الى افحش مراتب الكفر بتمردهم وذلك ان اصل الفسق الخروج عن امر الله الى حال
توبقه وفى الكفر ما هو اكبر وما هو اصغر بالاضافة اليه قوله تعالى أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۞ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ ثلث آيات القراءة قرا ابو عمرو يبغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرا بالياء فيهما عباس وحفص
ويعقوب وسهل والباقون بالتاء فيهما جميعا الحجة من قرا بالتاء فيهما فلان اول الآية خطاب للنبى صلى الله عليه وآله
ومن قرا بالياء فعلى تقدير قل لهم افغير دين الله يبغون فجاء على لفظ الغيبة لانهم غيب وقد تقدم القول فى ترجعون ويرجعون
الاعراب افغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كانه قيل اوغير دين الله يبغون الا ان الفاء تثبت وكانه قيل ابعد تلك الآيات
غير دين الله يبغون وطوعا وكرها مصدران وقعا موقع الحال وتقديره طايعين وكارهين كما يقال اتانى ركضا ولا يجوز ان
يقول اتانى كلاما اى متكلما لان الكلام ليس بضرب من الاتيان والركض ضرب منه النزول روى عن ابن عباس قال اختصم اهل
الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما اختلفوا بينهم من دين ابرهيم عليه السلم كل فرقة زعمت انهم اولى بدينه فقال النبى
صلى الله عليه وآله كلا الفريقين برى من دين ابرهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله افغير
دين الله يبغون المعنى لما بين سبحانه بطلان اليهودية وساير الملل غير الاسلام بين عقيبه ان من يتبع غير دينه فهو ضال
لا يجوز القبول منه فقال افبعد هذه الايات والحجج تطلبون دينا غير دين الله تعالى وله اسلم من فى السموات والارض طوعا
وكرها قيل فيه اقوال احدها ان معناه اسلم من فى السموات والارض بحال الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق عليه
عن ابن عباس وثانيها اسلم اى اقر بالعبودية وان كان فيهم من اشرك فى العبادة كقوله سبحانه ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن
الله ومعناه ما ركب الله فى عقول الخلايق من الدعاء الى الاقرار له بالربوبية لينبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وابى العاليه
وثالثها اسلم المؤمن طوعا والكافر كرها عند موته كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا عن قتادة واختاره البلخى ومعناه
التقريب لهم من التاخر عما هذه سبيله ورابعها ان معناه استسلم له بالانقياد والذلة كقوله سبحانه قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا عن الشعبى والجبائى والزجاج وخامسها ان معناه اكره اقوام على الاسلام وجاء اقوام طايعين عن
الحسن وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال كرها اى فرقا من السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لاهل السموات خاصة واما
اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها واليه ترجعون اى الى جزائه تصيرون فبادروا الى دينه ولا تخالفوا الاسلام

قل

قل آمنا بالله خطاب للنبي وامر له بان يقول عن نفسه وعن امته آمنا بالله وبما انزل علينا الاية كما يخاطب رئيس القوم بان يقول عن
نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الآية في سورة البقرة فان قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعد ما سبق الاقرار بالايمان على التفصيل
قلنا معناه ونحن له مسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما امر به ونهى عنه وايضا فان اهل الملل المخالفة للاسلام كانوا يقرون كلهم
بالايمان ولكن لم يقروا بلفظ الاسلام فلهذا قال ونحن له مسلمون ومن يبتغ اى يطلب غير الاسلام دينا يدين به فلن يقبل منه بل يعاقب
عليه ويدل عليه قوله وهو في الآخرة من الخاسرين اى من الهالكين لان الخسران ذهاب راس المال وفي هذا دلالة على ان من ابتغى
الاسلام دينا يقبل منه فدل ذلك على ان الدين والاسلام والايمان واحد وهي عبارات عن معبر واحد قوله تعالى كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين • اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين • خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون • الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم • اربع آيات اللغة الخلود طول المكث ولذلك يقال خلد فلان في السجن وقيل للاثافي
خوالد ما دامت في مواضعها فاذا زالت لا تسمى خوالد والفرق بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خلد في السجن
ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود الا ان خلود الكفار المراد به التابيد بلا خلاف بين الامة
والانظار التاخير للعبد لينظر في امره والفرق بينه وبين الامهال ان الامهال هو تاخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله الاعراب كيف اصله
الاستفهام والمراد به هنا الانكار لان تقع هذه الهداية من الله اى لا يهديهم الله كقوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد اى لا
يكون قال الشاعر كيف نومي على الفراش ولما يشمل الشام غارة شعواء وانما دخله معنى الانكار مع ان اصله الاستفهام لان المسؤول
يسأل عن اغراض مختلفة فقد يقال للتعجيز عن اقامة البرهان وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل
لما يظهر فيه من الانكار وانما عطف قوله شهدوا وهو فعل على ايمانهم وهو اسم لان الايمان مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد ان
آمنوا وشهدوا واجمعين تاكيد للناس ودخلت الفاء في قوله فان الله غفور رحيم لانه يشبه الجزاء اذ كان الكلام قد تضمن معنى
ان تابوا فان الله يغفر لهم ولا يجوز ان يكون في موضع خبر الذين لان الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة التي هي قوله
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله الى آخره ولا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لانه الاصل في الكلام والاسبق الى الافهام
النزول قيل نزلت الآيات في رجل من الانصار يقال له الحرث بن سويد بن الصامت وكان قتل المجذر بن زياد البلوي غدرا وهرب
وارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم ندم فارسل الى قومه ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله هل له من توبة فسألوا فنزلت
الآيات الى قوله الا الذين تابوا فحملها اليه رجل من قومه فقال اني لاعلم انك لصدوق ورسول الله اصدق من توبة رسول الله اصدق
منك وان الله تعالى اصدق الثلاثة ورجع الى المدينة وتاب وحسن اسلامه عن مجاهد والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام
وقيل نزلت في اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسدا وبغيا عن الحسن والجبائي وابي مسلم
المعنى لما بين سبحانه ان الاسلام هو الدين الذي به النجاة بين حال من خالفه فقال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم فيه
وجوه احدها ان معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالاثابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا بعد ايمانهم وثانيها انه على طريق
التبعيد كما يقال كيف اهديك الى الطريق وقد تركته اى طريق يهديهم به الا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره
وثالثها ان المراد كيف يهديهم الله الى الجنة ويثيبهم والحال هذه وقوله وشهدوا ان الرسول حق عطف على قوله بعد ايمانهم دون قوله
كفروا وتقديره بعد ان آمنوا وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات اى البراهين والحجج وقيل القرآن وقيل جاءهم ما في كتبهم من
البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله والله لا يهدي القوم الظالمين اى لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يثيبهم ولا يهديهم
الى طريق الجنة لان المراد به الهداية المختصة بالمؤمنين دون الهداية العامة المذكورة في قوله واما ثمود فهديناهم والمراد بالايمان هنا
اظهار الايمان دون الايمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدل على انهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال
ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به اولئك جزاؤهم على اعمالهم ان عليهم لعنة الله وهي ابعاده اياهم من رحمته ومغفرته ولعنة الملائكة

اجمعين

والناس وهى دعاؤهم عليه باللعنة وبان يبعدهم الله من رحمته خالدين فيها اى فى اللعنة لخلودهم فيما استحقوا باللعنة وهو العذاب
لا يخفف عنهم العذاب اى لا يسهل عليهم ولا هم ينظرون اى ولا يمهلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت الى اخر وانما نفى انظارهم
للتوبة والانابة لما علم من حالهم انهم لا يتوبون ولا يثوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التبقيه ليست بواجبه وان
علم انه لو بقاه لتاب واناب عند اكثر المتكلمين الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اى تابوا من الكفر ورجعوا الى الايمان واصلحوا ضمايرهم
وعزموا على ان يثبتوا على الاسلام وهذا احسن من قول من قال واصلحوا اعمالهم بعد التوبة وصلوا وصاموا فان ذلك بشرط فى صحة
التوبة اذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمنا بالاجماع فان الله غفور يغفر لهم ذنوبهم رحيم يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل
على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه سبحانه فان ما لا يجوز المواخذه به اصلا لا يجوز تعليقه بالمغفرة وانما يعلق بالمغفرة ما يكون
له المواخذة به قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ◦ آية النزول
قيل نزلت فى اهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بعد مبعثه عن الحسن وقيل نزلت فى اليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن عن قتادة وعطا وقيل نزلت فى الاحد عشر من اصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث
قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما اردنا الرجعه رجعنا فينزل فينا ما انزل فى الحرث فلما افتتح رسول الله مكة دخل فى الاسلام
من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافرا ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية المعنى لما تقدم ذكر التوبة المقبولة
عقبه سبحانه بما لا يقبل منها فقال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قد ذكرنا الاختلاف فى سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه
وقيل كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرا الى كفرهم لن تقبل توبتهم لانها لم تقع على وجه الاخلاص ويدل على ذلك واولئك هم
الضالون ولو حققوا فى التوبة كانوا مهتدين وقيل لم تقبل توبتهم عند رؤية الناس لانها تكون فى حال الالجاء ومعناه انهم لا يتوبون
الا عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقتادة والجبائى وقيل لانها اظهرت الاسلام تورية فاطلع الله رسوله على سرايرهم عن
ابن عباس وقد دل السمع على وجوب قبول التوبه اذا حصلت شرايطها وعليه اجماع الامة واولئك هم الضالون عن الحق والصواب
وقيل الهالكون المعذبون قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ◦ آية اللغة الملأ اصله الملاء وهو تطفيح الاناء ومنه الملأ الاشراف
لانهم يملؤون العين هيبه وجلاله ومنه رجل ملى بالامر وهو املأ به من غيره فالملأ اسم للمقدار الذى يملأ والملأ المصدر والفدية البدل
من الشئ فى ازالة الاذية ومنه فداء الاسير لانه بدل منه فى ازالة القتل والاسر عنه اذا كسر مد واذا فتح قصر تقول فداك وفداء لك
ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة والافتداء افتعال من الفدية الاعراب ذهبا منصوب على التميز وانما استحق النصب لاشتغال
العامل بالاضافة وما عاقبها من النون الزائدة يجرى ذلك مجرى الحال فى اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول فى اشتغال
العامل عنه بالفاعل وقوله لو افتدى به قال الفراء هذه الواو زايدة وغلطه الزجاج لان الكلام اذا امكن حمله على فايدة يحمل عليها
ولا يحمل على الزيادة وقال اذا دخلت الواو فى مثل هذا كان ابلغ فى التاكيد كقولك لا اتيتك وان اعطيتنى لانها دخلت لتفصيل
نفى القبول بعد الاجمال ولو جعلنا الواو زايدة لاوهم ذلك انه لا يقبل منه ملء الارض ذهبا فى الافتداء ويقبل فى غيره المعنى
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اى على كفرهم فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اى مقدار ما يملأ الارض من الذهب ولو
افتدى به بدله عوضا ومعناه ان الكافر الذى يعتقد الكفر وان اظهر الايمان لا ينفعه الانفاق بمعنى انه لا يوجب له الثواب وقيل
معناه انه لا يقبل منه فى الآخرة ولو وجد اليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض
ذهبا الكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك فلم تفعل ورواه ايضا انس عن النبى صلى الله عليه وآله
اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قوله تعالى لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
آية اللغة البر اصله من السعه ومنه البر خلاف البحر والفرق بين البر والخير ان البر هو النفع الواصل الى الغير مع القصد الى ذلك
والخير يكون خيرا وان وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشر المعنى لن تنالوا البر اى لن تدركوا بر الله سبحانه بطاعته



الجزء الرابع

واختلف

واختلف فى البر هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الثواب فى الجنة وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطا وقيل معناه
لن تكونوا ابرارا اى صالحين اتقياء عن الحسن حتى تنفقوا مما تحبون اى حتى تنفقوا المال وانما كنى بهذا اللفظ لان جميع الناس يحبون المال وقيل
معناه ما تحبون من نفايس اموالكم دون رذالها كقوله سبحانه ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو الزكوة الواجبة وما فرضه الله سبحانه
فى الاموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء فى سبيل الخيرات عن مجاهد وجماعة تقدم وحكى عن ابى الطفيل قال اشترى على عليه السلم
ثوبا فاعجبه فتصدق به وقال على سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله من اثر على نفسه آثره الله يوم القيمة بالجنة من احب شيئا فجعله لله
تعالى قال الله يوم القيمة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وانا اكافيك اليوم بالجنة وروى ان ابا طلحة قسم حايطا له فى اقاربه
عند نزول هذه الاية وكان احب امواله اليه وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله بخ بخ ذلك مال رابح لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له
كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله اما ان الله قد قبلها منك واعتق ابن عمر جارية له كان يحبها وتلى هذه
الآية وقال لولا انى اعود فى شئ جعلته لله لنكحتها وضاف ابا ذر الغفارى ضيف فقال للضيف انى مشغول وان لى ابلا فاخرج وائتنى بخيرها
فخرج وجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر خنتنى فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتى اليه ليوم
اوضع فى حفرتى مع ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ابو ذر فى المال ثلثة شركاء القدر لا يستأمرك ان يذهب
بخيرها او شرها من هلاك او موت والوارث ينتظرك ان تضع راسك ثم يستاقها وانت ذميم وانت الثالث فان استطعت ان لا تكون
اعجز الثلثة فلا تكن ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان هذا الجمل كان مما احب من مالى فاحببت ان اقدمه
لنفسى وقال بعضهم ولهم سبحانه بهذه الاية على الفتوة فقال لن تنالوا برى بكم الا ببركم باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم وما
تحبون فاذا فعلتم ذلك نالكم برى وعطفى وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم جاء بالفاء على جواب الشرط وان كان الله سبحانه يعلم ذلك
على كل حال وفيه وجهان احدهما ان تقديره وما تنفقوا من شئ فان الله يجازيكم به قل او كثر لانه عليم لا يخفى عليه شئ منه والآخر تقديره
فانه يعلمه الله موجودا على حد ما يفعلونه من حسن النية او قبحها فان قيل كيف قال سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير
ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الانفاق وهو مقيد بالامكان وانما اطلق على سبيل المبالغة فى الترغيب و
الاولى ان يكون المراد لن تنالوا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون ويروى عن ابن عمران النبى صلى الله عليه وآله
سئل عن هذه الآية فقال هو ان ينفق العبد المال وهو شحيح يأمل الدنيا ويخاف الفقر النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما
ذكر فى الاية الاولى لن يقبل من احدهم ملأ الارض ذهبا وصل ذلك بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون لئلا يودى امتناع عناء
الفدية الى الفتور فى الصدقة وما جرى مجراها من وجوه الطاعات قوله تعالى كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
آيتان اللغة الافتراء اقتراف الكذب واصله قطع ما قدر من الاديم يقال فرى الاديم يفريه فريا اذا قطعه وعلى للاستعلاء ومعناه هنا
اضافة الكذب الى الله من جهة انه امر بما لم يأمر به الله واوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين كذب عليه وكذب له لان كذب عليه يفيد
انه كذب فيما يكرهه وكذب له يجوز ان يكون فيما يريده النزول انكر اليهود تحليل النبى صلى الله عليه وآله لحوم الابل فقال عليه السلم
كان حلالا لابرهيم فقالت اليهود كل شئ نحرمه فانه كان محرما على نوح وابرهيم هلم جرا حتى انتهى الينا فنزلت الآية عن الكلبى وابو روق
المعنى كل الطعام اى كل الماكولات كان حلالا لبنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق فنذر ان شفاه الله ان يحرم العروق ولحم الابل
وهو احب الطعام اليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله وسأل الله تعالى ان يجيزه له
فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن وقيل حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالنذر وقيل بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر
فى دينه من الذهاب واللذة على نفسه من قبل ان تنزل التورية معناه ان كل الطعام كان حلالا لبنى اسرائيل قبل ان تنزل التورية على
موسى فانها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالا لبنى اسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد نزول التورية قيل حرم عليهم ما كانوا
يحرمونه قبل نزولها اقتداء بابيهم يعقوب عن السدى وقيل لم يحرمه الله عليهم فى التورية وانما حرم عليهم بعض التورية بظلمهم وكفرهم وكانت

بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت وذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم عن الكلبي وقيل لم يكن شيء من ذلك حراما في التورية وانما هو شيء حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم واضافوا تحريمه الى الله عن الضحاك
فكذبهم الله تعالى وقال قل يا محمد فأتوا بالتورية فاتلوها حتى يتبين انه كما قلت لا كما قلتم ان كنتم صادقين في دعواكم فاحتج عليهم
بالتورية وامرهم بالاتيان بها وبان تقرؤا ما فيها فانه كان في التورية انها كانت حلالا للانبيا وانما حرمها اسرائيل فلم يجسروا على احضار
التورية لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وآله وكذبهم وكان ذلك دليلا ظاهرا على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله اذ علم ان في التورية
ما يدل على كذبهم من غير ان تعلم التورية وقراها فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اى فمن افترى الكذب على الله من بعد قيام
الحجة وظهور البينة فاولئك المفترون على الله الكذب هم الظالمون لانفسهم بفعل ما اوجب العقاب عليهم وانما قال من بعد ذلك
لانه يستحق الوعيد بالكذب عليه على كل حال لانه اراد البيان انه انما يؤخذ به بعد اقامة الحجة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج
فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه النظم ووجه الاتصال الآية بما قبلها انها تفصيل الجملة المتقدمة فانه ذكر الترغيب
في الانفاق من المحبوب والطعام مما يحب ويرغب فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل انه لما تقدم محاجتهم في ملة ابرهيم وكان مما انكروا
على نبينا صلى الله عليه وآله تحليله لحم الجزور وادعوا تحريمه على ابرهيم وان ذلك مذكور في التورية فانزل الله هذه الآية تكذيبا لهم
قوله تعالى قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ آية اللغة الاتباع لحاق الثاني بالاول لما له من التعلق
فالقوة للاول والثاني يستمد منه والتابع ثان متدبر بتدبير الاول متصرف بتصريفه في نفسه واصل الحنف الاستقامة وانما وصف المايل
القدم بالحنف تفاؤلا وقيل اصله الميل فالحنيف ههنا المايل الى الحق فيما كان عليه ابرهيم من الشرع المعنى ثم بين سبحانه ان الصدق
فيما اخبر به فقال قل صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل وفي ان محمدا على دين ابرهيم وان دينه الاسلام
فاتبعوا ملة ابراهيم في استباحة لحوم الابل والبانها حنيفا اى مستقيما على الدين الذي هو شريعته في حجه ونسكه وطيب ماكله و
تلك الشريعة هي الحنيفية وقيل مائلا عن سائر الاديان الباطلة الى الدين الحق وما كان من المشركين برى الله سبحانه ابرهيم مما كان
ينسبه اليهود والنصارى اليه بزعمهم انهم على دينه وكذلك مشركو العرب واخبر ان ابراهيم كان بريا من المشركين ودينهم والصحيح ان نبينا
صلى الله عليه وآله لم يكن متعبدا بشريعة من تقدم من الانبياء ولكن وافقت شريعة ابراهيم فلذلك قال فاتبعوا ملة ابراهيم والا
فالله تعالى هو الذي اوحى بها اليه واوجبها عليه فكانت شريعة له وانما رغب الله سبحانه في شريعة الاسلام بانها ملة ابرهيم
لان المصالح اذا وافقت ما تميل اليه النفس وتقبله العقل بغير كلفة كانت احق بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون الى اتباع ملة ابرهيم
فلذلك خوطبوا بذلك قوله تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ آيتان القراءة
قرا اهل الكوفة غير ابي بكر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها الحجة قال سيبويه حج حجا وذكر الحج على هذا مصدر فهذا حجة لمن كسر
الحاء وقال ابو زيد الحج السنون واحدتها حجة قال ابو علي يدل على ذلك قوله ثماني حجج قال الحجة من حج البيت الواحدة قال سيبويه قالوا
حجة ارادوا عمل سنة ولم يجيئوا بها على الاصل ارادوا انها المرة منه من الفعل ولكن كسروه فجعلوه اسما لهذا المعنى كما قالوا غزاة نعمل
وجه واحد ولم يجيء فيه غزوة وكان القياس اللغة اول الشيء ابتداؤه ويجوز ان يكون المبتدا له اخر ويجوز ان لا يكون الآخر لان
الواحد اول العدد ولا نهاية للاخر ونعيم اهل الجنة له اول ولا آخر له واصل بكة من البك وهو الزحم يقال بكه يبكه بكا اذا زحمه وتباك
الناس اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اذا
الحدوا فيها بظلم لم يمهلوا والبك دق العنق واما مكة فيجوز ان يكون اشتقاقها لاشتقاق بكة وابدلت الميم من الباء كقولهم ضربة لازم
ولازم ويجوز ان يكون من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا مص مصا شديدا حتى لا يبقى منه شيئا وتمك المشاش مكا اذا
تمشش بقيه فسميت مكة بذلك لقلة مائها واصل البركة الثبوت من قولهم برك بروكا اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنموه
ومنه البركة شبه حوض يمسك الماء لثبوته فيه ومنه قوله تبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده الاعراب قوله مباركا نصب على

الحال

لحال بالظرف من بكه على معنى الذى استقر ببكه مباركا ويجوز ان يكون من الضمير فى وضع كانه قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز
ان يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز فى التقدير الاول واما رفع مقام ابرهيم فبانه خبر مبتداء محذوف وتقديره هى مقام ابرهيم وقيل
مقام ابرهيم عن الاخفش وقيل هو بدل من ايات عن ابى مسلم ومن استطاع اليه سبيلا فى موضع جر بدل من الناس وهو بدل
البعض من الكل النزول قال مجاهد تفاخر المسلمين واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لانها مهاجر
الانبياء وفى الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله عزوجل ان اول بيت وضع للناس المعنى
ان اول بيت وضع للناس اى بنى للناس ولم يكن قبله بيت مبنى وانما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق
الله سبحانه السماء والارض خلقه الله قبل الارض بالفى عام وكانت زبده بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدى وروى عن ابى عبد الله
عليه السلم انها كانت مهاة بيضاء فرفعه الله الى السماء وبقى اسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون
اليه ابدا فامر الله سبحانه ابرهيم واسمعيل ببنيان البيت على القواعد وقيل معناه ان اول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يحج اليه
البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة ولكنه اول بيت مبارك وهدى وضع للناس عن على عليه السلم والحسن وقيل اول بيت
رغب فيه وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى اصحابنا ان اول خلق الله من الارض موضع الكعبة ثم دحيت الارض من تحتها
وروى ابو ذر انه سئل النبى صلى الله عليه وآله عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس للذى ببكة قيل
بكة المسجد ومكة الحرام كله يدخل فيه البيوت عن الزهرى وضمرة بن ربيعة وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وعليه الاكثر وقيل
بكة بطن مكة عن ابى عبيدة وقيل بكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلد وعليه الاكثر وقيل بكة هى مكة والعرب تبدل الباء
ميما مثل سبد راسه وسمد راسه عن مجاهد والضحاك مباركا يعنى كثير الخير والبركة وقيل مباركا لثبوت العبادة فيه دايما ويحكى
ان الطواف به لا ينقطع ابدا وقيل لانه تضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس ورووا فيه حديثا طويلا وقيل لانه يغفر فيه
الذنوب ويجوز حمله على الجميع اذ لا تنافى وهدى للعالمين اى دلالة لهم على الله سبحانه باهلاكه كل من قصده من الجبابرة كاصحاب
الفيل وغيره وباجتماع الظبى فى حرمه مع الكلب والذيب فلا ينفر عنه فى غيره من البلاد وبامحاق الجمار على كثرة الرماة فلولا انها ترفع
لاجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء المريض بالبيت وبان لا يعلوه طير اعظاما له
الى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انهم يهتدون به الى جهة صلوتهم او يهتدون الى الجنة بحجه والطواف به فيه ايات
بينات اى دلالات واضحات والهاء فى فيه عايد الى البيت وروى عن ابن عباس انه قرا فيه آية بينة مقام ابرهيم فجعل مقام
ابرهيم وحده الاية وقرا الباقون ايات بينات مقام ابرهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها واركان البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم معنى ذكر مقام ابرهيم فى سورة البقرة
وسئل الصادق عليه السلم عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الى الاسود والباب قيل ولم سمى الحطيم قال لان الناس يحطمون بعضهم
بعضا وهو الموضع الذى تاب الله فيه على آدم وقال عليه السلم ان تهيا لك ان تصلى صلوتك كلها الفرايض وغيرها عند الحطيم
فافعل فانها افضل بقعة على وجه الارض وبعده الصلوة فى الحجر افضل وروى عن ابى حمزة الثمالى قال قال لنا على بن الحسين عليهما السلم
اى البقاع افضل فقلنا الله ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح
عليه السلم فى قومه الف سنة الا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل فى ذلك المقام ثم لقى الله عزوجل بغير ولايتنا لم ينفعه
ذلك شىء وقال الصادق عليه السلم الركن اليمانى بابنا الذى ندخل منه الجنة وروى انه من روى من ماء زمزم احدث له به شفاء وصرف
عنه داء وقال المفسرون ومن تلك الآيات مقام ابرهيم وامن الداخل فيه وامن الوحوش من السباع وانه ما علا عبد الكعبة الا عتق
واذا كان الغيث من جهة الركن اليمانى كان الخصب باليمن واذا كان من ناحية الركن الشامى كان الخصب بالشام واذا عم البيت
كان فى جميع البلدان وساير ما ذكرناه قبل من الايات وقوله ومن دخله كان آمنا عطف على مقام ابرهيم وفى مقام ابرهيم عليه السلم
دلالة واضحة لانه حجر صلد يرى فيه اثر قدميه ولا يقدر احد ان يجعل الحجر فى لين الطين الا الله سبحانه وروى عن ابن عباس انه قال
ان الحرم كله مقام ابرهيم ومن دخل مقام ابرهيم يعنى الحرم كان امنا وقيل فيه اقوال احدها ان الله تعالى عطف قلوب العرب

فى الجاهلية عن ترك التعرض لمن لاذ بالحرم والجاهلية وان كبرت جريمته ولم يزده الاسلام الا شدة عن الحسن وثانيها انه خبر والمراد به الامر
ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو
المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم وعلى هذا يكون تقديره من دخله فامنوه وثالثها ان معناه من دخله عارفا بجميع ما اوجبه
الله عليه كان امنا فى الاخرة من العقاب الدايم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم واجمعت الامة على ان من اصاب فيه ما يوجب
الحد اقيم عليه الحد فيه ثم لما بين الله سبحانه فضيلة بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الاسلام فقال ولله على الناس حج البيت اى من وجد
اليه طريقا بنفسه وماله واختلف فى الاستطاعة فقيل هو الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه معه دخول مكة باى
وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول اليه والمروى عن ائمتنا عليهم السلم انه وجود الزاد والراحلة ونفقة من يلزمه
نفقته والرجوع الى كفاية اما من مال او ضياع او حرفة مع الصحة فى النفس وتخلية السرب من الموانع وامكان السير ومن كفر معناه
ومن جحد فرض الحج ولم يره واجبا عن ابن عباس والحسن فان الله غنى عن العالمين لم يتعبدهم بالعبادة لحاجته اليها وانما تعبدهم
بها لما علم من مصالحهم وقيل ان المعنى به اليهود فانه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فامروا
بالحج فلم يحجوا فعلى هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غنى عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لان
امتثال امر الله شكر لنعمته وترك المامور به كفران النعمة وقد روى عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال من لم يحبسه
حاجة ظاهرة من مرض حابس او سلطان جاير ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وروى عن ابى عبد الله عليه السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد وفى هذه الآية دلالة على فساد
قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لان الله سبحانه اوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن الا قبل
فعل الحج النظم وجه اتصال الاية بما قبلها ان الله سبحانه امر اهل الكتاب باتباع ملة ابرهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر
سبحانه البيت وفضله وحرمته وما يتعلق به فى قوله ان اول بيت وضع للناس قوله تعالى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ آيتان اللغة البغية الطلب يقال بغيت الشئ ابغيه قال عبد بنى الحسحاس بغاك وما تبغيه حتى وجدته كانك قد واعدته
امس موعدا اى طلبك وما تطلبه ويقال ابغنى كذا بكسر الهمزة اى اطلبه لى واصله ابغ لى فحذفت اللام لكثرة الاستعمال واذا قلت
ابغنى بفتح الهمزة فمعناه اعنى على طلبه ومثله احملنى اى احمل لى واجلب لى واجلبنى اعنى على الجلب فالعوج بفتح العين ميل كل شى منتصب
نحو القناة والحايط وبكسر العين هو الميل عن الاستواء فى طريق الدين وفى القول وفى الارض ومنه قوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا
الاعراب من آمن فى موضع نصب بانه مفعول يصدون والكناية فى قوله تبغونها راجعة الى السبيل المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج
اهل الكتاب فقال سبحانه مخاطبا للنبى صلى الله عليه وآله بامره بخطاب اليهود والنصارى وقيل لليهود خاصة قل يا اهل الكتاب اى
قل يا محمد لهم لم تكفرون بآيات الله اى بالمعجزات التى اتاها محمد والعلامات التى وافقت فى صفته ما تقدمت به البشارة به فيما هم اهل
الكتاب وان لم يعلموا بهم لم يجز ذلك فى اهل القران لوجهين احدهما ان القران اسم خاص لكتاب الله تعالى واما الكتاب فلا ينبى
عن ذلك بل يجوز ان يراد به يا اهل الكتاب المحرف عن جهته والثانى الاحتجاج عليهم بالكتاب لاقرارهم به فكانه قيل يا من يزون
بانهم من اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ وانما جاء التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث
انه سوال تعجيز عن اقامة العذر فكانه قال هاتوا العذر فى العدول ان امكنكم والله شهيد على ما تعملون اى حفيظ على اعمالكم محص لها
ليجازيكم عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجة عليكم فيها وقال عز اسمه فى هذا الموضع قل يا اهل الكتاب وفى موضع
آخر يا اهل الكتاب لانه سبحانه خاطبهم فى موضع على جهة التلطف فى استدعايهم الى الايمان واعرض عن خطابهم فى موضع آخر وامر
نبيه سبحانه بخطابهم استحقاقا لهم بصدهم عن الحق قل يا محمد يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن اى لم تمنعون المؤمنين
عن دين الاسلام الذى هو دين الله وسبيله واختلف فى كيفية صدهم عن سبيل الله فقيل انهم كانوا يغرون بين الاوس والخزرج

من استطاع اليه سبيلا ومعناه وقفه من استطاع
الحج البيت سبيلا من الناس حج البيت ٤٣

بتذكيرهم

بتذكرهم الحروب التى كانت بينهم فى الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخوا عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الاية فى
اليهود خاصة وقيل الاية فى اليهود والنصارى ومعناها لم تصدون بالتكذيب بالنبى صلى الله عليه وآله وان صفته ليست فى كتبكم
عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الاصم تبغونها عوجا اى يطلبون لسبيل الله عوجا عن سمت الحق وهو الضلال فكانه قال
تبغونها ضلالا بالشبه التى تدخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون ذلك السبيل لا على وجه الاستقامة اى على غير الوجه الذى ينبغى ان يطلب
وقوله وانتم شهداء فيه قولان احدهما ان معناه انتم شهداء بتقدم البشارة بمحمد فى كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه وتريدون ان
تعدلوه عنه والاخر ان المراد وانتم عقلاء كما قال سبحانه او القى السمع وهو شهيد اى عاقل وذلك انه يشهد الدليل الذى يميز به بين الحق
والباطل فيما يتعلق بالدين وما الله بغافل عما تعملون هذا تهديد لهم على الكفر قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ
بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ آيتان اللغة الطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والاجابة موافقة الارادة الداعية الى
الفعل ولذلك يجوز ان يكون الله سبحانه مجيبا لعبده اذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له واصل الاعتصام الامتناع
وعصمه يعصمه اذا منعه ولا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع والعصام الحبل لانه يعتصم به والعصم الاوعال لامتناعها بالجبال النزول
نزلت فى الاوس والخزرج لما اغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم فى الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدى وقيل نزل
قوله وكيف تكفرون فى مشركى العرب عن الحسن المعنى ثم حذر سبحانه المؤمنين عن قبول قولهم فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا
الله ورسوله وهو خطاب للاوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين فى عموم اللفظ ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
معناه ان تطيعوا هؤلاء اليهود فى قبول قولهم واحياء الضغائن التى كانت بينكم فى الجاهلية يردوكم بعد ايمانكم كافرين اى يرجعوكم
كفارا بعد ايمانكم ثم اكد سبحانه الامر وعظم الشان فقال وكيف تكفرون اى على اى حال يقع منكم الكفر وانتم تتلى عليكم ايات الله وهذا
استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله سبحانه وفيهم داع يدعوهم الى الايمان وقيل هو التعجب اى لا ينبغى لكم ان تكفروا
مع ما يقرأ عليكم فى القرآن المجيد من الايات الدالة على وحدانية الله تعالى ونبوة نبيه صلى الله عليه وآله وفيكم رسوله وفيكم رسول
القوم الذين كان النبى صلى الله عليه وآله بين اظهرهم خاصة ويجوز ان يكون المراد به جميع امته لان اثاره وعلاماته من القرآن وغيره
فينا قائمة باقية فذلك بمنزلة وجوده فينا حيا ومن يعتصم بالله اى يتمسك بكتابه وآياته وبدينه وقيل من يمتنع بالله عمن سواه بان
يعبده لا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع عن الكفر والهلاك بالايمان بالله وبرسوله فقد هدى الى صراط مستقيم الطريق واضح
قال قتادة فى هذه الآية علمان بينان كتاب الله ونبى الله فاما نبى الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة
فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل انهم شاهد وانى نفسه صلوات الله عليه معجزات كثيرة منها انه كان يرى من خلفه
كما يرى من قدامه ومنها انه كان تنام عينيه ولا ينام قلبه ومنها ان ظله لم يقع على الارض ومنها ان الذباب لم يقع عليه ومنها ان الارض كانت
تبتلع ما يخرج منه فكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها انه كان لا يطوله احد وان طال ومنها انه كان بين كتفيه خاتم النبوة ومنها انه كان
يسطع نورا بين جنبيه فى الليل المظلم ومنها انه خلق مختونا الى غير ذلك من الايات قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝
ايتان اللغة تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلثة اوجه تقاة ووقاة واقاة حمله على قياس وجوه واجوه وان كان هذا المثال
لم يجئ منه شئ على الاصل نحو تخمة وتكاة غير انه حمله على الاكثر من نظائره والحبل السبب الذى يوصل به الى البغية كالحبل الذى يتمسك
به للنجاة من بئر ونحوها ومنه الحبل الامان لانه سبب النجاة قال الاعشى واذا اتجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى اليك حبالها ومنه
الحبل للحمل فى البطن واصله الحبل المفتول قال ذو الرمة هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم ام هل لها آخر الايام تكليم وشفا الشئ مقصور
حرفه وشئ شفوات وجمعه اشفاء واشفا على الشئ اشرف عليه واشفى المريض على الموت من ذلك الاعراب قوله وانتم مسلمون جملة

عشر
ع ١

في موضع الحال وقوله جميعا نصب على الحال ايضا واعتصموا في حال اجتماعكم اي كونوا مجتمعين على الاعتصام ولا تفرقوا اصله لا تتفرقوا
فحذف احدى التائين كراهة لاجتماع المثلين والمحذوفة الثانية لان الاولى علامة الاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط
النون وقوله فانقذكم منها الكناية في منها عائدة الى الحفرة وترك شفا ومثله قول العجاج طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي
وطوين عرضي فترك الطول واخبر عن الليالي النزول قال مقاتل افتخر جماعة من الاوس والخزرج ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن
زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر
ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا وناديا
فجاء الاوسي الى الاوسي والخزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فركب حمارا واتاهم فانزل الله هذه الآيات فقراها
عليهم فاصطلحوا المعنى لما نهى سبحانه عن قبول قول الكافرين بين في هذه الآيات ما يجب قبوله فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته معناه اتقوا عذاب الله اي احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق وكما يجب ان يتقى وينبغي ان يحترس
وذكر في قوله حق تقاته وجوه احدها ان يقال ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن مسعود والحسن وقتادة وهو
المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وثانيها انه اتقاء جميع معاصيه عن ابي علي الجبائي وثالثها انه المجاهدة في الله وان لا يأخذه فيه لومة
لائم وان يقام بالقسط في الخوف والامن عن مجاهد ثم اختلف فيه ايضا على قولين احدهما انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم
عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم والآخر انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاوس وذكر
الجبائي نسخ الآية لما فيه من اباحة بعض المعاصي قال الرماني والذي عندي انه اذا وجه قوله اتقوا الله حق تقاته على ان تقوموا له بالحق
في الخوف والامن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لانه لا يمتنع ان يكون اوجب عليهم ان يتقوا الله على كل حال ثم اباح ترك الواجب عند
الخوف على النفس كما قال الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون قد ذكرنا في سورة البقرة ان معناه لا تتركوا
الاسلام وكونوا عليه حتى اذا جاءكم الموت صادفكم عليه وانما قال بلفظ النهي عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه وانما النهي في
الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا تهلكوا بالانقطاع عن التمكين منه بالموت الا انه وضع كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال لحسن
الاستعارة وزوال اللبس وروي عن ابي عبد الله عليه السلم وانتم مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما اتى به النبي صلى الله
عليه وآله ومنقادون له واعتصموا بحبل الله اي تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى حبل الله اقوال احدها انه القرآن
عن ابي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي وروي مرفوعا وثانيها انه دين الله والاسلام عن ابن عباس وابن زيد وثالثها
ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليه السلم قال نحن حبل الله الذي قال واعتصموا بحبل الله جميعا والاولى حمله على الجميع والذي يؤيده
ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ايها الناس اني تركت فيكم خليفتين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي
احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ولا
تفرقوا عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة وقيل معناه لا تتفرقوا
عن رسول الله عن الحسن وقيل عن القرآن بترك العمل به واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بالاسلام نزلت
تلك الاحقاد عن ابن اسحق وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائل عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومننه عليكم بالاسلام
وبالائتلاف ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما اعده لكم من الثواب الجزيل في الآجل
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بجمعكم على الاسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا متواصلين واحبابا
متجالسين بعد ان كنتم متعادين متحاربين وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مراد الآخر لان اصل الاخ من توخى الشيء اذا
قصدته وطلبته وكنتم على شفا حفرة من النار اي وكنتم يا معشر اصحاب على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينكم وبينها الا الموت فانقذكم الله منها بان
ارسل اليكم رسولا هداكم للايمان ودعاكم اليه فنجوتم باجابته من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة

من هو فيها من حيث كانوا مجتمعين لدخولها قال ابو الجوزا قرا ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها واعرابي يسمع فقال الاعرابي لكم آياته اى الدلالات والحجج فيما امركم ونهاكم عنه لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا الى الحق و الصواب **قوله تعالى** وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ● ايتان اللغة الامة اشتقاقها من الام الذى هو القصد وفى اللغة يستعمل على ثمانية اوجه منها الجماعة ومنها اتباع الانبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة لانه يأتم به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله سبحانه الى امة معدودة ومنها القامة يقال رجل حسن الامة اى القامة ومنها النعمة ومنها الامة بمعنى الام الاعراب منكم امة من هنا للتبعيض على قول اكثر المفسرين لان الامر بالمعروف وانكار المنكر ليسا بفرضين على الاعيان وهما من فروض الكفايات فاى فرقة قامت بها سقطا عن الباقين ومن قال هما من فروض الايمان قال ان من هنا للتبيين وتخصيص للمخاطبين من بين ساير الاجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقول الشاعر اخو رغايب يعطيها ويسليها يعطى الظلامة منه النوفل الزفر اى هو النوفل الزفر لانه وصفه باعطاء الرغايب والنوفل الكثير الاعطاء والزفر الذى يحمل الاثقال المعنى ولتكن منكم امة اى جماعة يدعون الى الخير اى الى الدين ويامرون بالمعروف بالطاعة وينهون عن المنكر اي المعصية واولئك هم المفلحون اى الفائزون وقيل كلما امر الله تعالى ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا اوشرعا والمنكر ما ينكره العقل او الشرع وهذا يرجع فى المعنى الى الاول وروى عن ابى عبد الله عليه السلم ولتكن منكم امة وكنتم خير امة اخرجت للناس وفى هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعظم محلهما و موقعهما من الدين لانه سبحانه علق الفلاح بهما واكثر المتكلمين على انهما من فروض الكفايات ومنهم من قال هما من فروض الاعيان واختاره الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه والصحيح ان ذلك انما يجب بالسمع وليس فى العقل ما يدل على ذلك الا اذا كان على سبيل دفع الضرر وقال ابو على الجبائى يجب عقلا والسمع يؤكده ومما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبى صلى الله عليه وآله قال من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن درة بن ابى لهب قالت جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس وقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم الله وارضاهم وقال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر اوليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة يأتى على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم امر سبحانه بالجماعة وترك التفرق فقال سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا فى الدين وهم اليهود والنصارى عن الحسن والربيع فكانه قال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كاليهود والنصارى واختلفوا قيل معناه تفرقوا ايضا وذكرهما للتاكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر متى ادن منه ينا عنى ويبعد وقيل بل معناه كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الديانة من بعد ما جاءهم البينات اى الحجج والكتب وبين لهم الطريق واولئك لهم عذاب عظيم عقوبة على تفرقهم واختلافهم بعد مجيء الآيات والبينات وظاهر الاية يدل على تحريم الاختلاف فى الدين وان ذلك مذموم قبيح منهى عنه **قوله تعالى** يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَاَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ اَكَفَرْتُمْ بَعْدَ اِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَاَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ● ايتان الاعراب العامل فى قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب لانه موصوف قد فصلت صفته عنه وبين معموله لكن يجوز ان يعمل فيه الجملة لانه فى معنى يعذبون كما تقول المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما فى قوله فاما الذين اسودت وجوههم محذوف وتقديره فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كانه ناطق به وقد يحذف القول فى مواضع كثيرة واستغنا بما قبله من البيان كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اى يقولون ربنا الدلالة تنكيس الراس على سوال الاقالة ومثله كثير المعنى يوم تبيض

وجوه وتسود وجوه اخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب اي يثبت لهم العذاب في يوم هذه صفته وانما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا
لهم على الايمان والطاعة وتسود الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيآت بدلالة ما بعده وهو قوله فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم واختلف فيمن عنوا به على اقوال احدها انهم الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق عن الحسن
وثانيها انهم جميع الكفار لاعراضهم عما وجب عليهم الاقرار به من التوحيد حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فيقول كفرتم
بعد ايمانكم بعد الميثاق عن ابي بن كعب وثالثها انهم اهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله بعد ايمانهم به اي بنعته وصفته قبل
مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائي ورابعها انهم اهل البدع والاهواء من هذه الامة عن علي عليه السلم ومثله عن قتادة
انهم الذين كفروا بالارتداد وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني اقوام حتى
اذا رايتهم اختلجوا من دوني فاقول اصحابي اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على اعقابهم القهقرى ذكره
الثعلبي في تفسيره وقال ابو امامة الباهلي هم الخوارج وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرمية والالف في اكفرتم اصله الاستفهام والمراد به التقريع اي لم كفرتم وقيل المراد التقرير اي قد كفرتم فذوقوا العذاب اي بلفظ الذوق
على التوسع ومعناه انظروا ما صار اليه عاقبتكم من عذاب الله تعالى بما كنتم تكفرون اي بكفركم واما الذين ابيضت وجوههم وهم
المؤمنون ففي رحمة الله اي ثواب الله وقيل جنة الله هم فيها خالدون اعاد كلمة الظرف وهي قوله فيها تاكيد التمكين المعنى في النفس
وقيل انما اعادها لانه دل بقوله ففي رحمة الله على ادخاله اياهم في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون على خلودهم فيها وسمى الله سبحانه الثواب
رحمة والرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل شكر تفضل والوجه في ذلك ان سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون الثواب
على هذا الوجه تفضلا وقيل انما جاز ان يكون تفضلا لانه بمنزلة انجاز الوعد في انه تفضل مستحق لان المبتدي به قد كان له ان لا يفعله
فلما فعله وجب عليه الوفاء به لان الخلف قبيح فهو مع ذلك تفضلا لا نجز اليه تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه
اشراقها واستنارتها للسرور بنيل البغية والظفر بالمنية وان استنارتها بما يصير اليه من الثواب كقوله سبحانه وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها ظهور اثر الحزن عليها لما تصير اليه من العقاب كقوله وجوه يومئذ باسرة ووجوه يومئذ
عليها غبرة وفي هذا القول عدول عن حقيقة اللفظ من غير ضرورة والاصل الاول قوله تعالى تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ آيتان المعنى تلك آيات الله اي تلك التي
قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبيناته نتلوها عليك يا محمد وعلى امتك ونذكرها لك ونعرفك اياها ونقصها عليك بالحق اي
بالحكمة والصواب وما الله يريد ظلما للعالمين معناه لا يظلمهم بان يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه وينقصهم من الثواب.
وانما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم او لحاجته اليه من دفع ضرر او جر نفع يتعالى الله عن صفته بالجهل والحاجة وسائر صفات النقص
علوا كبيرا وكيف يجوز ان يظلم احدا وهو الذي خلقهم وانشاهم وابتدأهم واتاهم من النعم ما لا تسمو اليه هممهم وعرضهم بها لما
هو اعظم منها قدرا واجل خطرا وهو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا
خلقا والى الله ترجع الامور اختلفوا في كيفية رجوع الامور الى الله تعالى فقيل ان الامور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله تعالى للمجازاة
وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده في الدنيا امورا وجعل لهم تصرفا فجميع ذلك يزول في الآخرة ويرجع اليه كله كما قال سبحانه
لمن الملك اليوم وفي وقوع المظهر موقع المضمر في قوله والى الله ترجع الامور قولان احدهما ان يكون كل واحد مكتفيا بنفسه والآخر
التفخيم في الذكر والموضع موضع تفخيم كقول الشاعر لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا لان البيت
مفتقر الى الضمير والآية مستغنية قوله تعالى كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ آية المعنى لما تقدم ذكر الامر
والنهي عقبه سبحانه بذكر من تصدق للقيام بذلك ومدحهم ترغيبا في الاقتداء بهم فقال كنتم خير امة اخرجت قيل فيه اقوال
احدها ان معناه انتم خير امة وانما قال كنتم لتقدم البشارة بهم في الكتب الماضية عن الحسن ويعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه

وآله

نصف الحزب

وآله انه قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل وثانيها ان المراد كنتم خير امة عند الله فى اللوح المحفوظ عن الفراء والزجاج
وثالثها ان كان ههنا تامه وخير امه نصب على الحال ومعناه وجدتم خير امه ورابعها ان كان مزيدة دخولها كخروجها الا ان فيها تاكيد
الوقوع الامر لا محالة لانه بمنزلة ما قد كان فى الحقيقة فهى بمنزلة قوله واذكروا اذ انتم قليل وفى موضع آخر اذ كنتم قليلا فكثركم ونظيره
قوله وكان الله غفورا رحيما لان مغفرته المستانفة كالماضيه فى تحقيق الوقوع وخامسها ان كان بمعنى صار كما فى قول الشاعر
فخر على الالاءة لم يوسد وقد كان الدماء له خمارا ومعناه صرتم خير امة خلقت لامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وايمانكم بالله
فتصير هذه الخصال على هذا القول شرطا فى كونهم خيرا وقد روى عن بعض الصحابة انه قال من اراد ان يكون من خير الامة فليود
شرط الله تعالى فيه بالايمان بالله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واختلف فى المعنى بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصه
عن ابن عباس والسدى وقيل نزلت فى ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفه عن عكرمة وقيل هم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابه ولكنه يعم سائر الامه ثم ذكر سائر مناقبهم
فقال يامرون بالمعروف اى بالطاعات وينهون عن المنكر عن المعاصى ويسال فيقال ان القبيح يعرف ايضا انه قبيح فلم خص
الحسن باسم المعروف وجوابه ان القبيح جعل بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة البينة الجليل القدر يعرف
بالنباهة وعلو قدره ويؤمنون بالله اى بتوحيده وعدله ودينه ولو آمن اهل الكتاب اى لو صدقوا بالنبى صلى الله عليه وآله
وبما جاء به لكان خيرا لهم فى الدنيا والآخرة لانهم ينجون بما فى الدنيا من القتل وفى الآخرة من العذاب ويفوزون بالجنة منهم
اى من اهل الكتاب المؤمنون اى المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفة نبينا صلى الله عليه وآله والبشارة به كعبد الله بن
سلام واصحابه من النصارى واكثرهم الفاسقون اى الخارجون عن طاعة الله وانما وصفهم بالفسق دون الكفر الذى هو
لان الغرض الايذان بانهم خرجوا عما يوجبه كتابهم قوله تعالى لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا
يُنصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ • آيتان الاعراب
الا اذى استثناء متصل وقوله اذى فى تقدير النصب ومعناه لن يضروكم الا ضررا يسيرا فالاذى وقع موقع المصدر وقيل هو
استثناء منقطع لان الاذى ليس من الضرر كقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا قال على بن عيسى هذا ليس بصحيح لان
الكلام اذا امكن فيه الاستثناء الحقيقى لم يجز حمله على المنقطع ويقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء وعلامة الجزم فيهما سقوط النون وقوله
لا ينصرون رفع على الاستيناف ولم يجز على العطف لانه سبب التولية القتال وليس كذلك منع النصر لان سببه الكفر ولان الرفع
اشكل برؤس الاى المتقدمه وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل فى الباء من قوله بحبل من الله ضربت عليهم الذلة بكل
حال وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره الا ان يعتصموا بحبل من الله وانشد رأتنى بحبليها فصدت مخافة وفى الحبل روعاء
الفؤاد فروق اراد رأتنى اقبلت بحبليها فصدت فحذف العامل فى الباء وقال آخر قربت الخطو يحسب من رآنى ولست مقيدا
انى بقيد قال على بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين احدهما ان حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لانه اذا احتاج الى
اصله تبيين عنه فالحاجة الى البيان عنه بذكره اشد وانما يجوز حذف الشئ للاستغناء عنه بدلالة غيره عليه فلو دل دليل عليه بحذف
مع صلته لانه معها بمنزلة شئ واحد والوجه الآخر ان الكلام اذا صح معناه من غير حذف لم يجز تاويله على الحذف وقيل فى هذا
الاستثناء انه منقطع لان الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ فعامل الاعراب
موجود والمعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وكل انقطاع ففيه ازالة الابهام الذى يلحق الكلام فقوله
لا يسمعون فيها لغوا قد يوهم انه من حيث لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون كلاما فقيل لذلك الا سلاما وكذلك قوله وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا قد يوهم انه لا يقتل مؤمن مؤمنا على وجه فقيل لذلك الا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يوهم انه
من حيث لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون كلاما فقيل لذلك الا سلاما وكذلك قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا قد يوهم

انه لا يقتل مؤمن مؤمنا على وجه فقيل لذلك الا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يؤمنهم انه من غير جواز موادعة فقيل الا بحبل من الله وقيل
ان الاستثناء متصل لان غير المسلمين عزلهم بالذمة ولهذا لا يخرجهم من الذلة في انفسهم النزول قال مقاتل ان رؤس اليهود مثل كعب وابي
رافع وابي ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا الى مؤمنيهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانبوهم لاسلامهم فنزلت الآية المعنى لن يضروكم الا اذى
وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرون عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة الا اذى من جهة القول ثم اختلفوا في
هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذي وان يقاتلوكم اي
وان يتجاوزوا عن الاذى باللسان الى القتال والمحاربة يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون اي لا يعاونون لكفرهم وفي هذه
الآية دلالة على صحة نبينا صلى الله عليه وآله لوقوع مخبره على وفق خبره لان يهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود
خيبر الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين لم يثبتوا لهم قط وانهزموا ولم ينالوا من المسلمين الا بالسب والطعن ضربت
عليهم الذلة اي الزمت عليهم الذلة وانزلت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب القباب والخيام عن ابي مسلم وقيل
معناه الزموا الذلة فثبتت فيهم من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده اي الزمها اياه قال الحسن ضربت الذلة على اليهود فلا
يكون لها منعة ابدا وقيل معناه فرضت عليهم الجزية والهوان فلا يكونون في موضع الا بالجزية ولقد ادركهم الاسلام وهم
يؤدون الجزية الى المجوس اينما ثقفوا اي وجدوا واخذوا وظفر بهم الا بحبل من الله اي بعهد من الله وحبل من الناس على وجه
الذمة وغيرها من وجوه الامان عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسمي العهد حبلا لانه يعقد به الامان كما يعقد
الشيء بالحبل وباءوا بغضب من الله اي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه وقيل معناه استوجبوا غضبا من الله وضربت
عليهم المسكنة اي الذلة لان المسكين لا يكون الا ذليلا فسمي الذلة مسكنة عن ابي مسلم وقيل المراد به الفقر لان اليهود ابدا
يتفاقرون وان كانوا اغنياء وقد ذكرنا ما بقي من تفسير الآية في سورة البقرة النظم ووجه اتصال الآية بما قبلها اتصال البشارة
بالظفر لما تقدم الامر بالمحاربة لان الامر قد تقدم بانكار المنكر وقيل لما تقدم ان اكثرهم فاسقين اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين
من عداوتهم ويؤمن من مضرتهم قوله تعالى لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ آيتان اللغة
قيل في واحد آناء قولان احدهما انى مثل نحى والآخر انى مثل معى قال الشاعر حلو ومر كعطف بن مر بكل انى حذاه الليل ينتعل وحكى
الاخفش انو بالواو والمسارعة المبادرة وهي من السرعة والفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز ان يتقدم فيه وهي محمودة
وضدها الابطاء وهو مذموم والعجلة هي التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الاناة وهي محمودة النزول
قيل سبب نزول الآية انه لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا فانزل الله تعالى ليسوا سواء الى قوله
من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من
الروم كانوا على عهد عيسى عليه السلام وصدقوا محمدا صلى الله عليه وآله المعنى ليسوا سواء اختلفوا في تقديره فالقول الصحيح ان
هذا وقف تام وقوله من اهل الكتاب ابتداء كلام ومعناه ليس الذين ذكرنا من اهل الكتاب سواء اي ليس الذين آمنوا من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه والذين لم يؤمنوا سواء في الدرجة والمنزلة ثم استأنف وبين افتراقهم فقال من اهل الكتاب امة
قائمة فحصل بهذا بيان الافتراق وهذا كما لو اخبر القائل عن قوم بخبر فقال بنو فلان يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فان منهم من
يفعل كذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء
كلام وقال ابو عبيدة هو على لغة اكلوني البراغيث ومثله قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقول الشاعر رأين الغواني الشيب لاح بعارضي
فاعرضن عني بالخدود النواضر قال الزجاج والرماني وليس الامر كما قال لان ذكر اهل الكتاب قد جرى فاخبر سبحانه انهم غير
متساوين ولان هذه اللغة رديئة في القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم امة قائمة وامة غير قائمة فحذف اكتفاء بذكر احد
الفريقين كما قال ابو ذويب عصيت اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها ولم يقل ام غي وقال آخر اراك فلا ادري ام

همته وذو الهم قد ما خاشع متضائل ولم يقل ام غيره لان حاله في التغير يشير الى اللهم غيره ام غيره وعلى هذا يكون رفع امة على معنى الفعل
وتقديره لا يستوي امة هادية وامة ضالة وعلى القول الاول رفع على الابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال ليس بنا حاجة هنا الى
تقدير محذوف لان ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج الى ان يقدر
امة غير قايمة وقد تقدم صفتهم في قوله يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء وقوله امة قايمة فيه وجوه احدها ان معناها جماعة
ثابتة على امر الله تعالى عن ابن عباس وقتادة والربيع وثانيها عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج وثالثها قايمة بطاعة الله عن
السدي ورابعها ان التقدير ذوو امة قايمة اي ذو طريقة مستقيمة عن الزجاج وانشد النابغة وهل ياثمن ذو امة وهو طايع اي
ذو طريقة من طرايق الدين قال علي بن عيسى وهذا القول ضعيف لانه عدول عن الظاهر وحكم بالحذف من غير دلالة يتلون ايات الله
يقرؤن كتاب الله وهو القران اناء الليل ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع وقيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل اراد به وقت
صلوة العتمة لان اهل الكتاب لا يصلون فيها يعني انهم لا يصلون صلوة العتمة عن ابن مسعود وقيل انه الصلوة ما بين المغرب الى
العشاء الآخرة عن الثوري وهي الساعة التي تسمى ساعة الغفلة وهم يسجدون قيل اراد السجود المعروف في الصلوة فيكون
معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو لعطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون فعبر بالسجود عن الصلوة لان السجود ابلغ
الاركان في التواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لان القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال
اي يتلون ايات الله بالليل في صلواتهم وهو قول الجبائي ايضا يؤمنون بالله اي بتوحيده وصفاته واليوم الاخر اي اليوم المتاخر عن
الدنيا يعني البعث يوم القيمة ويامرون بالمعروف الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وينهون عن المنكر عن انكار نبوته و
يسارعون في الخيرات اي يبادرون في فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات بالموت وقيل معناه يعملون الاعمال الصالحة غير
متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها واولئك من الصالحين اي من جملتهم وفي عدادهم وهذا نفي لقول من قال انهم ما آمن به
الا شرارنا وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع صلوة الليل من الله سبحانه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ركعتان
يركعها العبد في جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتها عليهم وقال ابو عبد الله عليه السلم
ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لاهل السماء كما تضيء نجوم السماء لاهل الارض وقال عليه السلم عليكم
بصلوة الليل فانها سنة نبيكم وداب الصالحين قبلكم ومطردة الداء عن اجسادكم قوله تعالى وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ
يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ • آية القراءة قرا اهل الكوفة الا ابا بكر بالياء فيهما والباقون بالتاء الا ابا عمرو فانه كان يخير الحجة
وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمن تقدم ذكره من اهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خلطهم
بغيرهم من المكلفين ويكون خطابا للجميع في ان حكمهم واحد الاعراب وما تفعلوا ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وانما
جوزي بما ولم يجازى بكيف لان ما امكن من كيف لانها معرفة وكيف لا تكون الا نكرة لانها الحال والحال لا تكون الا نكرة للفايدة
المعنى وما تفعلوا من خير اي من طاعة فلن تكفروه اي لم يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفرا على الاتساع لانه بمنزلة الجحد و
الستر له ومعناه لا يجحد طاعتكم ولا يستر بمنع الجزاء وهذا كما يوصف الله سبحانه بانه شاكر وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب
الشاكر على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر لان الشكر في الاصل هو الاعتراف بالنعمة
والكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها والله عليم بالمتقين اي باحوالهم فيجازيهم وانما خص المتقين بالذكر وان كان عليما
بالكل لان الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنبه بذلك على انه لا يضيع شيء من عملهم قل ام كثر لان المجازي عليم بكل شيء وهذه الآية
تدل على ان شيئا من اعمال الخير والطاعة لا يبطل البتة خلافا للقول من قال بالاحباط قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ
عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ • آيتان اللغة
يقال اغنى عنه اذا دفع عنه ضرر الولاء انزل به واذا قيل اغناه كذا عن كذا فاد ان احد الشيئين كلما صار بدلا عن الآخر في نفي الحاجة

والغنا الاختصاص بماينفى الحاجة فان اختص بمالا ينفى الحاجة فذلك غنى وكذلك الغنى بالجاه والاصحاب وغيرذلك فاما الغنى
فى صفات الله فهو اختصاص بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شئ وقولنا فيه انه غنى معناه انه لا يجوز عليه الحاجة واصحاب النار انما سموا
بذلك لملازمتهم فيها كما يقال اصحاب الصحراء اذ كانوا ملازمين لها وقد يقال اصحاب القفار بمعنى ملاكه واصحاب الرجل اعوانه
واتباعه واصحاب العالم المتعلمون منه فالاضافات تختلف واصل المصاحبة الملازمة والنار اصله من النور وهو جسم
لطيف فيه حرارة ونور واعتماد علوى والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارتياح
والروح والراحة من التعب ومنه الروح لانها كالريح فى اللطافة ومنه الرائحة لان الريح تحملها الى الحس والصر البرد الشديد
واصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج الصر صوت لهيب النار التى كانت فى تلك الريح ويجوز ان يكون الصر صوت الريح
الباردة وذلك من صفات الشمال فانها توصف بان لها قعقعة والصرة شدة الرياح المعنى لما تقدم وصف المومنين
عقبه سبحانه ببيان حال الكافرين فقال ان الذين كفروا بالله ورسوله لن تغنى عنهم اموالهم اى لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم
من عذاب الله شيئا وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان هذين معتمد الخلق واعز الاشياء عليهم فاذا لم يغنيا عن الانسان
شيئا فغيرها اغناؤه ابعد واولئك اصحاب النار اى ملازموها هم فيها خالدون ثم ضرب مثلا لانفاقهم فقال مثل ما ينفقون
اى شبه ما يخرجون من اموالهم فى هذه الحيوة الدنيا قيل ما ينفقون على الكفار فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله
قيل هو ما انفقه ابو سفيان واصحابه ببدر واحد لما تظاهروا على النبى صلى الله عليه وآله وقيل هو ما انفقه سفلة اليهود
على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات الكفار ونفقاتهم فى الدنيا عن مجاهد وفى الآية حذف وتقديره مثل اهلاك
ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر فحذف اهلاك لدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح
فيكون تشبيه ذلك الانفاق بالمهلك من الحرث بالرياح فيها صر قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة
وقيل السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس ايضا اصابت حرث اى زرع قوم ظلموا انفسهم بالمعاصى فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم
عقوبة لهم وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا فى غير وقتها فجاءت الريح فاهلكته تاديبا من الله لهم فى وضع الشئ غير موضعه الذى
هو حقه وما ظلمهم الله فى اهلاك زرعهم لانهم استحقوا ذلك لظلمهم وقيل فى قتلهم وسبيهم لانهم استحقوها بكفرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ • آية اللغة
البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون امره ماخوذ من بطانة الثوب الذى يلى البدن لقربه منه وهى نقيض الظهارة ويسمى
بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الشاعر اولئك خلصاى نعم وبطانتى وهم عيبتى من دون كل قريب لا يالونكم اى لا
يقصرون فى امركم خبالا ولا يتركون جهدهم يقال لا يالوا اذا فتر وضعف وقصر ما الوته خيرا او شرا اى ما قصرت فى فعل ذلك
وقال امرء القيس وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آل اى مقصر فى الطلب والخبال الشر والفساد
ومنه الخبل بفتح الباء وهو يكون بها الجنون لانه فساد العقل ورجل مخبل الراى اى فاسد الراى ومنه الاستخبال طلب اعارة المال لفساد
الزمان قال زهير هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا واصل العنت المشقة عنت الرجل عنتا
دخلت عليه المشقة واكمه عنوت صعبة المسلك لمشقة السلوك فيها واعنت فلان فلانا حمله على المشقة الشديدة فيما
يطالبه به ومنه قوله ولو شاء الله لاعنتكم الاعراب من دونكم من للتبعيض والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين فى الدين بطانة
من المشركين وهذا اولى لانه اعم ولا يجوز ان يتخذ المؤمن كافرا بطانة على حال وقيل ان من ههنا زايدة وهذا غير حسن لان الحرف
اذا صح حمله على الفايدة لا يحكم فيه بالزيادة وقوله خبالا نصب بانه المفعول الثانى لان الالو تتعدى الى مفعولين ويجوز ان يكون
مصدرا لان المعنى يخبلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عنتم يجوز ان يكون نصبا بانه صفة لبطانة ويجوز ان يكون لا موضع له
من الاعراب لانها استيناف جملة وما فى قوله ما عنتم مصدرية وتقديره ودوا عنتكم النزول نزلت فى رجال من المسلمين كانوا

يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت فى قوم من المومنين
كانوا يصادقون المنافقون ويخالطونهم عن مجاهد المعنى نهى الله المومنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم
عليهم فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اى لا تتخذوا الكافرين اولياء وخواص من دون المومنين
تفشون اليهم اسراركم وقوله من دونكم اى من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه العلة فى المنع من مواصلتهم فقال لا يالونكم خبالا اى لا
يقصرون فيما يودى الى فساد امركم ولا يدعون جهدهم فى مضرتكم وقال الزجاج لا يبقون فى القائكم فيما يضركم قال واصل
الخبال ذهاب الشئ وقوله ودوا ما عنتم معناه تمنوا ادخال المشقة عليكم وقيل تمنوا اضلالكم عن دينكم عن السدى وقيل
تمنوا ان يعنتوكم فى دينكم اى يحملونكم على المشقة فيه عن ابن جريج وقوله قد بدت البغضاء من افواههم معناه ظهرت امارة
العداوة لكم على السنتهم وفى فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم وما تخفى صدورهم من البغضاء اكبر مما يبدونه بالسنتهم قد بينا
لكم الايات اى اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التى يتميز بها الولى من العدو ان كنتم تعقلون اى تعلمون الفضل بين العدو
والولى وقيل ان كنتم تعلمون مواعظة الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء فقد اتاكم من الله البيان الشافى قوله تعالى ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل
موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور • آية اللغة العض بالاسنان معروف ومنه العض علف الامصار لان له
مضغة فى العض يسمن عليها المال ورجل عض لزاز الخصم لانه يعضه بالخصومة والانامل اطراف الاصابع واصله المعروفه
فهو شبه فى الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اى نمام لانه ينقل الاحاديث كنقل النملة فى الخفا والكثرة الاعراب قال الازهرى
يحتمل ان يكون اولاء منادى كانه قال ها انتم الذى تحبونهم ولا يحبونكم وجايز ان يكون تحبونهم حالا وتؤمنون عطف على
تحبون ولا يجوز ان تقول هاء قومك اولاء كما جاز ها انتم اولاء لان المضمر احق بهاء التى للتنبيه لانه كالمبهم فى عموم ما يصلح
ليس كذلك الظاهر المعنى ثم بين سبحانه ما هم عليه من عداوة المومنين تاكيدا للنهى عن مصافاتهم فقال ها انتم اولاء تحبونهم
قد مر ذكر معناه فى الاعراب وتقديره ها انتم الذين تحبونهم او ها انتم اولاء محبين لهم اذا قلنا انه بمعنى الحال اى تنبهوا فى حال
محبتكم اياهم ولا يحبونكم هم لما غيبكم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم لانكم تريدون لهم الاسلام وتدعونهم الى الجنة ولا يحبونكم
لانهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك وتؤمنون بالكتاب كله الكتاب واحد فى موضع الجمع لانه اراد به الجنس
كما يقال اكثر الدرهم فى ايدى الناس ويجوز ان يكون مصدرا من قولك كتبت كتابا والمراد به كتب الله التى انزلها على انبيائه
وفى افراده ضرب من الايجاز واشعار بالتفصيل فى الاعتقاد معناه انكم تصدقون بها فى الجملة والتفصيل من حيث تؤمنون
بما انزل على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وساير الانبياء عليهم السلم وهم لا يصدقون بكتابكم واذا لقوكم قالوا آمنا معناه اذا راوكم
قالوا صدقنا واذا خلوا مع انفسهم عضوا عليكم الانامل اى اطراف الاصابع من الغيظ اى من الغضب والحنق لما يرون من
ايتلاف المومنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله اياهم وهذا مثل وليس هناك عض وقول الشاعر اذا راونى اطال الله غيظهم
عضوا من الغيظ اطراف الاباهيم وقول ابى طالب يعضون غيظا خلفنا بالانامل قل يا محمد لهم موتوا بغيظكم صيغته صيغة
والمعنى الدعاء عليهم فكانه قال اماتكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لانه لا يجوز ان يدعى عليهم هذا الدعاء الا وقد استحقوه
بما اتوه من القبيح وقيل معناه دام لكم هذا الغيظ بما ترون من علو كلمة الاسلام الى ان تموتوا ان الله عليم بذات الصدور
اى بما تضمرونه من النفاق والغيظ على المسلمين قوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط • آية القراءة قرا نافع وابن كثير وابو عمرو
ويعقوب لا يضركم خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة الضاد والراء وقرا الحسن وابو حاتم تعملون بالتاء على
الخطاب والقراءة المشهورة بالياء الحجة من قرا لا يضركم فهو من ضاد يضيره ضيرا ومن قرا لا يضركم فهو من ضره يضره ضرا
الضير والضر بمعنى واحد وقد جاء فى القرآن لا ضير واذا مسكم الضر ولا يضركم اصله لا يضرركم نقلت ضمة الاولى الى الضاد

وادغمت فى الراء الثانيه بعد ان ضمت اتباعا لاقرب الحركات اليها والعرب تدغم فى موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون التضعيف قال
الزجاج وهذه الآية جاءت فيها اللغتان جميعا فقوله ان يمسسكم على لغة اهل الحجاز وقوله لا يضركم على لغة غيرهم من العرب
ويجوز لا يضركم فمن قال بالفتح فلان الفتح خفيف مستعمل فى التقاء الساكنين فى التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين
اللغة الكيد والمكيده المكر الذى يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع فى مكروه واصله المشقه تقول رايت فلانا
يكيد بنفسه ان يقاسى المشقه فى سياق المنيه ومنه المكايده لايراد ما فيها للمشقه المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن حال من تقدم
ذكرهم فقال ان تمسسكم حسنه اى ان تصبكم ايها المؤمنون نعمة من الله تعالى عليكم بها من الفه واجتماع كلمة او ظفر
بالاعداء تسؤهم اى تحزنهم وان تصبكم سيئة اى محنة باصابة العدو منكم لاختلاف الكلمة وما يؤدى اليه من الفرقة يفرحوا بها
هذا قول الحسن وقتادة والربيع وجماعة المفسرين وان تصبروا على اذاهم على طاعة الله وطاعة رسوله والجهاد فى سبيله و
تتقوا الله بالامتناع عن معاصيه وفعل طاعاته لا يضركم ايها المؤمنون كيدهم اى مكر المنافقين وما يحتالون عليكم شيئا يعنى
لا قليلا ولا كثيرا لانه سبحانه يحفظكم ويدفع شرهم عنكم ان الله بما تعملون محيط اى عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه
لان اصل المحيط بالشىء هو المطيف به من حواليه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به سبحانه قوله تعالى واذ
غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
وعلى الله فليتوكل المؤمنون • آيتان اللغة التبوئ اتخاذ المواضع للغير يقال بوات القوم منازلهم وبوات لهم ايضا اى
وطنتهم واسكنتهم اياها وتبوؤها اى اتخذوها المباءة المراح لانه رجوع الى المستقر المتخذ ومنه بؤت بالذنب اى رجعت به
محتملا له والفشل الجبن يقال فشل يفشل فشلا والفشل الرجل الضعيف الاعراب العامل فى اذ محذوف وتقديره واذكر اذ غدوت
وقيل هو عطف على ما تقدم فى السورة فى قوله قد كان لكم آية فى فئتين اى فى نصرة تلك الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة
اذ غدا النبى عن ابى مسلم وقيل العامل فى قوله محيط وتقديره والله عالم باحوالكم واحوالهم اذ غدوت تبوئ المؤمنين مقاعد
اى تهيئ للمؤمنين مواطن للقتال وقيل معناه تجلسهم وتقعدهم فى مواضع للقتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها واختلف فى اى
يوم كان ذلك فقيل يوم احد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدى وابن اسحق وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وكان
يوم الاحزاب عن مجاهد ومقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن والله سميع عليم اى سميع لما يقوله النبى عليم بما تضمره لانهم اختلفوا
فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكيه للزاكى وتهديد للغاوى وقيل سميع بجميع المسموعات بصير بجميع المبصرات
اذ همت اى قصدت وعزمت طائفتان فرقتان منكم اى من المسلمين ان تفشلا اى تجبنا والطائفتان هما بنو سلمه وبنو حارثه
حيان من الانصار عن جابر بن عبد الله والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم وقيل نزلت
فى طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكان سبب همهم بالقتال ان عبد الله بن ابى سلول دعاهما الى الرجوع الى
المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهما به ولم يفعلاه والله وليهما اى ناصرهما روى عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت
الآية وما احب انها لم تكن بقوله وليهما وقال بعض المحققين هذا هم خطوة لا هم عزيمة لان الله سبحانه مدحهما واخبر انه
وليهما ولو كان عزيمة وقصدا لكان ذمهم اولى من مدحهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون فى جميع احوالهم وامورهم ذكر غزاة احد
عن ابى عبد الله عليه السلم قال كان سبب غزاة احد ان قريشا لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل
والاسر لانه قتل منهم سبعون واسر سبعون قال ابو سفيان يا معشر قريش لا تدعون نساءكم يبكون على قتلاكم فان الدمعة
اذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله فلما غزوا رسول الله يوم احد اذنوا نساءهم فى البكاء والنوح
وخرجوا من مكة فى ثلثة الاف فارس والفى راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك جمع اصحابه
وحثهم على الجهاد فقال عبد الله بن ابى يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل فى ازقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد
والامة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادها قوم قط فظفروا بنا ونحن فى حصوننا ودروبنا وما خرجنا الى عدو لنا قط الا

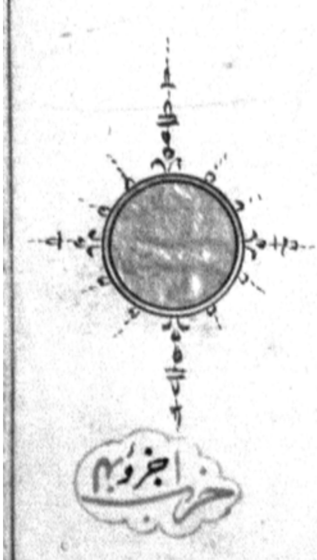
وتبوئ حال من غدوت المعنى واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك اى خرجت من المدينة غدوة ٣

كان

كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب ونحن مشركون
نعبد الاصنام فكيف يطمعون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا ومن نجا منا كان قد
جاهد في سبيل الله فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رايه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوؤن موضع القتال كما قال سبحانه واذ غدوت
من اهلك الآية وقعد عنه عبد الله بن ابي وجماعة من الخزرج اتبعوا رايه ووافت قريش الى احد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
عبا اصحابه وكانوا سبعماية رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان ياتيهم كمينهم من ذلك المكان
فقال صلى الله عليه وآله لعبد الله بن جبير واصحابه ان رايتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم ووضع
ابو سفيان خالد بن الوليد في ماتي فارس كمينا وقال اذا رايتموهم قد اختلطوا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم
وعبا رسول الله اصحابه ودفع الراية الى امير المؤمنين عليه السلم فحمل الانصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في ماتي فرس على عبد الله بن جبير الى اصحاب رسول الله ص
ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم اصحابنا ونبقى بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله قال رسول الله قد تقدم
الينا ان لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا ينسل رجل فرجل حتى خلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلا وكانت طلحة
بن طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي عليه السلم فاخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي عليه السلم وسقطت الراية
فاخذها مسافع بن طلحة فقتله حتى قتل تسعة من بني عبد الدار حتى صار لواؤهم الى عبد لهم اسود يقال له صواب فانتهى اليه
علي فقطع فاخذ اللوا باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين الى صدره ثم التفت الى ابي سفيان فقال هل اعذرت في
بني عبد الدار فضربه علي عليه السلم على راسه فقتله فسقط اللوا فاخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحط خالد بن
الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم اتى المسلمين من ادبارهم ونظرت
قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون
في الجبال وفي كل وجه فلما راى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن راسه وقال انا رسول الله الى اين تفرون
عن الله وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلا ومكحلة وقالت
انما انت امراة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فاذا راوه انهزموا ولم يثبت له احد وكانت هند قد اعطت
وحشيا لئن قتلت محمدا او عليا او حمزة لاعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبدا لجبير بن مطعم حبشيا فقال وحشي اما محمد فلا
اقدر عليه واما علي فرايته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمنت لحمزة قال فرايته يهد الناس هدا فمر بي فوطئ على حرف نهر فسقط
فاخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته فخرجت من ثنته فشققت بطنه واخذت كبده وجئت به الى هند
فقلت هذه كبد حمزة فاخذتها في فمها فجعلها الله في فمها مثل الداعضة وهو عظم راس الركبة فلفظتها ورمت بها قال رسول الله
صلى الله عليه وآله فبعث الله ملكا فحمله ورده الى موضعه قال فجاءت اليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه وقطعت يده
ورجله ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله الا ابو دجانة سماك بن خرشة وعلي وكلما حملت طايفة على رسول الله صلى الله
عليه وآله استقبلهم علي عليه السلم فيدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع اليه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ذا الفقار
وانحاز رسول الله ص الى ناحية احد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي عليه السلم يقاتلهم حتى اصابه في وجهه
وراسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اورده علي بن ابراهيم في تفسيره فقال جبرائيل ان هذه لهي المواساة يا محمد فقال
انه مني وانا منه قال جبرائيل وانا منكما قال ابو عبد الله عليه السلم نظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى جبرائيل بين السماء والارض
على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي نقل ابن اسحق والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا
لما كان المشركون نزلوا باحد يوم الاربعا سنة ثلث من الهجرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة وكان القتال يوم
السبت للنصف من الشهر وكسر رباعيته رسول الله وشج في وجهه ثم رجع المهاجرين والانصار بعد الهزيمة وقد قتل من المسلمين

سبعون وشد رسول الله صلى الله عليه وآله بمن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة وكان حمزة اعظم مثله وضربت يد
طلحة فشلت وسعد بن ابى وقاص كان يرمي بين يديه وهو يقول ارم فداك ابي وامي لما امر سبحانه بالصبر في قوله وان
تصبروا وتتقوا عقبه بنصره للمسلمين يوم بدر وصبرهم على القتال ثم ذكر سبحانه يوم احد لما تركوا الصبر وقيل نظمه ان تصبروا ينصركم
يوم بدر وان لم تصبروا انزل بكم ما نزل يوم احد حيث خالفهم امر الرسول وذكر ابو مسلم ان متصل بقوله قد كان لكم آية في فئتين
كما تقدم ذكره قوله تعالى وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ
يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ • بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ
رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ • وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • اربع آيات القراءة قرا ابن عامر منزّلين مشددة الزاى وقرا الآخرون منزلين مخففة وقرا ابن كثير وابو عمرو و
عاصم مسومين بكسر الواو وقرا الباقون بفتح الواو الحجة حجة من قرا منزلين بالتخفيف قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا
ملكا وان الانزال يعم التنزيل وغيره وحجة ابن عامر ما نزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح فيها لان نزل مطاوع نزل ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة وقال الحسن من قرا مسومين بالكسر فلانهم سوموا الخيل ومن قرا مسومين فلانهم سوموا وقال مسومين
معلمين ويكون مرسلين من سوم الخيل ارسلها ومنه السائمة وقال على بن عيسى ان الاختيار الكسر لتظاهر الاخبار بانهم سوموا خيلهم
بعلامة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله سوموا فان الملائكة قد سومت اللغة بدر ماء بين مكة والمدينة وقال الشعبي
سمى بدرا لان هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمى الموضع باسم صاحبه وقال الواقدى هو اسم للموضع كالشيء ثم قيل بدر وسمي
بدر السماء لتمامه ولامتلائه وغير بدره ممليه يقال استكفيته الامر فكفاني وكفالت هذا الامر حسبك والفرق بين الاكتفاء
والاستغناء ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة والامداد وهو اعطاء الشيء
حالا بعد حال والمد في السير هو الاستمرار عليه وامتد بهم السير اذا طال وامددت الجيش بمدد وامد الجرح فهو مد اذا صارت
فيه المدة ومد النهر ومنه نهر آخر ويقال مده في الشر وامده في الخير واصل الفور فور القدر وهو غليانها عند شدة الحمى ومنه
فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فارت العين بالماء اى جاشت به ومنه الفوارة لانها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها
ومنه جاء على الفور اى على ابتداء الحمى قبل ان تبرد عنه نفسه وقيل الفور القصد الى الشيء عنده الاعراب وانتم اذلة في موضع
نصب على الحال ان يمدكم ربكم في موضع رفع بانه فاعل يكفيكم وتقديره الن يكفيكم امدادكم وقوله من فورهم هذا هذا في موضع
جر صفة لفورهم وقوله لتطمئن به قلوبكم معطوف على قوله بشرى لكم كان تقديره لتبشروا به ولتطمئن المعنى ثم بين سبحانه
ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال ولقد نصركم الله ايها المؤمنون ببدر بتقوية قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وبالقاء الرعب
في قلوب اعدائكم وانتم اذلة اى ضعفاء عن المقاومة قليلو العدد قليلو العدة جمع ذليل وروى عن ابن عباس انه قال كان للمهاجرين
يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار مائتين وستة وثلثين رجلا الجميع ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وكان المشركون نحوا
من الف رجل وروى عن بعض الصادقين انه قرا وانتم ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بانهم اذلة وفيهم رسول الله وكان صاحب
راية رسول الله صلى الله عليه وآله على بن ابى طالب عليه السلام وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وقيل سعد بن معاذ
فاتقوا الله اى اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته لعلكم تشكرون اى تقوموا بشكر نعمته اذ تقول خطاب للنبي صلى الله عليه وآله
اى اذ تقول يا محمد للمؤمنين من اصحابك الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة هو اخبار بان النبي صلى الله عليه وآله
قال لقوله الن يكفيكم يوم بدر ان جعل ربكم بثلثة الاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الامداد
بالملائكة كان يوم بدر وقال ابن عباس لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وكانوا في غيره من الايام عدة ومددا وقال الحسن كان جميعهم
خمسة الاف فمعناه يمددكم ربكم بتمام خمسة الاف وقال غيره كانوا ثمانية الاف بمعناه خمسة آلاف آخر وقيل ان الوعد بالامداد
بالملائكة كان يوم احد وعدهم المدد ان صبروا عن عكرمة والضحاك منزلين نزلهم الله من السماء الى الارض لنصرهم على تصديق

للوعد اى يفعل كما وعدكم ويزيد كم ان تصبروا معناه ان تصبروا على الجهاد على ما امركم الله تعالى وتتقوا معاصى الله ومخالفة رسوله
ويا توكم يعنى المشركون ان رجعوا اليكم من فورهم هذا اى من وجههم هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدى وعكرمة وقيل هذا
فانما هو من فور الاشتداد لهم وهو ابتداؤه وقيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد والضحاك وابى صالح وكانوا قد غضبوا يوم احد
ليوم بدر مما لقوا فهو من الفور الغضب وغليانه يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة انما قال ذلك لان الكفار فى غزوة احد ندموا
بعد انصرافهم لم تغيروا على المدينة وهموا بالرجوع فاوحى الله تعالى الى نبيه ان يامر اصحابه بالتهيؤ بالرجوع اليهم وقال لهم افمسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجعتم الكفار امدكم الله بخمسة الاف من الملائكة مسومين فاخذوا فى الجهاد
وخرجوا يبتغون الكفار على ما كان منهم من الجراح فاخبر المشركون من مر برسول الله صلى الله عليه وآله انه خرج يتبعكم فخاف المشركون ان
رجعوا ان تكون الغلبة للمسلمين وان يكون قد التام اليهم من كان قد تاخر عنهم وانضم اليهم غيرهم فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعى
حتى يصدهم بتعظيم امر قريش واسرعوا فى الذهاب الى مكة وكفى الله المسلمين امرهم والقصة معروفة ولذلك قوم من المفسرين
ان جميعهم ثمانية الاف وقال الحسن جميعهم خمسة الاف منهم ثلثة الاف المنزلين على ان الظاهر يقتضى ان الامداد بثلثة الاف كان
يوم بدر لان قوله اذ تقول للمؤمنين الايه يتعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر الاية ثم استانف حكم يوم احد فقال بلى ان تصبروا
وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم اى ان رجعوا اليكم بعد انصرافهم امدكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وهذا قول
البلخى رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال لم يمدوا يوم احد ولا بملك واحد وعلى هذا فلا تنافى بين الايتين وبقى سؤال كيف
لم يمدوا بالملائكة فى ساير الحروب فالجواب ان ذلك تابع للمصلحة فاذا علم الله فى امدادهم مصلحة امدهم وقوله مسومين بالكسر
اى معلمين اى اعلموا انفسهم ومسومين بالفتح سومهم الله اى اعلمهم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم كانوا اعلموا
بالصوف فى نواصى الخيل واذنابها قال عروة نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمايم صفرة قال على وابن عباس كانت
عليهم عمايم بيض ارسلوها بين اكتافهم قال السدى معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السايمة اى المرسلة فى المرعى وما جعله
الله الا بشرى لكم اى ما جعل الامداد والوعد به فالهاء عايدة على غير مذكور باسمه وهو معلوم بالدلالة عليه لان يمددكم و
بشرى لكم اى بشارة لكم لتبشروا به ولتطمئن قلوبكم فلا تخافوا كثرة عدد العدو وقلة عددكم وما النصر اى المعونة الا من عند
الله معناه ان الحاجة الى الله سبحانه لازمة فى المعونة وان امدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفة عين فى تقوية
قلوبكم وخذلان عدوكم بضعف قلوبهم العزيز لك وقيل ان معناه وما هذا النصر بامداد الملائكة الا من عند الله العزيز اى
القادر على انتقامه من الكفار بايدى المؤمنين الحكيم فى تدبيره للعالمين وانما قال ذلك ليعلمهم ان حربهم للمشركين انما هو لاعزاز
الدين وقيل العزيز المنيع باقتداره والحكيم فى تدبيره الخلق فصل وخير فى ذكر مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله قال
المفسرون جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ست وعشرون غزوة فاول غزاها غزوة الابواء ثم غزوة بواط
ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الاولى ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بنى سليم ثم غزوة السويق ثم غزوة ذى امر ثم غزوة احد
ثم غزوة نجران ثم غزوة الاسلام ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الاخرى ثم غزوة دومة الجندل
ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريضه ثم غزوة بنى لحيان ثم غزوه بنى مرة ثم غزوة بنى المصطلق ثم غزوة الحديبيه ثم غزوة خيبر
ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطايف ثم غزوة تبوك قاتل عليه السلم منها فى تسع غزوات بدر الكبرى وهو يوم
الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة واحد وهو فى شوال سنة ثلث والخندق وبنى قريظة فى شوال سنة اربع
وبنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح فى رمضان سنة ثمان وحنين والطايف فى شوال
سنة ثمان فاول غزوة غزاها بنفسه وقاتل فيها بدر واخرها تبوك واما عدد سراياه فست وثلثون سرية على ما عدد فى مواضعه
قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شىء او يتوب عليهم او
يعذبهم فانهم ظالمون ۝ آيتان اللغة الكبت الخزى وهو مصدر كبت الله العدو اذا اخزاه واذله وقال الخليل الكبت صرع الشىء



حزب ا جزو ۴

على وجهه كبتهم الله فانكسروا الكبت شدة وهن تقع فى القلب فربما صرع الانسان لوجهه للخور الذى يدخله والخايب المنقطع عما
امل ولا تكون الخيبة الا بعد الامل لانها امتناع نيل ما امل واليأس قد يكون قبل الامل وقد يكون بعده واليأس والرجا نقيضان يتعاقبان
كتعاقب الخيبة والظفر الاعراب نصب او يتوب عليهم على ضربين احدهما ان يكون عطفا على ليقطع ويكون قوله ليس لك من الامر شئ
اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمروا والآخر ان يكون او بمعنى الا ان فكانه قال ليس لك من الامر
شئ الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لامر الله لرضاك بتدبيره فيهم المعنى ليقطع طرفا من الذين كفروا اختلف فى
وجه اتصاله بما قبله فقيل يتصل بقوله وما النصر الا من عند الله ومعناه اعطاكم الله هذا النصر وخصكم به ليقطع طايفة من جمع
الذين كفروا بالقتل والاسر وقيل هو متصل بقوله لقد نصركم الله ببدر اى ولقد نصركم ببدر ليقطع وقيل معناه ذلك التدبير ليقطع
طرفا اى قطعة منهم والمعنى ليهلك طايفة منهم وقيل ليهلك ركنا من اركان المشرك بالقتل والاسر واما اليوم الذى قطع الله فيه
الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم الى الكفر فى قول الحسن والربيع وقتادة وقيل هو احد قتل
منهم ثمانية عشر رجلا وانما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا بعد قطع الطرف وكان الطرف اقرب
الى المومنين فهو كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم معناه او يخزيهم بالخيبة عما املوه من الظفر بكم عن قتادة والربيع
وقيل معناه يردوهم عنكم منهزمين عن الجبائى والكلبى وقيل يصرعهم الله على وجوههم وقيل نظفر عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدى
وقيل يهلكهم عن ابى عبيدة فينقلبوا خايبين لم ينالوا مما املوا شيئا ليس لك من الامر شئ قيل هو متصل بقوله وما النصر الا من عند
الله فيكون معناه نصركم الله ليقطع طرفا منهم او يكبتهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شئ عن ابى مسلم وقيل انه اعتراض بين
الكلامين وقوله او يتوب عليهم متصل بقوله ليقطع طرفا فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم قد استحقوا العذاب وليس لك اى ليس اليك من هذه الامور شئ وذلك الى الله تعالى واختلف فى سبب نزوله فروى
عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين ما كان يوم احد من كسر رباعية النبى صلى الله
عليه وآله وشجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فاعلمه
الله سبحانه انه ليس اليه فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وانما ذلك الى الله تعالى
وكان الذى كسر رباعيته وشجه فى وجهه عتبة بن قمية فدعا عليه فكان حتفه ان سلط الله عليه تيسا فنطحه وروى انه عليه السلام
كان يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فعلى هذا يمكن ان يكون عليه السلام على وجل من عنادهم
واصرارهم على الكفر فاخبر سبحانه انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ الرسالة ودعائهم الى الهدى وذلك مثل قوله فلعلك باخع
نفسك الاية وقيل انه استاذن ربه يوم احد فى الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن
فيه لما كان من المعلوم من توبة بعضهم عن ابى على الجبائى وقيل اراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدعوا على المنهزمين
عنه من اصحابه يوم احد فنهاه الله تعالى عن ذلك وتاب عليهم ونزلت هذه الآية ليس لك من الامر شئ اى ليس لك
ان تلعنهم وتدعوا عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما راى رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون ما فعل بحمزة و
اصحابه من المثلة من جدع الانف والمذاكير قالوا لئن ادالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها
احد من العرب باحد قط فنزلت الآية عن محمد بن اسحق والشعبى وقيل نزلت فى اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من قراء
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى بير معونة فى صفر سنة اربع من
الهجرة على راس اربعة من احد ليعلموا الناس القرآن والعلم فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى
ابى بكر فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك وجدا شديدا وقنت عليهم شهرا فنزلت ليس لك من الامر شئ عن مقاتل والاصح
انها نزلت فى احد لان اكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق الكلام وانما قال ليس من الامر شئ مع ان له عليه السلام ان يدعوهم
الى الايمان ويودى اليهم ما امرهم بتبليغه لان معناه ليس لك شئ من امر عقابهم او استيصالهم او الدعاء عليهم او لعنهم حتى

تقع اياتهم بجاء الكلام على الايجاز لان المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه وايضا فانه لا يعتد بما له عليه السلم فى تدبيرهم مع تدبيره
سبحانه لهم فكانه قال ليس لك من الامر على وجه من الوجوه وقوله او يتوب عليهم قيل معناه وجهان احدها ان يلطف لهم بما يقع
معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والاخر او يقبل توبتهم اذا تابوا كقوله سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ولا تصح هذه الا لله
تعالى لانه تعالى يملك الجزاء بالثواب والعقاب او يعذبهم اى يعذبهم الله ان لم يتوبوا فانهم ظالمون اى يستحقون العذاب
بظلمهم وفى هذه الاية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والعقاب فانما هو الى الله تعالى وليس للنبى صلى الله عليه وآله
من ذلك شيء وانما اليه الهداية والدعاء فكانه سبحانه قال لا يرفع عنهم السيف الى ان يتوبوا فيتوب عليهم او يقيموا على كفرهم
ع ٤ فيعذبهم على ظلمهم قوله تعالى وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية
الاعراب انما ذكر لفظ ما لانها اعم من من فانها تتناول من يعقل وما لا يعقل لانها تفيد الجنس ولو قال من فى السموات لم يدخل
فيه الا العقلاء الا ان يحمل على التغليب وذلك ليس بحقيقة المعنى لما قال ليس لك من الامر شيء عقب ذلك بان الامر كله لله
فقال ولله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا وخلقا واقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء ايجادا وافناء واعادة يغفر
لمن يشاء من المؤمنين ذنوبهم فلا يواخذهم بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلا ويعذب من يشاء اى يعذب الكافر ومن
يشاء من مذنبي المؤمنين ان مات قبل التوبة عدلا ويدل عليه مفسرا قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولولا ذلك لكنا
نجوز العفو عن الجميع عقلا وقيل انما ابهم الله سبحانه الامر فى التعذيب والمغفرة فلم يبين من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ليقف
المكلف بين الخوف والرجاء فلا يامن من عذاب الله سبحانه ولا ييأس من روح الله ان الامن من عذاب الله خسر واليأس
من رحمته كفر كما قال سبحانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا
قول الصادق عليه السلم لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وقيل انما علق الغفران والعذاب بالمشية لان مشيته مطابقة
للحكمة فلا يشاء الا ما تقتضي الحكمة مشيته وسئل بعضهم كيف يعذب الله بالاجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته
اذ لا يكون رحمته برقة القلب كما يكون الرحمة منا وقال ابن عباس يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ممن لم يتب قوله تعالى
عشر يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَاْكُلُوا الرِّبٰوا اَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَاَطِيعُوا
اللّٰهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ثلث آيات المعنى لما ذكر سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وصل ذلك
بالنهي عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العذاب وهو الربا فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله لا تاكلوا
الربوا ذكر الاكل لانه معظم الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهيا عنه والربا الزيادة على اصل المال بالتاخير عن
الاجل الحال وقيل هو ربا الجاهلية عن عطاء ومجاهد اضعافا مضاعفة قيل فى معناه قولان احدهما ان يضاعف للتاخير
اجلا بعد اجل كلما اخر عن اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثانى تضاعفون به اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة
فى المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربوا هو المصلحة التى علمها الله سبحانه وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها
انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انها تدعو الى العدل وتحض عليه ومنها انه يدعو الى مكارم الاخلاق وانظار المعسر
من غير زيادة وهو المروى عن ابي عبد الله عليه السلم وانما اعاد سبحانه تحريم الربوا بعد ما سبق ذكره فى سورة البقرة لامرين
احدهما التصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما فى ذلك من تعريف الحظر له وشدة التحرز منه والثانى لتاكيد النهي
عن هذا الضرب منه الذي يجري على الاضعاف المضاعفة واتقوا الله معناه اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه
لعلكم تفلحون اى لكى تنجحوا بادراك ما تاملونه وتفوزوا بثواب الجنة واتقوا النار اى اتقوا الافعال الموجبة لدخول النار
التى اعدت اى هيئت واتخذت للكافرين والوجه فى تخصيص الكفار باعداد النار لهم انهم معظم اهل النار فهم العمدة
فى اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع فهو كقوله فى صفة الجنة اعدت للمتقين ومعلوم انه
يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين وقال الحسن تخصيص الكفار باعداد النار لهم لا يمنع من مشاركة غيرهم اياهم

كما ان تخصيص المرتدين باسوداد الوجوه عن مشاركة سائر الكفار اياهم ومثله في القرآن كثير والاصل ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على ان ما عداه بخلافه واطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم لعلكم ترحمون اى لكى ترحموا فلا يعذبكم ومما يسال على هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار والجواب عنه شيئان احدهما ان القصد بطاعة الرسول فيما دعا اليه مع القصد لطاعة الله تعالى والثاني انما قال ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه فهو كمن اطاع الله فيسارع الى ذلك بامر الله النظم وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان احدهما الاتصال الامر بالطاعة عن اكل الربا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربا وغيره والثاني ما قاله محمد بن اسحق بن يسار انه معاتبة للذين عصوا لما امرهم به يوم احد من لزوم مراكزهم فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة وكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

قوله تعالى وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ آيتان القراءة قرا اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق الحجة والوجه بينهما استئناف الكلام اذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم اذا قرى بواو ولانه يكون عطفا على ما تقدم ويجوز ايضا ترك الواو لان الجملة الثانية ملتبسة بالاولى مستغنية بذلك عن عطفها بالواو وكما جاء في التنزيل ثلثة رابعهم كلبهم وقال سبعة ثامنهم كلبهم اللغة اصل الكظم شد راس القربة عن ملئها تقول كظمت القربة اذا ملاتها ثم شددت راسها وفلان كظيم ومكظوم اذا كان مملوا حزنا وكذلك اذا كان ممتليا غضبا لم ينتقم وكظم البعير الناقة اذا لم تجتر والكظامة القناة التي تجري تحت الارض سميت بذلك لامتلائها تحت الارض وفي غريب الحديث لابي عبيدة عن ابي اوس انه راى النبي صلى الله عليه وآله اتى كظامة قوم فتوضا ومسح على قدميه ويقال اخذ بكظمه بمجرى نفسه لانه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بتكره ما يكون من المعاصي وكذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم المعنى لما حذر الله عز اسمه عن الافعال الموجبة للعقاب عقبه بالافعال الموجبة للثواب فقال وسارعوا اى بادروا الى مغفرة من ربكم باجتناب معصيته ومعناه الى الاعمال التي توجب المغفرة واختلف في ذلك فقيل وسارعوا الى الاسلام عن ابن عباس وقيل الى اداء الفرايض عن علي بن ابي طالب عليه السلم وقيل الى الهجرة عن ابي العالية وقيل الى التكبيرة الاولى عن انس بن مالك وقيل الى اداء الطاعات عن سعيد بن جبير وقيل الى الصلوات عن يمان وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة عن عكرمة وجنة اى والى جنة عرضها السموات والارض اختلف في معناه على اقوال احدها ان المعنى عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعضها الى بعض عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي والبلخي وانما ذكر العرض بالعظم دون الطول لانه يدل على ان الطول اعظم وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثل الآية قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ومعناه الا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر كان غديرهم بجنوب سلى نعام قاق في بلد قفار اى غدير نعام وقال آخر حسبت بغام راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق اى صوت عناق وثانيها ان معناه ثمنها لو بيعت كثمن السموات والارض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وانه لا يساويها شيء وان عظم عن ابي مسلم الاصفهاني وهذا وجه مليح الا ان فيه تعسفا وثالثها ان عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول وانما اراد سعتها وعظمها والعرب اذا وصفت الشيء بالسعة وصفته بالعرض قال امرء القيس بلاد عريضة وارض اريضة مواقع غيث في فضاء عريض وقال ذو الرمة فاعرض في المكارم واستطالا اى توسع فيها ويسال فيقال اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين تكون النار وجوابه ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن ذلك فقال سبحان الله اذا جاء النهار فاين يمضي الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسئلة لان القادر على ان يذهب الليل حيث يشاء قادر على ان يخلق النار حيث شاء ويسال ايضا فيقال اذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا

العرض والجواب انه قيل ان الجنة فوق السموات السبع تحت العرش عن انس بن مالك وقيل ان الجنة فوق السموات السبع وان
النار تحت الارضين السبع عن قتادة وقيل معنى قولهم ان الجنة في السماء انها في ناحية السماء وجهة السماء لا ان السماء تحويها
ولا ينكران يخلق الله في العلو امثال السموات والارضين وان صح الخبر انها في السماء الرابعة كما يقال في الدار بستان لاتصالها
وكونه في ناحية منها او يشرع بابه اليها وان كان اضعاف الدار وقيل ان الله تعالى يزيد في عرضها يوم القيمة فيكون المراد
عرضها السموات يوم القيمة لا في الحال عن ابي بكر احمد بن علي مع تسليم انها في السماء وقوله اعدت للمتقين اى المطيعين لله
ولرسوله لاجتنابهم المقبحات وفعلهم الطاعات ويجوز لاحتجازهم بالطاعة عن العقوبة وانما اضيفت الى المتقين لانهم
المقصودون بها وان دخلها غيرهم من الاطفال والمجانين فعلى وجه التبع وكذلك حكم الفساق ولو عفو عنهم وقيل معناه انهم لا
المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للامير وهذا يدل على ان الجنة اليوم لانها لاتكون معدة الا وهي مخلوقة
الذين ينفقون في السراء والضراء صفة للمتقين وفي معنى السراء والضراء قولان احدهما ان معناه اليسر والعسر عن ابن
عباس اى في حال كثرة المال وقلته والثاني في حال السرور والاغتمام اى لا يقطعهم شيء من ذلك عن انفاق المال في وجوه البر
والكاظمين الغيظ اى المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك
العافين عن الناس يعني الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدي الى الاخلال بحق الله
تعالى وقيل العافين عن المملوكين والله يحب المحسنين اى من فعل ذلك فهو محسن والله يحبه بايجاب الثواب له
ويحتمل ان يكون الاحسان شرطا لضمه الى هذه الشرايط قال الثوري الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك واما الى
من احسن اليك فانه متاجرة كنقد السوق وخذ مني وهات فصل فاول ما عدد الله من اخلاق اهل الجنة السخا ومما يؤيد
ذلك من الاخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال السخاء شجرة في الجنة اغصانها في الدنيا من تعلق
بغصن من اغصانها قادته الى الجنة والبخل شجرة في النار اغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من اغصانها قادته الى النار
وقال عليه السلم الجنة دار الاسخيا وقال السخي قريب من الله وقريب من الجنة وقريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد
من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ثم عد سبحانه بعد ذلك من اخلاق اهل الجنة كظم الغيظ ومما
جاء فيه من الاخبار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كظم غيظه وهو يقدر على انفاذه ملاه الله يوم القيمة رضا
وفي خبر آخر ملاه الله يوم القيمة امنا وايمانا وقال عليه السلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند
الغضب ثم ذكر سبحانه العافين عن الناس وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان هؤلاء في امتي قليل الا من
عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذا دليل واضح على ان العفو عن العاصي مرغب فيه مندوب اليه وان
لم يكن واجبا وقال النبي صلى الله عليه ما عفى رجل عن مظلمة قط الا زاده الله بها عزا ثم ذكر سبحانه انه يحب المحسنين و
المحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن ايضا هو الفاعل للافعال الحسنة من وجوه الطاعات
والقربات وبالله التوفيق وروى ان جارية لعلي بن الحسين عليه السلم جعلت تسكب عليه الماء ليتهيا للصلوة فسقط
الابريق من يدها فشجه فرفع راسه اليها فقالت الجارية ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت
غيظي فقالت والعافين عن الناس قال عفا الله عنك قالت ان الله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله
قوله تعالى وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ آيتان اللغة اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظم القبح او راى العين فيه ولذلك قيل للطويل
المفرط انه الفاحش الطول والفحش فلان اذا افحش بذكر الفحش والاصرار اصله الشد من الصر والصر شدة البرد فكانما هو
ارتباط الذنب بالاقامة عليه وقيل اصله الثبات على الشيء قال الحطيه يصف الخيل عوابس بالشعب الكماة اذا انتحوا علالتها

خمس

بالحصدات اى اذا اختاروا بعده حربها بالسباط تثبت على جريها الاعراب والذين عطف على المتقين وقيل رفع على الاستيناف
كانه عطف جملة فعلى القول الاول هم فرقة واحدة وعلى الثانى هم فرقتان ويجوز ان يكون راجعا الى الاولين ويكون محله
رفع على المدح وقوله الا الله يرتفع الا الله حملا على المعنى لا على اللفظ اذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر الذنوب الا الله ومعناه
لا يغفر الذنوب الا الله لان الاستفهام قد يقع موقع النفى ونعم اجر العاملين المخصوصين بالمدح محذوف وتقديره ونعم اجر
العاملين اجرهم النزول روى ان قوما من المسلمين قالوا يا رسول الله بنوا اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت
كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك واذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الآية فقال عليه السلم
الا اخبركم بخير من ذلك وقرا عليهم هذه الآية عن ابن مسعود وفى ذلك تسهيل لما كان قد شدد على بنى اسرائيل اذ جعل الاستغفار
بدلا منه وقيل نزلت فى نبهان التمار اتته امراة تبتاع منه تمرا فقال لها التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه وذهب بها
الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبى صلى الله عليه وآله وذكر له ذلك فنزلت الاية المعنى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم اختلفوا فى الفاحشة وظلم النفس فقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ساير المعاصى
عن السدى وجابر وقيل الفاحشة الكباير وظلم النفس الصغاير عن القاضى عبد الجبار بن احمد الهمدانى وقيل الفاحشة
اسم لكل معصية ظاهرة او باطنة الا انها لا تكاد تقع الا على الكبيرة عن على بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم
قولا ذكروا الله اى ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان وانما مدحهم
لانهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بان قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فانا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ومن يغفر الذنوب
الا الله من لطيف فضل الله سبحانه وتبليغ كرمه وجزيل منه وهو الغاية فى ترغيب العاصين فى التوبة وطلب المغفرة
والنهاية فى تحسين الظن للمؤمنين وتقوية رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبده وقد اذنب ذنبا اعتذر الى ومن
يقبل عذرك سواى واذا سيل ان العباد قد يغفر بعضهم لبعض بالاساءة فالجواب ان الذنوب التى يستحق عليها العقاب
لا يغفرها الا الله سبحانه وايضا فانه اراد سبحانه غفران الكباير العظام والاساءة من بعضنا الى بعض صغيرة بالاضافة اليها ولم يصروا
على ما فعلوا ان لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من
الاول وذلك لا يكفى فى ان التوبة مجرد الاستغفار وانما يؤثر عند ترك الاصرار وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال
لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعنى لا تبقى كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا تبقى الصغير صغيرة مع الاصرار
وفى تفسير ابى عباس الاصرار السكوت على الذنب بترك التوبه والاستغفار منه وقوله وهم يعلمون يحتمل وجوها احدها
ان معناه وهم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين ولا ناسين لانه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه وان لم يتب منه
بعينه عن الجبائى والسدى وثانيها ان معناه وهم يعلمون الحجة فى انها خطيئة فاذا لم يعلموا ولا طريق لهم الى العلم به كان الاثم
موضوعا عنهم كمن تزوج امه من الرضاع والنسب وهو لا يعلم به فانه لا يأثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وثالثها
ان المراد وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك اولئك اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين الذين
ينفقون فى السراء والضراء الى آخر الكلام اى هؤلاء جزاؤهم على اعمالهم وتوبتهم مغفرة من ربهم اى ستر لذنوبهم وجنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها قد مر تفسيرها فى سورة البقرة ونعم اجر العاملين هذا معنى ما وصفه من الجنات وانواع الثواب
والمغفرة بستر الذنوب حتى تصير كانها لم تعمل فى زوال العار بها والعقوبة والله سبحانه متفضل بذلك لان اسقاط العقاب عند
التوبة تفضل منه سبحانه واما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب لا محالة عقلا لو لم يكن مستحقا بالتوبة لقبح تكليفه التوبة
لما فيها من المشقة النظم قيل ان الآية اتصلت بما قبلها لانها من صفة المتقين وقيل بل هما فرقتان بين سبحانه ان الجنة
للمتقين المنفقين فى السراء والضراء الى آخر الآية ولمن عثر ثم تاب ولم يصر قوله تعالى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ آيتان المعنى

١٦٨

السنة الطريقة المجعولة ليقتدى بها ومن ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله قال لبيد من معشر سنت لهم اباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها وقال سليمن بن قبه وان الاولى بالطف من آل هاشم تاسوا فسنوا للكرام التأسيا واصل السنه
الاستمرار فى جهة يقال سن الماء اذا صب حتى يفيض من الاناء وسن السكين بالمسن اذا امره عليه لتحديده ومنه السن
واحد الاسنان لاستمرارها على منهاج والسنان لاستمرار الطعن به والسنن استمرار الطريق والعاقبة ما يؤدى السبب
المتقدم وليس كذلك الاخرة لانه قد كان يمكن ان يجعل هى الاولى فى العدة والموعظة ما تلين القلب وتدعوا الى التمسك
بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء الى الجميل وقيل الموعظة هو ما يدعوا الى الرغبة والرهبة الى الجنة بدلا من السنه المعنى
لما بين سبحانه ما يفعل بالمؤمن والكافر فى الدنيا والاخرة بين ان ذلك عادته سبحانه فى خلقه فقال قد خلت اى قد
مضت من قبلكم يا اصحاب محمد وقيل هو خطاب لمن انهزم يوم احد سنن من الله فى الامم السالفة اذا كذبوا رسله
وجحدوا نبوته اخذهم بالاستيصال وبقيه اثارهم فى الديار للالفاظ والاعتبار عن الحسن وابن اسحق وقيل سنن امثال
والسنة الامة عن المفضل وقال الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأى مثلكم فى سالف السنن وقيل معناه
اهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل امة سنه ومنهاج اذا اتبعوها رضى الله عنهم عن الكلبى فسيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين اى تعرفوا اخبار المكذبين وما نزل بهم لتتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا فى
التكذيب والانكار طريقتهم فيحل بكم من العذاب مثل ما حل بهم واراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب
والعقاب جازاهم الله سبحانه فى الدنيا بعذاب الاستيصال وفى الآخرة باليم العذاب وعظيم النكال هذا اشارة الى
القرآن بيان للناس اى دلالة وحجة له كافة عن الحسن وقتادة وقيل اشارة الى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم اى هذا
الذى عرفتكم بيان للناس عن ابن اسحق واختاره البلخى والطبرى وهدى قال على بن عيسى الفرق بين البيان اظهار المعنى
اللغة اماكان والهدى بيان الطريق الرشيد ليسلك دون طريق الغى وموعظة للمتقين انما خص المتقين
به مع كونه بيانا وهدى وموعظة للناس كافه لان المتقين هم المنتفعون به والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه
قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله
وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين آيتان القراءة
قرا اهل الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيهما وكذلك قوله من بعد ما اصابهم القرح والباقون بفتح القاف قال ابو على
قرح مثل الضعف والضعف والكره والكره والدف والدف والشهد والشهد قال ابو الحسن قرح يقرح قرحا وقرحا فهذا
يدل على انهما مصدران ومن قال ان القرح الجراحات باعيانها والقرح الم الجراحات قبل ذلك منه اذا اتى فيه برواية لان
ذلك مما يعلم بالقياس اللغة الوهن الضعف والوهن والموهن ساعة تمضى من الليل الاعلون واحدهم الاعلى ومؤنثه
العليا وجمعها العليات والعلى والفرق بين اللمس والمس ان المس لصوق باحساس والمس لصوق فقط والدولة الكرة
لفريق بنيل المراد وادال الله فلانا من فلان اذا جعل الكرة له عليه وتداول قوم الشئ اذا صار من بعضهم الى بعض وضم الدال
فى الدولة وفتحها لغتان وقيل الضم فى المال والفتح فى الحرب الاعراب وانتم الاعلون جملة فى موضع الحال كانه قال
لا تحزنوا عالين اى منصورين على الاعداء ويحتمل ان يكون لا موضع لها من الاعراب لانها اعتراض بوعد مؤكد و
تقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين وانتم الاعلون مع ذلك وقوله ليعلم الله العامل فى اللام محذوف يدل عليه اول
الكلام وتقديره وليعلم الله الذين امنوا بداولها ويجوز ان يعمل فيه نداولها بين الناس لضروب من التدبير وليعلم الله الذين امنوا
النزول قيل نزلت الاية تسليه للمسلمين لما نالهم يوم احد من القتل والجراح عن الزهرى وقتادة وابن ابى نجيح وقيل لما انهزم المسلمون
فى الشعب واقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريدان يعلوا عليهم الجبل فقال النبى عليه السلم اللهم لا يعلن علينا لا قوة لنا الا بك
اللهم لا يعبدك بهذه البلدة الا هؤلاء النفر فانزل الله الاية وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم

عشر

وعلا المسلمون للجبل فذلك قوله تعالى وانتم الاعلون عن ابن عباس وقيل نزلت الآية بعد يوم احد حين امر رسول الله صلى الله
عليه وآله بطلب القوم وقد اصابهم من الجراح ما اصابهم وقال عليه السلم لا يخرج الا من شهد معنا بالامس فاشتد ذلك على المسلمين
فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ويدل عليه قوله ولا تهنوا فى ابتغاء القوم الايه المعنى ثم حث الله سبحانه المسلمين على الجهاد
ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم الغلبة فى الحال وحسن العاقبة فى المال فقال ولا تهنوا اي لا تضعفوا بما نالكم من الجراح
ولا تحزنوا على ما نالكم من المصايب بقتل الاخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا بما فاتكم من الغنيمة وانتم الاعلون
اى الظافرون المنصورون الغالبون عليهم فى العاقبة وقيل ارادوانتم الاعلون فى المكان ان كنتم مؤمنين معناه ان من كان مؤمنا
يجب ان لا يهن ولا يحزن لثقته بالله ويحتمل ان يكون معناه ان كنتم مصدقين بوعدى لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا
تحزنوا ثم اخذ سبحانه فى تسلية المؤمنين فقال ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله معناه ان يصبكم جراح فقد اصاب
القوم جراح مثله عن ابن عباس وقيل ان يصبكم الم فقد اصاب القوم ذلك يوم بدر قال انس بن مالك اتى رسول الله صلى الله
عليه وآله بعلى عليه السلم يومئذ وعليه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسحها
وهى تلتئم باذن الله كان لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان يوم احد صعد ابو سفيان الجبل فقال اللهم ليس لهم ان يعلونا فمكث
ابو سفيان ساعة وقال يوما بيوم ان الايام دول وان الحرب سجال فقال عليه السلم اجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم
فى النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبى صلى الله عليه وآله الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال عليه السلم
الله اعلى واجل وتلك الايام نداولها بين الناس اى نصرفها مرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدى وابن
اسحق وانما يصرف الله الايام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين احيانا لا بنصرة الكفار عليهم لان الله سبحانه لا
ينصر الكفار على المسلمين لان النصرة تدل على المحبة والله سبحانه لا يحب الكافرين وانما جعل الله الدنيا منقلبة لكى لا يطمئن المسلم
اليها ولتقل رغبته فيها وحرصه عليها وتفنى لذاتها ويظعن مقيمها ويسعى للاخرة التى يدوم نعيمها وانما جعل الدولة مرة للمؤمنين
ومرة عليهم ليدخل الناس فى الايمان على الوجه الذى يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحجة فانه لو كانت الدولة ابدا للمؤمنين
لكان الناس يدخلون فى الايمان على سبيل اليمن والفال على ان كل حضرة النبى صلى الله عليه وآله لم يخل من ظفر اما فى ابتداء
الامر واما فى انتهائه وانما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله وليعلم الله الذين آمنوا المفعول الثانى ليعلم محذوف وتقديره وتلك الايام
نداولها بين الناس لوجوه من الصلاح وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا مميزين بالايمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون
يعلم بمعنى يعرف لانه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعلم تميزها بالايمان ويجوز ان يكون المعنى ليعلم الله الذين
آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اى يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال واذا كان الله تعالى يعلمهم قبل
اظهارهم الايمان كما يعلمهم بعده فانما يعلم قبل الاظهار انهم سيتميزون فاذا اظهروا علمهم متميزين ويكون التغير حاصلا
فى المعلوم لا فى العالم كما ان احدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى انه سيجئ فاذا جاء علمه جائيا وعلمه يوما لا غدا واذا انقضى فانما
يعلمه امس لا يوما ولا غدا ويكون التغير واقعا فى المعلوم لا فى العالم وقيل معناه وليعلم اولياء الله الذين آمنوا وانما اضاف الى
نفسه تفخيما وقيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع من يجزع وايمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم من الاخلاص
والنفاق ومعناه ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر احدهما عن الاخر وقوله ويتخذ منكم شهداء قيل فيه قولان احدهما
ان معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم احد عن الحسن وقتادة وابن اسحق والاخر ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم
من العصيان لما لكم فى ذلك من جلالة القدر وعلو المرتبة والشهداء يكون جمع شاهد وجمع شهيد عن ابى على الجبائى وانما سموا
شهداء لمشاهدتهم الاعمال التى يشهدون بها وامافى جمع شهيد فلانهم بذلوا الروح عند شهود الوقعة ولم يفروا والله لا يحب الظالمين
ظاهر المعنى وفايدته انه تعالى بين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لاحد المعانى التى ذكرها وليمحص ذنوب المؤمنين كما
قاله فيما بعده قوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين آية اللغة اصل التمحيص قال الخليل المحص الخلوص

من العيب ومحصته امحصه محصا اذا خلصته من كل عيب ويقال اللهم محص عنا ذنوبنا اى اذهبها عنا لانه تخليص الحسنات
بتكفير السيآت واصل المحق فناء الشئ حالا بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان وامحق الشئ امحاقا وامتحق الشئ وتمحق اذا ذهبت
بركته حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لذهاب الهلال حالا بعد حال المعنى ثم بين سبحانه وجه المصلحة فى مداولة الايام بين
الناس فقال وليمحص الله الذين آمنوا قيل فى معنى الآية اقوال احدها وليمحص الله اى ليبتلى الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين و
ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدى وثانيها ليخلص الله الذنوب المؤمنين عن الزجاج وثالثها ينجى الله الذين آمنوا من الذنوب
بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن على بن عيسى وانما قابل بين التمحيص والمحق لان محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم
نظير محق هؤلاء باهلاك انفسهم وهذه مقابلة فى المعنى وفى هذه الآية دلالة على انه سبحانه انما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب
المؤمنين ومحق الكافرين وانما يمحصهم بالمداولة لشيئين احدهما ان فى تخليتهم وتمكين الكافرين منهم تعريضا اياهم للصبر الذى يستحقوا
به عظيم الاجر ويحط به عنهم كثيرا من اثقال الوزر والثانى ان فى ذلك لطفا لهم بعصمهم من اقتراف الاثم قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان
تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون آيتان اللغة الفرق بين التمنى والارادة ان الارادة من افعال القلوب والتمنى قول
القائل ليت كان كذا وليت لم يكن وقيل ان التمنى معنى فى القلب يطابق هذا القول والصحيح هو الاول الاعراب ام فى قوله
ام حسبتم هى المنقطعة وتقديره بل احسبتم وهو استفهام على وجه الانكار والفرق بين لم ولما جوابا لقول القائل قد فعل
فلان يريد به الحال فاذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كانت لما اصلها لم نفى الثانى والاول تقديره وان يعلم فيكون منصوبا باضمار
ان والمعنى ولما العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروى عن الحسن انه قرا ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على الاول المعنى
لما حث الله سبحانه على الجهاد ورغب فيه زاد فى البيان والاخبار بان الجنة لا تنال الا بالبلوى والاختبار فقال ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة المراد به الانكار اى اظننتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين اى لما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وانما جاز ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفى الجهاد دون العلم لما فى ذلك من الايجاز فى انتفاء جهادهم لانه لو كان لعلمه وتقديره
ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى اوجب عليكم لان المعنى مفهوم لا يشتبه ولقد كنتم يا اصحاب محمد تمنون اى تتمنون الموت
فحذف التائين للتخفيف وذلك ان قوما ممن فاتهم شهود بدر وكانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل احد فلما رأوه
اعرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد والربيع وقتادة والسدى من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه
الهاء فى تلقوه ورأيتموه راجعة الى الموت اى من قبل ان تلقوا اسباب الموت وهو الحرب فقد رأيتموه لان الموت لا يرى و
نحو هذا قول الشاعر والموت تحت لواء آل محلم اى اسباب الموت وقيل الهاء راجعة الى الجهاد وانتم تنظرون قيل وانتم
تتاملون الحال فى ذلك كيف هى فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل معناه وانتم تنظرون الى محمد صلى الله عليه وآله وفيه
حذف اى فلم انهزمتم لانه موضع عتاب فان قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا به منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك
قلنا لا يجوز ذلك لان قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز تمنى المعاصى كما لا يجوز ارادتها ولا الامر بها فاذا ثبت ذلك وانما
تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد الى ان يقتلوا قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين آية اللغة محمد اخذ من الحمد والتحميد فوق الحمد
فمعناه المستغرق لجميع المحامد لان التحميد لا يستوجبه الا المستولى على الامد فى الكمال فاكرم الله عز اسمه نبيه وحبيبه
باسمين مشتقين من اسمه سبحانه محمد واحمد واليه اشار حسان بن ثابت فى قوله الم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله اعلى
وامجد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد نبى اتانا بعد يأس وفترة من الدين والاوثان فى الارض تعبد
الاعراب انما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره تنقلبون ان مات او قتل لان الشرط لما انعقد به صار جملة

ع ٥

واحدة وجزاواحدا بمنزلة تقديم الاسم على الفعل فى الذكر اذا قيل زيد قايم وكذلك تقديمه فى القسم والاكتفاء بجواب الشرط
عن جواب القسم كما قال الشاعر حلفت لا يدنح الابل لا يزل امامك بيت من بيوتى ساير المنزل قال اهل التفسير سبب نزول الاية لدان م
انه لما ارجف بان النبى صلى الله عليه وآله قتل يوم احد واشيع ذلك قال اناس لو كان نبيا لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل
عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وهزم وكان سبب انهزامهم وتضعفهم اخلال الرماة بمكانهم من الشعب وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله نهاهم عن الاخلال به وامر عبد الله بن جبير وهو اخو خوات بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا
مكانكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وجاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابى جهل ومعهم
النساء يضربون بالدفوف وينشدون الاشعار فقالت هند نحن بنات طارق نمشى على النمارق ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق
فراق غير وامق وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصيفى اول من لقيهم بالاحابيش وعبيد اهل مكة فقاتلهم قتالا شديدا وحميت الحرب
فقال رسول الله من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحنى فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما
اخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يفخر ويقول انا الذى عاهدنى خليلى ان لا اقيم الدهر فى الكبول اضرب بسيف الله والرسول
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انها لمشية يبغضها الله الا فى هذا المكان ثم حمل النبى واصحابه على المشركين فهزموهم
وقتل على بن ابى طالب عليه السلم اصحاب اللوا كما تقدم بيانه وانزل الله نصره على المسلمين قال الزبير رايت هندا وصواحبها
هاربات مصعدات فى الجبل باديات خدامهن ما دون اخذهن شئ فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا وراوا النبى صلى الله
عليه وآله واصحابه ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا امر رسول الله صلى الله عليه
وآله وقال بعضهم ما بقى من الامر شئ ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين
بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح فى خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبى صلى الله عليه وآله من خلفه فهزموهم و
قتلوهم ورمى عبد الله بن قميئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وآله بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه فى وجهه فاثقله وتفرق اصحابه عنه و
قيل يريد قتله فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم احد وكان اسم رايته
العقاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قميئة فرجع وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله
عليه وآله وقال انى قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصارخ كان ابليس لعنه الله فانكفأ
الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو الناس الى عباد الله فاجتمع اليه ثلثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين
ورمى سعد بن ابى وقاص حتى انقطعت سية قوسه واصيب يد طلحة بن عبيد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن النعمان
يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وآله مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله
ادركه ابى بن خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل فقال دعوه حتى
اذا دنا منه وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فقال رسول الله
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وآله الحربة من الحرث بن الصمت
ثم استقبله فطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فتدهدا عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله
اصحابه وقالوا ليس عليك باس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لى اقتلك فلو بزق على بعد تلك
المقالة لقتلنى فلم يلبث الا يوما حتى مات قالوا وفشا فى الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قتل فقال بعض المسلمين
ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابى فياخذ لنا امانا من ابى سفيان وبعضهم جلسوا والقوا بايديهم وقال الناس من اهل
النفاق ان كان محمد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فان رب
محمد لم يقتل وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وموتوا على ما مات
عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المنافقين ثم شد بسيفه

حتى قتل ثم ان رسول الله انطلق الى الصخرة وهو يدعوا الناس فاول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت
المغفر تزهران فناديت باعلى صوتى يا معاشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله فاشار الى ان اسكت فانحازت اليه طايفة من اصحابه
فلامهم النبى صلى الله عليه وآله على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بارواحنا وآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قتلت فرعبت قلوبنا
فولينا مدبرين فانزل الله تعالى وما محمد الا رسول الاية المعنى ثم بين سبحانه انه لا ينبغى ان يترك امر الله عز وجل كان الرسول
بين اظهرهم او لم يكن فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعنى انه بشر اختاره الله لرسالته الى خلقه قد مضت
قبله رسل بعثوا فادوا الرسالة ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل
وقيل ارادان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند موتهم او قتلهم فاقتدوا بهم ثم اكد ذلك فقال سبحانه افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم معناه افان اماته الله او قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد موته فسمى الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقرى
لان الردة خروج الى اقبح الاديان كما ان الانقلاب خروج الى اقبح ما يكون من الشئ والالف فى قوله افان الف انكار صورته صورة
الاستفهام ومثله اختيار الفساد على الصلاح والخطا على الصواب وفى قوله مات او قتل دلالة على ان الموت غير القتل لان
الشئ لا يعطف على نفسه والقتل هو نقض بنية الحيوة والموت افساد البنية التى تحتاج الحيوة اليها بفعل معان فيه تضاد للمعانى
التى تحتاج اليها الحيوة وقيل الموت معنى يضاد الحيوة والصحيح الاول ومن ينقلب على عقبيه يعنى من يرتد عن دينه فلن يضر
الله شيئا لانه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عايدة عليه لانه يستحق العقاب وسيجزى الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله
تعالى واعترافهم بها وقيل اراد بالشاكرين المطيعين لان الطاعات هى شكر الله على نعمه وهذا لا يتصل بما قبله اتصال الوعد
بالوعيد لان قوله فلن يضر الله شيئا دليل على معنى الوعيد فكانه قال من يرتد عاد ضرره عليه ومن شكر وآمن فنفعه يعود اليه
فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد كانت كفار قريش يسمعون مذمما يعنون اسم النبى صلى الله عليه وآله قال الم تروا كيف
صرف الله عنى لعن قريش وشتمهم يشتمون مذمما وانا محمد وفى مسند على بن موسى الرضا عن آبائه عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه واوسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من
اسمه محمد او احمد فى مشورتهم الا خير لهم وما من مايدة وضعت فحضرها من اسمه احمد او محمد الا قدس فى كل يوم ذلك المنزل
مرتين وعن انس بن مالك قال كان النبى صلى الله عليه وآله فى السواق فقال رجل يا ابا القسم فقام اليه رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال الرجل انما ادعوا ذاك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى وعن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى انا ابو القسم الله يعطى وانا اقسم ثم رخص ذلك لعلى وابنه وعن
على بن ابى طالب عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان ولد لك غلام نحلته اسمى وكنيتى قوله تعالى
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهِ
مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ ﴿﴾ آية الاعراب كتابا نصب على المصدر لفعل محذوف دل عليه اول الكلام مع العلم بان كل ما
يكون فقد كتبه الله فتقديره كتب الله ذلك كتابا وقال الاخفش اللام فى قوله وما كان لنفس ان تموت منقول بمعنى دخلت على الى
غيره وتقديره وما كان نفس لتموت اى لان تموت المعنى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ومعناه وما كانت نفس
ان تموت الا باذن الله ومثله ما كان الله ان يتخذ ولدا اى ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها معناه
ما كنتم لتنبتوا شجرها لان انبات الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر ففى الآية اخبار ان الموت لا يكون الا باذن الله وهذا تسلية
عن الحق النفوس بموت النبى صلى الله عليه وآله من جهة انه باذن الله ومعناه انه عليه السلم ان مات فانما يموت بامر الله تعالى
وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لاحد فى ترك دينه بعد موته وقيل ان فيه تحضيضا على الجهاد من حيث لا يموت احد الا باذن الله
اى فلا تتركوا الجهاد خشية القتل فان ذلك لا يؤخر اجلا قد حضر ولا يقدم الجهاد اجلا لم يحضر فلا معنى للانهزام وقوله باذن
الله يحتمل امرين احدهما بعلم الله والاخر بامر الله قال ابو على الجبائى فيه دلالة على انه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على

ضده من الحيوة غير الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه وقوله كتابا موجلا معناه كتب الله لكل حي اجلا وقتا لحيوته ووقتا
لموته ولا يتقدم ولا يتاخر وقيل حتما موقتا وحكما لازما مبرما ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها قيل في معناه اقوال احدها ان معناه
من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الاخرة عن ابن اسحق اى فلا يغتر بحاله في الدنيا وثانيها من اراد بجهاده ثواب
الدنيا وهو النصيب من الغنيمة نوته منها ليبين ان حصول الدنيا للانسان ليس بموضع غبطة لانها مبذوله للبر والفاجر عن
ابى على الجبائى وثالثها من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل مع مواقعة الكباير جوزى بها في الدنيا دون الاخرة لاحباطه عمله
بفسقه وهذا على مذهب من يقول بالاحباط ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها اى ومن يرد بالجهاد واعماله ثواب الاخرة نوته منها
فلا ينبغى للحدان يطلب بطاعاته غير ثواب الله تعالى ومثله قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وقريب
منه قول النبى صلى الله عليه وآله من طلب الدنيا بعمل الاخرة فما له في الاخرة من نصيب ومن قوله منها يحتمل ان يكون زايدة و
يحتمل ان يكون للتبعيض لانه انما يستحق الثواب على قدر العمل وسنجزى الشاكرين اى نعطيهم جزاء الشكر وفي تكراره قولان احدها
انه للتاكيد وللتنبيه على عظم منزلة الشاكر والثانى ان معناه وسنجزى الشاكرين من الرزق في الدنيا لئلا يتوهم ان الشاكر محروم ما يعطى
الكافر من نعيم الدنيا عن ابن اسحق وروى ابان بن عثمن عن ابى جعفر عليه السلم انه اصاب عليا عليه السلم يوم احد ستون
جراحة وان النبى صلى الله عليه وآله ام سليم وام عطيه ان يداوياه فقالت انا لا نعالج منه مكانا الا انفتق مكانا وقد خفنا عليه فدخل
رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل يمسحه بيده ويقول ان رجلا لقى هذا في الله فقد
ابلى واعذر وكان القرح الذى يمسحه رسول الله يلتئم فقال على الحمد لله اذ لم افر ولم اول الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من
القرآن وهو الوقت الذى يموت فيه لانه لا ينقطع بالقتل عن الاجل الذى اخبر الله تعالى بانه اجل لموته وقال ابن الاخشيد
لا دليل فيه على ذلك لان للانسان اجلين اجلا يموت فيه لا محالة واجلا هو موهبة من الله تعالى له ومع ذلك فلن يموت
الا عند الاجل الذى جعله الله تعالى اجلا لموته والاقوى الاول النظم اتصل قوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
بما قبله لانه حث على الجهاد وقيل لانه تسليه عما لحق النفوس من الوجوه بموت النبى صلى الله عليه وآله وقيل للبيان بان حالهم
لا يختلف في التكليف بانه يموت النبى صلى الله عليه وآله فينبغى ان يتمسك بامره في حيوته وبعد وفاته قوله تعالى
وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝
فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير كاين على وزن ع ٦
كاعن وابو جعفر يلين الهمزة وهو قراءة الحسن والباقون كاين على وزن كعين وقرا اهل البصرة وابن كثير ونافع قتل بضم
القاف بغير الف وهى قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالالف وهى قراءة ابن مسعود الحجة اصل كاين اى دخلت عليه كاف
التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى ان من كان وكثر استعمال الكلمة فصارت ككلمة واحدة فقلبت قلب الكلمة الواحدة
فصار كيان فحذفت الياء الثانية كما حذفت في كينونة فصار كيان مثل كيعن ثم ابدلت من الياء الالف كما ابدل من طاى
فصار كاين ثم لينت الهمزة على قراءة ابى جعفر قال الشاعر وكاين رددنا عنكم من مدجج يجئ امام القوم يردى مقنعا وقال آخر
فكاين الينا قادم من رابين فتيه جنودا امثال الجبال كتايبه وقد حذفت الياء في قول الفرزدق سطرت نزار والسماكين ايهما
على من الغيث استهلت مواطره واما قتل فيجوز ان يكون مسندا الى ضمير نبى واذا اسند الى هذا الضمير احتمل قوله معه ربيون
امرين احدهما ان يكون صفة لنبى فاذا قدرته هذا التقدير كان قوله ربيون مرتفعا بالظرف بلا خلاف لان الظرف اذا اعتمد
على ما قبله جاز ان يرفع على مذهب سيبويه ايضا والآخر ان يكون الاسم الذى اسند اليه قتل ربيون فيكون على هذا التقدير
قوله معه متعلقا بقتل وعلى القسمين الاخرين الذين هما الصفة والحال متعلقا في الاصل بمحذوف وكذلك من قرا قاتل
معه ربيون فهو يجوز فيه ما جاز في قراءة من قرا قتل ووجه من قرا قاتل ان المقاتل قد مدح كما مدح المقتول قال بجانبه وقاتلوا

وقتلوا

وقتلوا ومن جعل قوله معه ربيون صفه احمر للمبتداء الذى هو كاين جزا وموضع الكاف الجارة فى كاين مع المجرور رفع كما ان موضع
الكاف فى قوله له كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كانه لا معنى للتشبيه فى كذا وكذا اللغة الوهن الضعف وانما قال وما
ضعفوا من حيث ان الوهن انكسار الجسد بالخوف ونحوه والضعف نقصان القوة والاستكانة اصلها من الكينه وهى
الحالة السيئه يقال بات بكينه اى بشه سوء وبجنبه اى بحال سوء والاسراف مجاوزة المقدار والافراط بمعناه وضدهما
التقتير وقيل الاسراف مجاوزة الحق الى الباطل بزيادة او نقصان والاول اظهر يقال اسرفت الشئ اى نسبته كان جاوزه الى غيره بالسهو
عنه المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله وكاين من نبى اى كم من رسول قاتل اى حارب اقتل معه ربيون ذكرنا تقديره فى الحجة وقيل
فى ربيون اقوال احدها انهم علماء فقهاء صبر عن ابن عباس والحسن وثانيها انهم جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة وثالثها انهم
منسوبون الى الرب ومعناه المتمسكون بعبادة الله عن الاخفش وقال غيره منسوبون الى علم الرب ورابعها ان الربيون عشرة
الاف عن الزجاج وهو المروى عن ابى جعفر عم وخامسها ان الربيون الاتباع والربانيون الولاة عن ابن زيد ومن اسند الضمير
فى قتل الى نبى فالمعنى كم من نبى قتل ذلك النبى وكان معه جماعة كثيرة فقاتل اصحابه بعده وما وهنوا وما فتروا ومن اسند
قتل الى الربيين دون ضمير نبى فالمعنى ما وهن باقيهم بعد ما قتل كثير منهم فى سبيل الله والى هذا ذهب الحسن لانه كان يقول
لم يقتل نبى قط فى معركة والى الاول ذهب ابن اسحق وقتادة والربيع والسدى فعلى هذا يكون النبى المقتول والذين
معه لا يهنون بين الله سبحانه انه لو كان قتل صلى الله عليه وآله كما ارجف بذلك يوم احد لما اوجب ذلك ان تضعفوا
او تهنوا كما لم يهن من كان مع الانبيا بقتلهم وهو المروى عن ابى جعفر عم وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم وما ضعفوا عن
عدوهم وما استكانوا لما اصابهم فى الجهاد عن دينهم اى ما خضعوا لعدوهم عن الزجاج والله يحب الصابرين فى الجهاد
وقال ابن الانبارى اى فقد كان واجبا عليكم ان تقاتلوا على ما امر نبيكم كما قاتل امم الانبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن
دينهم وما كان قولهم عند لقاء العدو الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا والمعنى ما كان قولهم الا استغفارهم اى الا قولهم اغفر لنا
وقولهم ان قالوا اسم كان وقولهم خبره والضمير يعود الى النبى ومن معه على احدى القولين والى الربيين فى القول الاخر وقوله
اغفر لنا ذنوبنا استرها علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها واسرافنا فى امرنا اى تجاوزنا الحد وتفريطنا وتقصيرنا رغب الله سبحانه
اصحاب الرسول عليه السلم فى ان يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولا يدل على الضعف فيطمع الاعداء فيهم وثبت اقدامنا فى جهاد
عدوك بتقوية القلوب وفعل الالطاف التى تثبت معها الاقدام فلا تزول للانهزام وقيل معناه ثبت على الدين فتثبت به
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين بالقاء الرعب فى قلوبهم وامدادنا بالملائكة بين سبحانه ما اتاهم عقيب دعائهم فقال
فآتاهم الله يعنى الذين وصفهم اعطاهم الله ثواب الدنيا والآخرة وهو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهروهم وغلبوهم
فنالوا منهم الغنيمة وحسن ثواب الآخرة وهو الجنة والمغفرة ويجوز ان يكون ما اتيهم فى الدنيا من الظفر والفتح والنصر واخذ
الغنيمه ثوابا مستحقا لهم على طاعاتهم لان فى ذلك التعظيم لهم والاجلال ولذلك نقول ان المدح على فعل الطاعة و
التسمية بالاسماء الشرعية نفس الثواب ويجوز ان يكون الله تعالى اعطاهم ذلك تفضلا منه اى لما الهم فيه من اللطف فيكون
تسميه بانه ثواب مجازا او توسعا والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل والله يحب المحسنين فى اقوالهم
وافعالهم والمحسن فاعل الحسن وقيل المحسن الذى يحسن الى نفسه بطاعة ربه وقيل الذى يحسن الى غيره قوله تعالى
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ عشر
ايتان اللغة الطاعة موافقة الارادة المرغبه فى الفعل وبالترغيب ينفصل من الاجابة وان كان موافقه الارادة حاصلة
ن فى الناس من قال الطاعة هى موافقه الامر والاول اصح لان من فعل ما يقتضى الفعل وجوبه او حسنه كان مطيعا لله وان
لم يكن هناك امر الاعراب يردوكم جزم لانه جواب الشرط فينقلبوا عطف عليه وخاسرين نصب على الحال وبل حقيقته للاضراب
عن الاول الى الثانى النزول قيل نزلت الآيات فى المنافقين اذ قالوا للمؤمنين يوم احد عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وارجعوا

فی دینهم عن علی علیه السلم وقیل هم الیهود والنصاری عن الحسن وابن جریج المعنی لما امر سبحانه بترک الائتمار لمن یثبطهم عن الجهاد من الکفار
فقال یا ایها الذین آمنوا ای صدقوا الله و رسوله ان تطیعوا الذین کفروا ای ان صغیتم الی قول الیهود والمنافقین ان محمدا قتل فارجعوا
الی عشایرکم یردوکم علی اعقابکم ای یرجعوکم کفارا کما کنتم فتنقلبوا خاسرین ای ترجعوا خاسرین لانفسکم قد خسرتم اعظم من ان تبدلوا
الکفر بالایمان والنار بالجنة بل الله مولیکم ای هو ولیکم بان تطیعوه وهو ولی بنصرتکم وهو خیر الناصرین وانما قال ذلک وان کان
نصر غیره لا یعتد به مع نصره استظهارا فی الحجة ای ان اعتد بنصرة غیره فهو خیرها لانه لا یجوز ان یغلب وان نصره وان تصرفوا الناس
فی الحقیقه ان شاء امدکم باهل السماء وان شاء امدکم باهل الارض وان شاء نصرکم بالقاء الرعب فی قلوب اعدائکم قوله تعالی
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ • آیة القراءة
قرا ابن عباس وابو جعفر والکسائی ویعقوب وابو حاتم الرعب بضمتین والآخرون بتسکین العین وقد تقدم القول فی مثله
اللغة السلطان معناه هنا الحجة والبرهان واصله القوة فسلطان الملک قوته والسلطان البرهان لقوته علی دفع الباطل
والتسلیط علی الشیء التقویة علیه والاغراء به والسلاطة حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة علی ذلک مع ایثار فعله و
التسلیط الذنب لقوة استعماله بحدته والالقاء اصله فی الاعیان یدل علیه قوله والقی الالواح فالقوا حبالهم واستعمل
فی غیر عین اتساعا اذ لیس الرعب لعین وکذلک قوله والقیت علیک محبة منی ومثل الالقاء فی ذلک الرمی قال سبحانه
والذین یرمون ازواجهم بالزنا فهو اتساع لانه لیس بعین وکذلک قوله رمانی بامر کنت منه ووالدی بریا ومن حول الطوی
رمانی والمثوی المنزل واصله من الثواء وهو طول الاقامة وام المثوی ربة البیت والثوی الضعیف لانه مقیم مع القوم
النزول قال السدی لما ارتحل ابو سفیان والمشرکون یوم احد متوجهین الی مکة قالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتی اذا لم
یبق منهم الا الشرید ترکناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا علی ذلک القی الله فی قلوبهم الرعب حتی رجعوا عما هموا به
وستاتی هذه القصة فیما بعد فنزلت الآیة المعنی ثم بین سبحانه انه من جملة نصرته للمؤمنین القاء الرعب
قلوب المشرکین فقال سنلقی ای سنقذف فی قلوب الذین کفروا الرعب ای الخوف والفزع بما اشرکوا بالله ای لهم علیه ما لا یجوز
من الند والشریک ما لم ینزل به سلطانا ای برهانا وحجة یعنی لم یجعل لهم فی ذلک حجة ومأواهم ای مستقرهم النار یعذبون
فیها وبئس مثوی الظالمین وروی ان الکفار دخلوا مکة کالمنهزمین مخافة ان یکون لرسول الله صلی الله علیه وآله الکرة
علیهم وقال رسول الله صلی الله علیه واله نصرت بالرعب مسیرة شهر قوله تعالی وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ
بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ • آیة اللغة الحس القتل علی وجه الاستیصال و
اصله من الاحساس ومنه هل تحس منهم من احد وسمی القتل حسا لانه یبطل الحس والقتل الجبن الاعراب صدق یتعدی الی
مفعولین وجواب اذا فی قوله حتی اذا فشلتم قیل فیه وجهان احدهما انه محذوف وتقدیره حتی اذا فشلتم امتحنتم والثانی انه
علی زیادة الواو التقدیم والتاخیر وتقدیره حتی اذا تنازعتم فی الامر فشلتم عن الفراء قال هذا کقوله فلما اسلما وتله للجبین وناديناه
ومعناه نادیناه والواو زایدة وحتی اذا جاؤها فتحت وانشد حتی اذا قملت بطونکم ورایتم ابناءکم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا
ان اللئیم العاجز الخب والبصریون لا یجیزون هذا ویتاولون جمیع ما استشهد به علی الحذف لانه ابلغ فی الکلام واحسن
النزول ذکر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعد المذکور فی الآیة کان یوم احد لان المسلمین کانوا
یقتلون المشرکین حتی اخل الرماة بمکانهم الذی امرهم الرسول بالمقام عنده واتاهم خالد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبیر
ومن معه فتراجع المشرکون وقتل من المسلمین سبعون رجلا ونادی مناد قتل محمد ثم من الله علی المسلمین فرجعوا وفی ذلک
نزلت الآیة المعنی ثم بین سبحانه انه صدقهم وعده فقال ولقد صدقکم الله وعده ووفی الله لکم بما وعدکم فی قوله بلی ان تصبروا
وتتقوا ویاتوکم من فورهم هذا یمددکم ربکم الآیة وقیل کان الوعد قول رسول الله صلی الله علیه وآله للرماة لا تبرحوا هذا المکان

نصف الحزب

فلا تزال غالبين ما ثبتم فى مكانكم اذ تحسونهم اى تقتلونهم باذنه اى بعلمه وقيل بلطفه لان اصل الاذن هو الاطلاق فى الفعل
واللطف تيسر الفعل كما ان الاذن كذلك تحسن اجراء اسمه عليه حتى اذا فشلتم معناه جبنتم من عدوكم وكععتم وتنازعتم فى الامر اى
اختلفتم وعصيتم امر نبيكم فى حفظ المكان من بعد ما اريكم ما تحبون من النصرة على الكفار وهزيمتهم والظفر بهم والغنيمة واكثر
المفسرين على ان المراد بالجميع يوم احد وقال ابو على الجبائى معناه اذ تحسونهم يوم بدر حتى اذا فشلتم يوم احد وتنازعتم وعصيتم
يوم احد من بعد ما اريكم ما تحبون يوم بدر لان الاولى ان يكونوا حكاية عن يوم احد على ما بيناه وجواب اذا هنا محذوف بدلك
الكلام عليه وتقديره حتى اذا فعلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ورفع النصرة عنكم منكم من يريد الدنيا يعنى الغنيمة وهم الذين
اخلوا المكان الذى رتبهم النبى صلى الله عليه وآله فيه وامرهم بلزومه ومنكم من يريد الاخرة اراد عبد الله بن جبير ومن ثبت
مكانه اى يقصد بجهاده ما عند الله وروى عن ابن مسعود قال ما كنت ادرى ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
يريد الدنيا حتى نزلت فينا هذه الآية يوم احد ثم صرفكم عنهم قد ذكر فى اضافة انصرافهم الى الله سبحانه وجوه احدها انهم كانوا
فريقين منهم من عصى بانصرافهم ومنهم من لم يعص لانهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا باذن الله لئلا يقتلون لان الله
سبحانه اوجب ثبات المائة للمائتين فاذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز ان يذكر الله سبحانه الفريقين بانه صرفهم وعفا عنهم يعنى
صرف بعضهم وعفا عن بعض عن ابى على الجبائى وثانيها ان معناه رفع النصرة عنكم ووكلكم الى انفسكم بخلافكم للنبى عليه السلم
فانهزمتم عن جعفر بن حرب وثالثها ان معناه لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم معناه ليختبركم اى يعاملكم بالمظاهرة
فى الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخى وقوله ليبتليكم معناه ليختبركم اى يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة فى العدل وذلك
انه سبحانه انما يجزى عباده على ما يفعلونه دون ما قد علم منهم ولقد عفا عنكم اى صفح عنكم بعد ان خالفتم امر الرسول وقيل
عفا عنكم بتبعهم بعد ان امركم بالتبع عن البلخى قال لما بلغوا حمراء الاسد عفا عنهم من ذلك وقال ابو على الجبائى هو خاص فيمن لم
يعص بانصرافه والاولى ان يكون عاما فى الجميع فانه لا يمتنع ان يكون الله سبحانه قد عفا لهم عن المعصية والله ذو فضل
على المؤمنين اى ذو من ونعمة عليهم بنعم الدنيا والدين وقيل بغفران ذنوبهم بل باستئصالهم كما فعل بمن كان قبلهم وروى
الواحد باسناده عن سهل بن سعد الساعدى قال جرح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكسرت رباعيته وهشمت
البيضة على راسه وكانت فاطمة بنت تغسل عنه الدم وعلى بن ابى طالب عليه السلم يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة ان
الماء لا يزيد الدم الا شدة اخذت قطعة حصير فاحرقته حتى اذا صار رمادا الزمته الجرح فاستمسك الدم قوله تعالى
اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخريكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شىء قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا
يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور آيتان القراءة قرا اهل
الكوفة غير عاصم تغشى طايفة بالتاء والباقون يغشى بالياء وقرا اهل البصرة كله بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو على
حجة من قرا يغشى بالياء قوله اذ يغشاكم النعاس امنة نعاسا والنعاس هو الغاشى ولان يغشى اقرب الى النعاس واسناد
الفعل اليه اولى ويقال غشينى النعاس وغلب على النعاس ولا يسهل غشينى الامنة وحجة من قرا بالتاء ان النعاس وان
كان بدلا من الامنة فليس المبدل منه فى طريق ما سقط من الكلام يدلك على ذلك قولهم الذى مررت به زيد ابن عبد الله
وقال وكانه لهو السراة كانه ملحا حسه سعين بهواء فجعل الخبر على الذى ابدل منه وحجة من نصب كله ان كله بمنزلة
اجمعين فى انه للاحاطة والعموم فالوجه ان لا يلى العوامل كما لا يليها اجمعون ووجه ابى عمرو ورفعه كله وابتدائه به انه وان
كان فى اكثر الامر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد ابتدى بسائر الاسماء ونحو قوله وكلهم اتيه يوم القيمة فردا فابتدائه فى الآية

اللغة الفرق بين الاصعاد والصعود ان الاصعاد فى مستو من الارض والصعود فى ارتفاع يقال اصعدنا من مكة اذا ابتدأنا
السفر منها ومنه قول الشاعر هواى مع الركب اليمانى مصعد جنيب وجثمانى بمكة موثق وروى عن الحسن انه قرأ تصعدون
بفتح التاء والعين وقال انهم صعدوا فى الجبل فرارا وقال الفراء الاصعاد الابتداء فى كل سفر والانحدار الرجوع عنه ولا
تلوون اى لا تعرجون على احد كما يفعله المنهزم ولا يذكر هذا الا فى النفى لا يقال لويت على كذا واصله من لى العنق للالتفات
والنعاس الوسن وناقة نعوس توصف بالسماحة فى الدر الاعراب وقوله اذ تصعدون العامل فى اذ قوله ولقد عفا عنكم
واللام فى قوله لكيلا تحزنوا يتعلق به ايضا وقيل يتعلق بقوله فاثابكم ولا تحزنوا منصوب بلى وامنة مفعول انزل ونعاسا
بدلا منها وطايفة الاولى مفعول يغشى وطايفة الثانية مرفوعة بالابتداء وخبرها يظنون وقد اهمتهم انفسهم فى موضع رفع
بالصفة ويجوز ان يكون قد اهمتهم انفسهم خبرا والواو فى طايفة واو الحال على تقدير يغشى النعاس طايفة فى حال ما اهمت
طايفة منهم انفسهم فالجملة فى موضع الحال ويجوز النصب على ان يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا وعمرا اكرمته
فيكون منصوبا على اضمار فعل الذى قد ظهر تفسيره المعنى ثم ذكر سبحانه المنهزمين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله يوم احد فقال اذ تصعدون معناه ولقد عفا عنكم اذ تذهبون فى وادى احد للانهزام فرارا من العدو عن قتادة والربيع
ولا تلوون على احد اى لا تقيمون على من خلفتم فى الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على احد والرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وآله
يدعوكم فى اخريكم اى يناديكم من ورائكم فيقولون ارجعوا الى عباد الله ارجعوا انا رسول الله يقال جاء فلان اخرة الناس واخرى
الناس اذا جاء بعقبهم فاثابكم غما بغم اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه جعل مكان ما ترجون من الثواب ان غمكم بالهزيمة
وظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله صلى الله عليه وآله اذ عصيتموه وضيعتم امره فالغم الاول لهم والثانى للنبى صلى الله عليه وآله
واختاره الزجاج وثانيها ان معناه غما على غم او غما مع غم او بعد غم كما يقال نزلت بفلان وعلى فعل حتى فعل كذا ويقال ما زلت
بزيد حتى فعل اى مع زيد واراد به كثرة الغم بالندم على ما فعلوا وبما اصابهم من الشدايد وانهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله
تعالى وثالثها ان الغم الاول القتل والجرح والثانى الارجاف بقتل محمد صلى الله عليه وآله عن قتادة والربيع ورابعها اثابكم غما يوم
احد بغم لحق المشركين يوم بدر عن الحسن وفى هذا القول نظر لان ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين انما يوجب
المجازاة بالكرامة دون الغم وخامسها ان المراد غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسن بن على المغربى وانما قيل فى الغم ثواب لان اصله
ما يرجع الى المجازاة على الفعل طاعة كانت او معصية ثم كثر فى جزاء الطاعة فهو كما يقال الشاعر وارانى طربا فى اثرهم طرب الواله
او كالمختبل وقيل انه مما وضع مكان غيره كقوله سبحانه فبشرهم بعذاب اليم اى ضعه موضع البشارة فهو كما قال الشاعر اخاف
زيادا ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم معناه فعل بكم هذا الغم لئلا تحزنوا على ما
فاتكم من الغنيمة ولا تركوا امر النبى صلى الله عليه وآله ولئلا تحزنوا ايضا على ما اصابكم من الشدايد فى سبيل الله وليكون غمكم
بانما خالفتم النبى صلى الله عليه وآله فقط وتقديره لتشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره وقيل معناه ولقد عفا عنكم
لكى لا تحزنوا على ما فاتكم فان عفو الله تعالى يذهب لكل حزن والله خبير بما تعملون فيه ترغيب فى الطاعة وترهيب عن المعصية
ثم انعم سبحانه مما انعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا واقبلوا يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل النعاس عليهم
فى تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على الارض وكان المنافقون لا يستقرون وقد طارت عقولهم فقال ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا اى نوما وهو بدل الاشتمال عن امنة لان النوم يشتمل على الامن فان الخايف لا ينام ثم بين سبحانه ان تلك الامنة
لم تكن عامة بل كانت لاهل الاخلاص وبقى لاهل النفاق الخوف والسهر فقال يغشى طايفة منكم يعنى المؤمنين التى عليهم النوم و
كان السبب فى ذلك المشركين لهم بالرجوع الى القتال فقعد المسلمون تحت الجحف متهيئين للحرب فانزل الله الامنة على المؤمنين
فناموا دون المنافقين الذين ازعجهم الخوف بان يرجع الكفار عليهم ويغيروا على المدينة لسوء الظن فطير عنهم النوم عن ابن اسحق
وابن زيد وقتادة والربيع وطايفة قد اهمتهم انفسهم اى جماعة شغلتهم انفسهم وقيل حملتهم على الهم ومنه قول العرب همك

ما اهمك

ما اهمك ومعناه كان همهم خلاص انفسهم والعرب تطلق هذا اللفظ على كل خايف وجل شغله هم نفسه عن غيره يظنون بالله
غير الحق ظن الجاهلية اى يتوهمون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه كظنهم وقيل ظنهم ما ذكره بعده من يقولون هل لنا من الامر من شيء
فهذا تفسير لظنهم يعنى يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والانكار اي
انطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء اى ليس لنا من ذلك شيء وقيل معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الامر الينا ما خرجنا عن الحسن
وكان هذا القايل عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير واصحابهما عن الزبير بن العوام وابن جريج قل يا محمد ان الامر كله لله ينصر
من يشاء ولا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله ربما عجل النصر وربما اخره لضرب من الحكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد بالامر فى
الموضعين النصر يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك اى يخفون فى انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك يقولون
لو كان لنا من الامر اى من الظفر كما وعدنا شيء ما قتلنا ههنا اى ما قتل اصحابنا شكا منهم فيما وعده الله نبيه من الاستعلاء
على اهل الشرك وتكذيبا به قل يا محمد لهم فى جواب ذلك لو كنتم فى بيوتكم ومنازلكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
قيل فيه قولان احدهما ان معناه لو لزمتم منازلكم ايها المنافقون والمرتابون وتخلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون
والثانى ان معناه لو كنتم فى منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل اى كتب آجالهم وموتهم وقتلهم فى اللوح المحفوظ فى ذلك
الوقت الى مصارعهم وذلك ان ما علم الله تعالى كونه فانه يكون كما علمه لا محاله وليس فى ذلك ان المشركين غير قادرين
على ترك القتال من حيث علم الله تعالى ذلك منهم وكتبه لانه كما علم انهم كذلك علم انهم قادرون ولو وجب ذلك لوجب
ان لا يكون تعالى قادرا على ما علم انه لا يفعله والقول بذلك كفر وليبتلى الله ما فى صدوركم اى ليختبر الله ما فى صدوركم
باعمالكم لانه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لان المجازاة انما تقع على ما علم مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج
وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلين مظاهرة فى العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله ثم صرفهم عنكم ليبتليكم وليبتلى
ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم اي يخلص وقيل هو خطاب للمنافقين اى يأمركم بالخروج فلا تخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم
لهم وينكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه ليبتلى اولياء الله ما فى صدوركم كما قوله يحاربون الله و
رسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة نعاسا اى ليظهر عند هذه الاحوال موافقة باطنكم ظاهركم
وليمحص ما فى قلوبكم اى يظهرها من الشك بما يريكم من عجايب صنعه ويخلص نياتكم وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون
المنافقين والله عليم بذات الصدور معناه ان الله لا يبتليكم ليعلم ما فى صدوركم فانه عليم بذلك وانما ابتلاكم ليظهر اسراركم فيقع
جزاء على ما ظهر قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا
اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥ آية المعنى ثم ذكر سبحانه الذين انهزموا يوم احد ايضا فقال ان الذين تولوا منكم اي الذين ولوا
الدبر عن المشركين باحد منكم ايها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل هم الذين هربوا الى المدينة في وقت الهزيمة عن السدى
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وسيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وجمع المشركين ورئيسهم ابو سفيان انما استزلهم الشيطان
اى طلب زلتهم عن القتبى وقيل ازل واستزل بمعنى ببعض ما كسبوا من معاصيهم للمبالغة فلحقهم شؤمها وقيل استزلهم
بمحبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقيه الحيوة عن الجبائى وقال وفى ذلك الزجر عما يؤدى الى الفتنة فيما يلزم من الامور وقيل استزلهم
بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج ولقد عفا الله عنهم اعاد
سبحانه ذكر العفو تاكيدا لطمع المذنبين فى العفو ومنعا لهم عن الياس وتحسينا الظنون المؤمنين ان الله غفور حليم وقد
مر معناه وذكر ابو القسم البلخى انه لم يبق مع النبى صلى الله عليه وآله يوم احد الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين وثمانية
من الانصار فاما المهاجرين فعلى عليه السلم وابو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وقد اختلف فى
جميع الا فى على عليه السلم وطلحة وقد روى عن عمر بن الخطاب انه قال رايتنى اصعد فى الجبل كانى اروى ولم يرجع عثمان
من الهزيمة الا من بعد ثلث فقال له النبى صلى الله عليه وآله لقد ذهبت فيها عريضة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا

خمس ع

لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر في
ذلك وفي حفص في ساير المواضع الا ههنا وقرا الباقون متم بضم الميم وقرا مما يجمعون بالياء حفص والباقون تجمعون بالتاء الحجة قال ابو علي
حجة من قرا بالتاء قوله لا تكونوا كالذين كفروا وحجة من قرا بالياء ان قبلها ايضا غيبة وهو قوله وقالوا لاخوانهم وما بعده فحمل
الكلام على الغيبة والاشهر الاقيس في متم ضم الفاء والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذ فضل يفضل في الصحيح وانشد واذكرت
ابن عباس بباب ابن عامر وما ضل من عمري ذكرت ومن فضل واما تجمعون بالتاء فالمعنى على تجمعون ايها المقتولون في سبيل
الله او المايتون ونعني بالياء انه من الله خير مما يجمعه غيركم اللغة في الارض البر فيها واصله الضرب باليد وقيل هو الايقال
في السير وغزى جمع غاز نحو ضارب وطالب وطلب الاعراب قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض وضع اذا موضع اذ لاحد
امرين اما لانه متصل بلا تكونوا كهولاء اذا ضرب اخوانهم في الارض واما لان الذي اذا كان بينهما غير موقت يجري مجرى ما في
الجزاء فيقع الماضي فيه موقع المستقبل نحو ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز لاكرمن
الذي اكرمك اذا زرته للوقت الذي من اجل الاشارة اليه بهذا قوله ليجعل الله ذلك اللام يتعلق بلا تكونوا اي لا تكونوا
كهولاء الكفار في هذا القول ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم فيكون لام العاقبة
عن ابي علي الجبائي وقوله لئن قتلتم استغني عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير وقد يجتمع شيان
كل واحد منهما يحتاج شيان كل واحد منهما يحتاج الى جواب وكان جواب القسم اولى بالذكر لان له صدر الكلام مما يذكر في حشوه
واللام في قوله ولئن متم يحتمل امرين احدهما ان يكون حلفا من القسم ويكون اللام في قوله لالى الله جوابا لقولك والله لئن متم
او قتلتم لتحشرون الى الله والثاني ان يكون مؤكدة كما بعدها كما تؤكد ان ما بعدها ويكون الثانية جوابا القسم محذوف والنون
لا بد منها في نحو المضارع مع لام القسم لان القسم احق بالتاكيد من كل ما يدخله النون من جهته ان ذكر القسم دليل على انه
من مواضع التاكيد فاذا جازت في غيره من الامر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما لزمت في القسم لانه احق بها من غيره
والفرق بين لام القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء يصرف الاسم اليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو علمت لزيد خير منك وقد علمت
ان زيدا ليقوم وليس كذلك لام القسم لانها لا تدخل على الاسم ولا يكسر لها ان نحو ما علمت ان زيدا ليقومن ويلزمها النون
في المستقبل المعنى ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في افعالهم واقوالهم فقال يا ايها الذين آمنوا لا
تكونوا كالذين كفروا يريد عبد الله بن ابي سلول واصحابه من المنافقين عن السدي ومجاهد وقيل هو عام وقالوا لاخوانهم
من اهل النفاق اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها للتجارة او طلب معاش فماتوا عن السدي وابن اسحق وانما خص الارض
بالذكر لان اكثر لهم صغارهم كان في البر وقيل اكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله سبحانه سرابيل تقيكم الحر وقيل لان الارض
تشتمل على البر والبحر او كانوا غزى اي غزاة محاربين للعدو فقتلوا لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم معناه قالوا ذلك القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا وقالوا الغزو والغنيمة
فصار حسرة في قلوبهم فاللام على هذا في ليجعل لام العاقبة وقيل معناه لا تكونوا كهولاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله
تلك المقالة سببا لالزام الحسرة والحزن قلوبهم لما يحصل لهم من الحسنة فيما املوا من الموافقة ولما فاتهم من عن الظفر والغنيمة
والله يحيي ويميت اي هو الذي يحيي ويميت في السفر والحضر عند حضور الاجل لا موخر لما قدم ولا مقدم لما اخر ولا راد لما قضى
ولا محيص عما قدر وهذا يتضمن منع الناس من التخلف عن الجهاد خشية القتل فان الاحياء والاماتة لله سبحانه فلا حيوة
لمن قدر الله موته ولا موت لمن قدر حيوته والله بما تعملون بصير اي مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب
عن المعصية ثم احث سبحانه على الجهاد وبين ان الشهادة خير من اموال الدنيا المستفادة بان قال ولئن قتلتم ايها المؤمنون في

سبيل الله اى فى الجهاد او متم قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم مغفرة الله ورحمته والمغفرة الصفح عن الذنوب والرحمة
الثواب والجنة وهاتان خير مما يجمعون من الاموال والمقاصد الدنيويه وهذا يتضمن تعزية المؤمنين وتسليتهم عما اصابهم فى سبيل
الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم ثم قال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون اى سواء متم او قتلتم
فان مرجعكم الى الله تعالى فيجزى كلا منكم على ما يستحقه المحسن على احسانه والمسئ على اسائته فاثروا ما يقربكم الى الله ويوجب
لكم رضاه من العمل بطاعته والجهاد فى سبيله ولا تركنوا الى الدنيا وفى هذا المعنى البيت الذى ينسب الى الحسين عليه السلم
فان تكن الابدان للموت انشيت فقتل امرئ فى السيف والله افضل سوال ان قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام
الدنيا مع تفاوت بينهما ولا يقول احد الدرة خير من البعرة فجوابه ان الناس يؤثرون الدنيا على الآخرة حتى انهم تركوه
للجهاد فى سبيل الله محبة للاستكثار من الدنيا وايثار المقام فيها فخلى هنا جاز ذلك قوله تعالى فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ
لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ • آية اللغة الفظ الخليط الجافى العاسى القلب يقال منه فظظت فظاظة وانتفظ
على وزن نحل الا انه ادغم كصب والخظاظة خشونة الكلام والانتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع فان اصل الفظاظة
الجفوة والفظ ماء الكرش والغض بالضاد تفريق الشئ والانفضاض التفرق وشاورت الرجل مشاورة وشوارا والاسم المشورة
وقيل المشورة وفلان حسن السورة والصورة اى الهيئة واللباس وانه لحسن الشارة وهو حسن الشارة ومعنى قولهم شاورت
فلانا اظهرت فى الراى اى ما عندى وما عنده وشرت الدابة اشورها اذا امتحنتها فعرفت هيئتها فى سيرها وشرت العسل واشرته
اذا اخذته من مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا وقال عدى بن
زيد وغناء يأذن الشيخ له وحديث مثل ماري مشار والعزم عقد القلب على الشئ يريد ان يفعله العزيم كذلك قال ابن دريد
[illegible] عليك بمعنى اقسمت عليك والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الامر اليه والثقة
بحسن تدبيره واصله الاتكال وهو الاكتفاء فى فعل ما يحتاج اليه بمن يستند اليه ومنه الوكالة لانها عقد على الكفاية
بالنيابة والوكيل هو المتوكل عليه بتفويض الامر اليه الاعراب فبما رحمة ما زايده باجماع المفسرين ومثله عما قليل جاءت ما موكدة
للكلام ودخولها يحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر فى نحو قول عنترة يا شاة ما قنصت لمن حلت له حرمت على وليتها لم تحرم
وقول الفرزدق ما ذيب انك ان يحوت فبعد ما باس وقد نظرت اليك شعوب وذلك ليتمكن المعنى والنفس فيجرى مجرى
التكرير المعنى ثم بين سبحانه ان مساهلة النبى عليه السلم اياهم ومجاوزة عنهم من رحمته حيث جعله لين العطف حسن الخلق
فقال فبما رحمة من الله لنت لهم ومعناه ان لينك لهم مما يوجب دخولهم فى الدين لانك تاتيهم مع سماحة اخلاقك وكرم
سجيتك بالحجج والبراهين ولو كنت يا محمد فظا اى جافيا سيئ الخلق غليظ القلب اى قاسى الفؤاد غير ذى رحمة ولا رافة لانفضوا
من حولك اى لتفرق اصحابك عنك ونفروا منك وقيل انما جمع بين الفظاظة والغلظة وان كانتا متقاربتين لان الفظاظة فى
الكلام فنفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه فاعف عنهم ما بينك وبينهم واستغفر لهم ما بينهم وبينى وقيل معناه فاعف
عنهم فرارهم باحد واستغفر لهم من ذلك الذنب وشاورهم فى الامر اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا فى فايدة
مشاورة مع استغنائه بالوحى عن تعرف صواب الراى من العباد على اقوال احدها ان ذلك وجه لتطييب نفوسهم
والتألف لهم والرفع من اقدارهم ليبين انهم ممن يوثق باقوالهم ويرجع الى رايهم عن قتادة والربيع وابن اسحق وثانيها ان
ذلك ليقتدى به امته فى المشاورة ولا يرونها نقيصة كما مدحوا بان امرهم شورى بينهم عن سفيان بن عيينة وثالثها ان ذلك للامرين
لاجلال اصحابه وليقتدى به امته فى ذلك عن الحسن والضحاك ورابعها ان ذلك ليمتحنهم بالمشاورة فيتميز الناصح من
الغاش وخامسها ان ذلك فى امور الدنيا ومكايد الحرب ولقاء العدو وفى ذلك يجوز ان يستعين بارائهم عن ابى على الجبائى
فاذا عزمت اى فاذا عقدت قلبك على الفعل وامضائه ورووا عن جعفر بن محمد ع وعن جابر بن زيد فاذا عزمت بالضم نعلى هذا

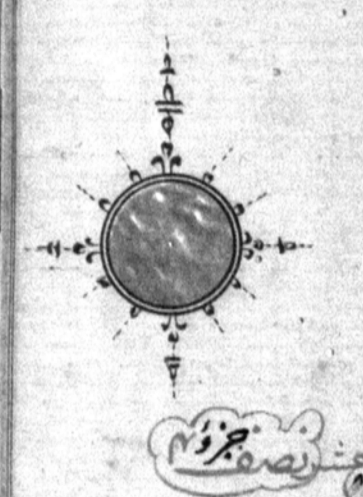
هذا يكون معناه فاذا عزمت لك ووفقتك وارشدتك فتوكل على الله اى فاعتمد على الله تعالى وثق به وفوض امرك اليه ان الله يحب
المتوكلين يعنى الواثقين به والمعتمدين عليه والمنقطعين اليه الواكلين امورهم الى لطفه وتدبيره وفى هذه الآية دلالة على
اختصاص نبينا صلى الله عليه وآله بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومن عجيب امره صلى الله عليه وآله انه كان اجمع الناس
لدواعى الترفع ثم كان ادناهم الى التواضع وذلك انه عليه السلم كان اوسط الناس نسبا واوفرهم حسبا واسخاهم واشجعهم واكارم
وافصحهم وهذه كلها من دواعى الترفع ثم كان يرقع الثوب ويخصف النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك
ويجلس على الارض وكان يدعو الى الله من غير زبر ولا كهر ولا زجر ولقد احسن من مدحه فى قوله فما حملت من ناقة فوق ظهرها
ابر واوفى ذمة من محمد وفى الاية ايضا ترغيب للمؤمنين فى العفو عن المسئ وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم
بعضا فيما يعرض لهم من الامور ونهى عن الفظاظة فى القول والغلظة والجفا فى الفعل ودعاء لهم الى التوكل عليه وتفويض الامور اليه
وفيها ايضا دلالة على ما نقوله فى اللطف لانه سبحانه نبه على انه لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع ولو لم يكن كذلك لما اجابوه
فبين ان الامور المنفرة منفية عنه وعن ساير الانبياء ومن يجرى مجريهم فى انه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم ايضا عن
الكباير لان التنفير فى ذلك اكثر قوله تعالى إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ آية المعنى لما امر سبحانه نبيه عليه السلم بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال ان ينصركم عشر
الله على ناواكم فلا غالب لكم اى فلا يقدر احد على غلبتكم وان كثر عدد من ناواكم وقل عددكم وان يخذلكم اى يمنعكم
معونته ويخل بينكم وبين اعدائكم بمعصيتكم اياه فمن ذا الذى ينصركم من بعده الهاء تعود الى اسم الله على الظاهر والمعنى
على حذف المضاف تقديره من بعد خذلانه يعنى انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلانه جوابه يجب ان يكون بالنفى فصار ذكره يغنى
عن ذكر جوابه وكان ابلغ لتقرير المخاطب فيه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ظاهر المراد وتضمنت الآية الترغيب فى طاعة الله التى
يستحق بها النصرة والتحذير من معصيته التى يستحق بها الخذلان مع ايجاب التوكل عليه الذى يؤمن معه ان يكلهم الى انفسهم فيهلكوا
قال ابو على الجبائى وفى الاية دليل على ان من غلبه اعداء الله من الباغين لم ينصره الله لانه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما فى
المعلوم من مصالح العباد مع تعريض بمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على ان مات من
غلبة الفجار وهذا انما هو فى النصر بالغلبة فاما النصرة بالحجة فان الله تعالى نصر المؤمنين من حيث هداهم الطريق الحق
بما نصب لهم من الادلة الواضحة والبراهين الساطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال ابو القسم البلخى المؤمنون منصورون
ابدا ان غلبوا فهم المنصورون بالغلبة وان غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز ان ينصر الله الكافر على وجه وقال الجبائى
النصر بالغلبة ثواب لانه لا يجوز ان ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلائهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاخشيد ليس
بثواب كيف تصرفت الحال لان الله تعالى قد امرنا ان ننصر الفئة المبغى عليها وقد لا تكون مستحقة للثواب فاما الخذلان فلا
خلاف انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على العدو فى وقت الحاجة اليها لانه لو امتنع انسان من معونة من
مستغنى عن معونته لم يكن خاذلا له قوله تعالى وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغل بفتح الياء وضم الغين والباقون بضم الياء وفتح الغين
الحجة من قرا يغل فمعناه يخون يقال غل فى الغنيمة اذا خان فيها واغل بمعناه قال النمر بن تولب جزى الله عنا حمزة ابنة
نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب بما سالت عنى الوشاة ليكذبوا على وقد اولها فى النوائب ومن قرا يغل فمعناه على وجهين
احدهما ما كان لنبى ان يخون ان ينسب الى الخيانة اى يقال له غللت كقولك سقيته اى قلت له سقاك الله قال
ذو الرمة واستعيرحتى كاد مما ابثه تكلمنى احجاره وملاعبه وقال الكميت وطائفة قد اكفرتنى بحبكم وطائفة قالت مسئ ومذنب
ان نسبتنى الى الكفر والآخر ما كان لنبى ان يخان بمعنى يسرق منه ويوخذ من الغنيمة التى حازها ويكون تخصيص النبى بذلك
تعظيما للذنب قال ابو على الفارسى الحجة لمن قرا يغل ان ما جاء فى التنزيل من هذا النحو اسند الفعل فيه الى الفاعل نحو ما كان لنا

ان تشرك بالله وماكان ليأخذ اخاه وما كان الله ليظلم قوما وماكان الله ليطلعكم على الغيب وماكان لنفس ان تموت الا باذنه
ولا يكاد يقال ماكان لزيد ان يضرب وماكان زيد ليضرب فيسند الفعل فيه الى المفعول به فكذلك قوله ماكان لنبي ان يغل يسند
الفعل فيه الى الفاعل وحكي عن ابن عباس انه قرأ يغل فقيل له ان عبد الله قرأ يُغل فقال ابن عباس بلى والله ويقتل وروي ايضا
انه قال قد كان النبي يقتل فكيف لا يخون اللغة واصل الغلول من الغلل وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء
في اصول الشجر فالغلول الخيانة لانها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل كالغلل ومنه الغل الحقد لانه يجري في
النفس كالغلل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة لانها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لانها شعار البدن
النزول روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير انها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي عليه السلم
اخذها وفي رواية الضحاك عنه ان رجلا غل بمخيط اي بابرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية وعن مقاتل انها نزلت
في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم
بدر ووقعوا في الغنائم فقال عليه السلم اظننتم ان نغل ولا نقسم لكم فانزل الله تعالى الآية وقيل انه قسم المغنم ولم يقسم للطلايع فلما
قدمت الطلايع قالوا قسم المغنم ولم يقسم لنا فعرفه الله تعالى الحكم فيه ونزلت في اداء الوحي كان عليه السلم يقرأ القرآن وفيه عيب
دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يطوي ذلك فانزل الله الآية المعنى لما قدم سبحانه امر الجهاد وذكر بعدهما يتعلق به من حسب
الغنائم والنهي عن الخيانة فيها فقال وما كان لنبي ان يغل وتقديره وما كان لنبي الغلول لان ان مع الفعل بمعنى المصدر
اي لا يجتمع النبوة والخيانة وقيل معناه ما كان له ان يكتم شيئا من الوحي عن ابن اسحق وتقديره وما كان له ان يغل امته فيما
يؤدي اليهم وقيل اللام منقول وتقديره ما كان النبي ليغل كقوله وما كان الله ان يتخذ ولدا ومعناه ما كان الله ليتخذ ولدا وعلى
القراءة الاخرى ما كان لنبي ان يغل اي يخونه اصحابه او بمعنى يكتمونه شيئا من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه بالذكر
وان كان لا يجوز ان يغل غيره من امام وسائر المسلمين لوجهين احدهما العظم خيانته وانها اعظم من خيانة غيره وهذا كقوله
واجتنبوا الرجس من الاوثان وان كان اجتناب جميع الارجاس واجبا والآخر ان النبي انما خص بالذكر لانه القائم بامر
الغنائم واذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب الامر فحرمتها على غيره اولى واجدر وقوله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة
معناه انه يأتي به حاملا على ظهره في خبر طويل الا لا يغلن احد فرسا فيأتي على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد يا محمد فاقول قد بلغت قد
بلغت لا املك لك من الله شيئا عن ابن عباس وابي حميد الساعدي وابن عمر وقتادة قال الجبائي وذلك ليفتضح به على رؤس الاشهاد وقال البلخي
يجوز ان يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كان الله اذا فضحه يوم القيمة جرى ذلك مجرى ان يكون حاملا له وله صوت وقد
روي في خبر آخر ان النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر مناديا ينادي في الناس ردوا الخيط والمخيط فان الغلول عار وشنار يوم
القيمة فجاء رجل بكبة من شعر فقال اني اخذتها لاخيط برذعة لي فقال النبي صلى الله عليه وآله اما نصيبي منها فهو لك فقال
الرجل اما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها والاولى ان يكون معناه ومن يغلل يوافي بما غل يوم القيمة فيكون حمل غلوله
على عنقه امارة يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل من وافى القيمة بمعصية لم يتب منها واراد الله سبحانه ان يعامله بالعدل
اظهر عليه من ان يحله بمعصية علامة تليق بمعصيته ليعلم اهل القيمة بها ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة كما قال سبحانه فيومئذ
لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وهذا حكمه سبحانه في كل من وافى القيمة بطاعة فانه سبحانه يظهر من طاعته علامة يعرف بها ثم توفى
كل نفس ما كسبت اي تعطى كل نفس جزاء ما عملت تاما وافيا وهم لا يظلمون اي لا ينقص احد من مقدار ما استحقه من الثواب ولا
يزداد احد على مقدار ما استحقه من العقاب وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى لو عذب اولياءه لم يكن
ذلك ظلما منه لانه قد بين انه لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلما قوله تعالى أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّٰهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللّٰهِ
وَمَأْوٰيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ آيتان اللغة باء اي رجع يقال باء بذنبه يبوء بوءا اذا رجع
يبوء ترمز لا اي هباءة له لان يرجع اليه والسخط من الله هو ارادة العقاب لمستحقه وهو مخالف للغيظ لان الغيظ هو هيجان

الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز اطلاقه على الله تعالى والمصير المرجع ويفرق بينهما بان المرجع هو انقلاب الشي الى حال كان عليها والمصير
انقلاب الشي الى خلاف الحال التي كان عليها نحو مصير الطين خزفا ولا يقال رجع الطين خزفا لانه لم يكن قبل خزفا والدرجة الرتبه
والدرجات مثل الصبى لتقارب الرتب والترقى فى العلم درجه اى منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة النزول لما امر رسول الله صلى الله
عليه وآله بالخروج الى احد تقعد عنه جماعة من المنافقين واتبعه المؤمنون فانزل الله هذه الآية المعنى لما بين سبحانه ان كل
نفس توفى جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه ببيان من كسبت الخير والشر فقال افمن اتبع رضوان الله وفيه اقوال احدها
ان معناه افمن اتبع رضوان الله فى العمل بطاعته كمن باء بسخط منه فى العمل عن ابن اسحق وثانيها افمن اتبع رضوان الله فى
ترك الغلول كمن باء بسخط من الله فى فعل الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لانه اشبه بما تقدم وثالثها افمن اتبع
رضوان الله بالجهاد فى سبيله كمن باء بسخط من الله فى الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائى وهذا الوجه يطابق ما سبق
ذكره من سبب النزول ومأويه جهنم اى مصيره ومرجعه جهنم وبئس المصير اى المكان هم درجات اى هم ذووا درجات
عند الله فالمؤمنون ذووا درجات رفيعه والكافرون ذوو درجة خسيسة وقيل فى معناه قولان احدها ان المراد اختلاف
مرتبتى اهل الثواب والعقاب بما لهؤلاء من النعيم والكرامة ولاولئك من العقاب والمهانة وعبر عن ذلك بدرجات مجازا
وتوسعا والثانى ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فان الجنة طبقات بعضها على بعض كما جاء فى الخبرات اهل الجنة
ليرون اهل عليين كما يرى النجم من افق السماء والنار دركات بعضها اسفل من بعض ومثله فى حذف المضاف قول ابن
هرمة انشده سيبويه انصب للمنية تعتريهم رجالى ام هم درج السيول اى هم ذووا درج والله بصير بما تعملون اى عليم
وفى هذا ترغيب للناس فى اتباع مرضات وتحذيرهم عما يوجب سخطه واعلام بان اسرار العباد عنده علانيه وفيه توثيق
بانه لا يضيع عمل عامل لديه اذ لا يخفى شىء من ذلك عليه فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية قوله تعالى لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين
آية اللغة اصل المن القطع يقال منه يمنه اذا قطعه والمن النعمة لانه يقطع بها عن البلية يقال من فلان على بكذا اى استنقذنى
مما انا فيه والمن تكدير النعمة لانه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنه القوة لانه يقطع بها الاعمال المعنى ثم ذكر سبحانه
عظم نعمته على الخلق ببعثه نبينا عليه وآله السلام فقال لقد من الله اى انعم على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا خص المؤمنين
بالذكر وان كان صلى الله عليه وآله مبعوثا الى جميع الخلق لان النعمة عليهم اعظم لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك
ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله من انفسهم فيه اقوال احدها ان المراد به من رهطهم يعرفون منشاه وصدقه
وامانته وكونه اميا لم يكتب كتابا ولم يقرا ليعلموا ان ما ياتى به وحى منزل ويكون ذلك شرفا لهم وداعيا اياهم الى الايمان وثانيها
المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا بالعرب وثالثها انه عام لجميع المؤمنين والمراد بانفسهم
انه من جنسهم لم يبعث ملكا ولا جنيا وموضع المنة فيه انه بعث من عرفوا امره وخبروا شانه وقوله يتلوا عليهم آياته يعنى
القرآن ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة مضى بيانه فى سورة البقرة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ظاهر بين اى كفار
او كفرهم هو ضلالهم فانقذهم الله بالنبى صلى الله عليه وآله قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى
هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شىء قدير آية الاعراب انما دخلت الواو فى اولما العطف جملة على جملة الا انها تقدمها الف
الاستفهام لان له صدر الكلام وانما وصلت هذه الواو والكلام الثانى بالاول ليدل على تعلقه به فى المعنى وذلك انها
وصلت التقريع على الخطيئه بالتذكير بالنعمة لتوقفه واحدة المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر الجهاد فقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
اى حين اصابكم القتل والجرح وذلك ما اصاب المسلمين يوم احد فانه قتل منهم سبعين رجلا وكانوا هم اصابوا من المشركين يوم
بدر مثليها فانهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا واسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربيع والسدى اى قد اصبتم ايها
المسلمون يوم بدر مثليها وقيل قتلتم منهم ببدر سبعين وباحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لانه خلاف ما ذكره اهل السير فانه

لاخلاف بينهم باحد نفر بسببه قوله خلاف الجمهور قلتم انى هذا اى من اى وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله و
ينزل علينا الوحى وهم مشركون وقيل انهم انما استنكروا لانه وعدهم بالنصر من الله ان اطاعوه عن الجبائى وقوله قل هو من عند
انفسكم اى قل يا محمد ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند انفسكم اى بخلافكم امر ربكم وترككم طاعة الرسول صلى الله عليه وآله
وفيه اقوال احدها ان ذلك بمخالفتهم الرسول فى الخروج من المدينة للقتال يوم احد وكان النبى عليه السلم دعاهم الى ان يتحصنوا بها
ويدعوا المشركين الى ان يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك فى الجاهلية ونحن الآن فى الاسلام وانت يا رسول الله بيننا احق
بالامتناع وا عن قتادة والربيع وثانيها ان ذلك باختيارهم الفداء من الاسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط عليهم
انكم ان قبلتم الفداء قتل منكم فى القابل بعدتهم فقالوا رضينا فانا ناخذ الفداء وننتفع به واذا قتل فيما بعد كنا شهداء عن على
عليه السلم وعبيدة السلمانى وهو المروى عن الباقر عليه السلم وثالثها ان ذلك بخلاف الرماة يوم احد لما امرهم رسول الله صلى الله
عليه وآله ملازمة مراكزهم ان الله على كل شىء قدير اى فهو قادر على نصركم فيما بعد وان لم ينصركم فى الحال لمخالفتكم قوله تعالى
وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّٰهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَوِ
ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ آيتان الاعراب انما دخلت الفاء فى قوله فباذن الله لان خبر ما الذى يشبه جواب الجزاء لانه معلق بالفعل
فى الصلة كتعليقه بالفعل فى الشرط كقولك الذى قام فمن اجل انه كريم اى لاجل قيامه صح انه كريم ومن اجل كرمه قام المعنى
وما اصابكم ايها المؤمنون يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يعنى يوم احد من النكبة بقتل منكم فباذن الله اى بعلم
الله ومنه قوله واذان من الله اى اعلام وقيل بتخلية الله بينكم وبينهم الذى يقوم مقام الاطلاق فى الفعل برفع الموانع والتمكين
من الفعل الذى يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فان الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة وكان ذلك عقوبة لهم من الله على
تركهم امر رسوله عليه السلم ولا يجوز ان يكون المراد بالاذن هنا الاباحة والاطلاق كما يقتضيه ظاهر اللفظ لان الله لا يبيح
المعاصى ولا يطلقها وقتل الكافر من اعظم المعاصى فكيف ياذن وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا معناه وليميز المؤمنين
من المنافقين لان الله سبحانه عالم بالاشياء قبل كونها فلا يجوز ان يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به الا انه اجرى على المعلوم
لفظ العلم مجازا اى ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق وقيل لهم اى للمنافقين تعالوا قاتلوا فى سبيل الله قالوا ان عبد الله
بن ابى والمنافقين معه من اصحابه انخزلوا يوم احد نحوا من ثلثمائة رجل وقالوا علام نقتل انفسنا وقال لهم عبد الله بن عمرو
الانصارى تعالوا قاتلوا فى سبيل الله واتقوا الله ولا تخذلوا نبيكم او ادفعوا عن حريمكم وانفسكم ان لم تقاتلوا فى سبيل الله وقيل
معناه واقيموا معنا وكثروا سوادنا وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود فى الجهاد بمنزلة القتال قالوا لو نعلم قتالا
لاتبعناكم قال المنافقون لو علمنا قتالا لقاتلناهم قالوا ذلك الا لعذرهم فى ترك القتال والرجوع الى المدينة فقالوا لم يعدكم
الله يعنى عنكم وقيل انما القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوهم الى القتال عن الاصم هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان يعنى باظهار هذا القول صاروا اقرب الى الكفر اذ كانوا قبل ذلك فى ظاهر احوالهم اقرب الى الايمان حتى هتكوا الستر
فعلم المؤمنين منهم ما لم يعلموه واللام بمعنى الى يعنى هم الى الكفر اقرب منهم الى الايمان كقوله سبحانه الحمد لله الذى هدانا لهذا اى الى
هذا يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم ذكر الافواه تاكيدا لان القول قد يضاف اليها وقيل انما ذكر الافواه فرقا بين قول اللسان
وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم واضمارهم انه لو يكن قتال لم يقاتلوا معهم ولم ينصروا النبى وقيل معناه
يقولون بافواههم من التقرب الى الرسول عليه السلم والايمان ما ليس فى قلوبهم فان فى قلوبهم الكفر والله اعلم بما يكتمون اى يضمرونه
من النفاق والشرك قوله تعالى الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ آية اللغة الدرء الدفع قال تقول اذا درأت لها وضينى اهذا دينه ابدا ودينى الاعراب موضع الذين يحتمل
ان يكون نصبا على البدل من الذين نافقوا ويحتمل ان يكون رفعا على البدل من الضمير فى يكتمون ويحتمل ان يكون رفعا على خبر

الابتداء على تقدير هم الذين قالوا المعنى الذين قالوا يعنى المنافقين لاخوانهم فى النسب الا فى الدين يعنى عبد الله بن ابى واصحابه
قالوا فى قتلى احد وقعدوا هم يعنى هؤلاء القايلون عن جابر وقتادة والسدى والربيع لو اطاعونا فى القعود فى البيت وترك الخروج
الى القتال ما قتلوا قل يا محمد لهم فادرؤا اى ادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين فى هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت
لانه يجوز ان يدخل عليهم العدو فيقتلونهم فى قعر بيوتهم وانما الزمهم الله دفع الموت عن انفسهم بمقالتهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا
لان من علم الغيب فى السلامة من القتل يجب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فينبغى ان يدفعه هذا القايل فانه احدى عليه
وفى هذا ترغيب فى الجهاد وبيان ان كل احد يموت باجله فلا ينبغى ان يجعل ذلك عذرا فى القعود عن الجهاد لان المجاهد ربما يسلم
والقاعد ربما يموت فيجب ان يكون على الله سبحانه التكلان قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ثلث آيات بلا خلاف يحزنون آية القراءة
قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا الكسائى وحده وان الله لا يضيع بكسر الالف والباقون بالفتح الحجة
من قرا قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف يصلح للقليل والكثير تقول قتلت القوم فيصلح للكثرة كما تقول ضربت زيدا ضربة
فيصلح للقلة ووجه التثقيل ان المقتول كثير وفعل يختص به الكثير دون القليل ووجه الفتح فى ان المعنى يستبشرون بان الله لا
يضيع اجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير نقص ويحسن والكسر على الاستيناف اللغة اصل البشارة من البشرة
لظهور السرور فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمستبشر من طلب السرور فى البشارة فوجده ولحقت الشئ ولحقته غيرى وقيل لحقت
لحقت الشئ والحقته غيرى وقيل لحقت والحقت لغتان بمعنى واحد وجاء فى الدعاء ان عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء اى لاحق والنعمة
هى المنفعة التى يستحق بها الشكر اذا كانت خالية من وجه القبح لان المنفعة على ضربين احدهما منفعة اغترار والاخر منفعة خالصة
من شائبة الاساءة والنعمة تعظم نعل غير المنعم كنعمة النبى عليه السلم على من دعاه الى الاسلام فاستجاب له لان دعاءه انفع من
وجهين احدهما احسن النية فى دعائه الى الحق ليستجيب له والاخر قصده الدعاء الى الحق ليعلم انه يستجيب له المدعو وانما يستدل بفعل
غير المنعم على موضع النعمة فى الجلالة وعظم المنزلة الاعراب احياء رفع على انه خبر مبتدا محذوف اى بل هم احياء ولا يجوز النصب فيه
بحال لانه يصير التقدير فيه بل احسبهم احياء والمراد بل اعلمهم احياء ويرزقون فى موضع رفع صفة لاحياء وفرحين نصب على الحال من
يرزقون وهو اولى من رفعه على بل احياء لان النصب من اجتماع الرزق والفرح فى حال واحده ولو رفع على الاستيناف لكان
جايزا وقال الخليل موضع لا خوف عليهم جر بالباء على تقدير بان لا خوف وقال غيره موضعه نصب على انه لما حذف حرف الجر وصل الفعل
اليه فنصبه كما قيل امرتك الخير اى بالخير وقيل موضع ان لا خوف عليهم الى آخره جر على انه بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتمال
مثل قوله عن الشهر الحرام قتال فيه النزول قيل نزلت فى شهداء احد وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين
وقيل نزلت فى شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمن بن شماس
وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار عن ابن مسعود وقتادة والربيع وقال الباقر عليه السلم وكثير من المفسرين انها تتناول قتلى
بدر واحد معا وقيل نزلت فى شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ما رواه محمد بن اسحق بن يسار باسناده عن انس بن مالك
وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وآله
المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقبلها وقال يا ابا براء لا اقبل هدية مشرك فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك
وقرا عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان امرك هذا الذى تدعوا اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل
نجد تدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انى اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار
فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى المنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحرث
بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وذلك فى صفر



نصف جزو ۴

سنه اربع

سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد فسار واحتى نزلوا بير معونة فلما نزلوا قال بعضهم لبعض ايكم تبلغ رسالة رسول الله
اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله الى عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر في كتاب
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال حرام يا اهل بير معونة انى رسول رسول الله اليكم وانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامنوا
بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم
استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا و
جوارا فاستصرخ عليهم قبايل من بنى سليم عصيه ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا اليوم فاحاطوا بهم فى رحالهم فلما
راوهم اخذوا السيوف وقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى وعاش حتى
قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن اميه الضمرى ورجلا من الانصار احد بنى عمرو بن عوف فلم ينبههما بمصاب اصحابهما الا
الطير تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا اليه فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال
الانصارى لعمرو بن اميه ماذا ترى قال ارى ان تلحق برسول الله فتخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن
قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن اميه اسيرا فلما اخبرهم انه مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته
واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على ابيه فقدم عمرو بن اميه على رسول الله ص واخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا عمل ابى
براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وآله بسببه فقال حسان
يحرضوا ابا براء على عامر بن الطفيل بنى ام البنين الم يرعكم وانتم من ذوايب اهل نجد تهكم عامر بابى براء ليخفره وما خطا كعمد الا
ابلغ ربيعة ذى المساعى فما احدثت فى الحدثان بعدى ابوك ابو الحروب ابو براء وخالك ماجد حكم بن سعد وقال كعب بن مالك لقد
طارت شعاعا كل وجه خفارة ما اجار ابو براء بنى ام البنين اما سمعتم دعاء المستغيث مع النساء وتنويه الصريخ بلى ولكن عرفتم
انه صدق اللقاء فلما بلغ ربيعه سمعتم دعاء المستغيث مع النساء وتنويه الصريخ بلى ولكن عرفتم انه صدق اللقاء فلما بلغ ربيعه
بن ابى براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل وطعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل ابى براء ان مت فدمى لعمى ولا يتبعن
سواى وان اعش فسارى فيه رأى فقال انزل الله فى شهداء بير معونة قرآنا بلغوا قومنا عنا انا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه
ثم نسخت ورفعت بعد ما قرأناها فانزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآيه المعنى لما حكى الله سبحانه قول
المنافقين فى المقتولين الشهداء تثبيطا للمؤمنين عن جهاد الاعداء ذكر بعده ما اعد الله للشهداء من الكرامة وخصهم به من النعيم فى دار
المقامه فقال ولا تحسبن والخطاب للنبى صلى الله عليه وآله او يكون على معنى لا تحسبن ايها السامع او ايها الانسان الذين قتلوا فى
سبيل الله اى فى الجهاد وفى نصرة دين الله امواتا اى موتى كما مات من لم يقتل فى سبيل الله بل احياء اى بل هم احياء وقد مر تفسيره
فى سورة البقرة عند قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات الآيه وقوله عند ربهم فيه وجهان احدهما انهم بحيث لا يملك لهم
نفعا ولا ضرا الا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لان ذلك من صفة الاجسام وذلك مستحيل عليه سبحانه والاخر انهم عند ربهم
احياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن ابى على الجبائى وروى عن ابن عامر وابن مسعود وجابر ان النبى صلى الله عليه وآله قال
لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى حواصل طير خضر ترد انهار الجنه وتاكل من ثمارها وروى عنه انه قال لجعفر بن ابى طالب
وقد استشهد فى غزاة موته رايته له جناحان يطير فى الجنة وانكر بعضهم حديث الارواح وقال ان الروح عرض لا يجوز ان تنعم وهذا
ايضا لان الروح جسم رقيق هوآى ماخوذ من الريح ويدل على ذلك انه يخرج من البدن ويرد اليه وهى الحساسة الفعالة دون البدن
وليست من الحيوة فى شئ لان ضد الحيوة انه يخرج من البدن ويرد اليه وهى الحساسة الفعالة دون البدن وليست من الحيوة
فى شئ لان ضد الحيوة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول على بن عيسى يرزقون من نعيم الجنة فى قبورهم فرحين بما اتيهم الله من فضله
اى مسرورين بما اعطاهم الله من ضروب نعمه فى الجنة وقيل فى قبورهم وقيل معناه فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اى يسرون باخوانهم الذين فارقوهم وهم احياء فى الدنيا على مناهجهم من الايمان والجهاد لعلمهم بانهم

ان استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى الى مثل ما رواهم ثم انه يقولون اخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم ما اصبنا
عن ابن جريج وقتادة وقيل انه يوتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من اخوانه فيسر بذلك ويستبشر كما يستبشر اهل الغايب بقدومه فى
الدنيا عن السدى وقيل معناه لم يلحقوا بهم فى الفضل الا ان لهم فضلا عظيما بتصديقهم وايمانهم عن الزجاج ان لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اى يستبشرون باخوانهم بان لا خوف عليهم وذلك لانه يدل من قوله الذين لم يلحقوا لان الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم
الحزن فالاستبشار هنا انما يقع بعدم خوف هولاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لان الله يتولاهم ولا هم يحزنون
على ما خلفوا من اموالهم لان الله قد اجزل ما عوضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما تقدمون عليه لان الله سبحانه محص ذنوبهم فى الشهادة
ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحا بالاخرة يستبشرون يعنى هولاء الذين قتلوا فى سبيل الله الذين وصفهم بانهم يرزقون فرحين
بما اتاهم من فضله بنعمة من الله وفضل الفضل والنعمة عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد وقيل فى تكراره قولان احدهما ان المراد انها
ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة والنعمة ما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم سبحانه من المضاعفة فى
الاجر والاخر انه للتاكيد وتمكين المعنى فى النفس والمبالغة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين اى يوفر جزاءهم وانما ذكر ذلك وان كان
غيرهم يعلم ذلك لانهم يعلمونه بعد الموت ضرورة وانما يعلم ذلك فى دار التكليف استدلالا كالمشاهدة وليس الخبر كالمعاينة فان مع
الضرورة والعيان يتضاعف سرورهم ويشتد اغتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق وان الله لا يبطله البتة وان الاثابة لا
تكون الا من قبله سبحانه ولذلك اضاف نفى الاضاعة الى نفسه ومما روى فى الاخبار فى ثواب الشهداء اكثر من ان يحصى اعلاها اسنادا
ما روى عن على بن موسى الرضا عن ابائه عن الحسين بن على عليهم السلم قال بينا امير المومنين على عليه السلم يخطب الناس ويحضهم على الجهاد
اذ قام اليه شاب فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن فضل الغزاة فى سبيل الله فقال عليه السلم كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله
على ناقته العضباء ونحن منقلبون عن غزاة ذات السلاسل فسألته عما سالتنى عنه فقال ان الغزاة اذا هموا بالغزو كتب الله لهم
براءة من النار فاذا تجهزوا للغزو باهى الله بهم الملائكة فاذا ودعهم اهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم ١٠
كما يخرج الحية من سلخها ويوكل الله بكل رجل منهم اربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة
الا ضعفت له ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يعبدون الله الف سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما اليوم مثل عمر الدنيا واذا صاروا بحضرة عدوهم
انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله اياهم واذا برزوا لعدوهم واشرعت الاسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل الى الرجل حفتهم
الملائكة باجنحتها يدعون الله بالنصر والتثبيت وينادى مناد الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد
اهون من شربة الماء البارد فى اليوم الصايف واذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة او ضربة لم يصل الى الارض حتى يبعث الله اليه
زوجته من الحور العين فتبشره بما اعد له من الكرامة فاذا وصل الى الارض تقول له الارض مرحبا بالروح الطيب الذى اخرج من
البدن الطيب ابشر فان لك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل انا خليفته من اهله من ارضاهم
فقد ارضانى ومن اسخطهم فقد اسخطنى ويجعل روحه فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث تشاء تاكل من ثمارها وتأوى الى
قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام يملأ نورها
بين الخافقين فى كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعا من ذهب على كل باب ستور مسبلة فى كل غرفة سبعون خيمة فى كل خيمة
سبعون سريرا من الذهب قوايمها الدر والزبرجد من مؤلفة بقضبان الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعا
على كل فراش زوجة من الحور العين عربا اترابا فقال اخبرنى يا امير المومنين عن العروبة قال هى الغنجة الرضية الشهية لها سبعون الف
وصيف وسبعون الف وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بايديهم الاكوبة والاباريق فاذا كان
يوم القيمة فوالذى نفسى بيده لو كان الانبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى ياتوا الى موايد من الجواهر فيقعدون
عليها ويشفع الرجل منهم فى سبعين الفا من اهل بيته وجيرته حتى ان الجارين يتخاصمان ايهما اقرب جوارا فيقعدون معى ومع ابرهيم
عليه السلم على مايدة الخلد فينظرون الى الله عز وجل فى كل يوم بكرة وعشيا قوله تعالى الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا

اصابهم

اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم • الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم • ثلث آيات اللغة
استجاب واجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الاجابة واجاب فعل الاجابة والقرح الجرح واصله الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح اى
خالص والقراح من الارض ما خلص طينه من السبخ وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا اى اشتهيته عليه لخلوصه على ما تشوق
نفسه اليه كانه قال استخلصته وفرس قارح طلع نابه لخلوصه عن نقص الصفات ببلوغ تلك الحال والقرح الجراح لخلوص الم الى النفس
والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد على اقل المقدار حسبنا الله اى كافينا الله واصله من الحساب اى الكفاية بحسب
الحاجة وبحساب الاجر ومنه الحسبان وهو الظن او الوكيل الحفيظ وهو الولى واصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل في صفات الله هو المتولى
للقيام بتدبير خلقه لانه مالكهم الرحيم بهم وهو في صفة غيره انما يعقد بالتوكيل الاعراب موضع الذين يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب
الجر على ان يكون نعتا والحسن الاشبه بالاية ان يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره الجملة التى هى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر
عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره اعنى الذين استجابوا واذكر وكذلك القول في موضع الذين في الآية الثانية لانها نعت
لموصوف واحد وقوله لم يمسسهم سوء في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا
النزول لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد فبلغوا الروحا ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم
ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم فارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله صلى الله عليه
واله فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابى سفيان وقال الا عصابة تشدد
لامر الله تطلب عدوها فانها انكى للعدو وابعد للسمع فانتدبت عصابة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذى اصابهم يوم احد
ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه واله الا لا يخرجن معنا احد الا من حضرنا بالامس وانما خرج رسول الله صلى الله عليه واله ليرهب
العدو وليبلغهم انه خرج في طلبه فيظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم لينصرفوا فخرج في سبعين رجلا حتى بلغ
حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وذكر على بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله قال هل من رجل ياتينا بخبر القوم
فلم يجبه احد فقال امير المؤمنين عليه السلم انا آتيك بخبرهم قال اذهب فان كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الابل فانهم يريدون المدينة
وان كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل فانهم يريدون مكه فمضى عليه السلم على ما به من الالم والجراح حتى كان قريبا من القوم فرآهم
قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل فرجع واخبر رسول الله صلى الله عليه واله بذلك فقال صلى الله عليه واله ارادوا مكة فلما دخل
رسول الله صلى الله عليه واله المدينة نزل عليه جبرائيل عليه السلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يامرك ان تخرج ولا يخرج معك الا من به
جراحه فاقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها فانزل الله على نبيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما
تألمون الاية فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وروى محمد بن اسحق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن
ثابت عن ابى السائب ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه واله من بنى الاشهل كان شهد احدا قال شهدت احدا انا واخ
لى فرجعنا جريحين فلما اذن رسول الله ص بالخروج في طلب العدو قلنا لا تفوتنا غزاة مع رسول الله والله ما لنا دابة نركبها
وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه واله وكنت ايسر جرحا من اخى فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى
انتهينا الى حمراء الاسد فمر برسول الله معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله بتهامة صفقتهم معه
لا يخفون عنه شيئا ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان اعفاك
فيهم ثم خرج من عند رسول الله حتى لقى ابا سفيان ومن معه بالروحا واجمعوا الرجعة على رسول الله صلى الله عليه واله وقالوا
قد اصبنا جل اصحابه واشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستاصلهم فلما راه ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج
في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع اليه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم
وفيهم من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصلهم

قال فانى والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رايت على ان قلت ابياتا فيه قال وما قلت قال قلت كادت تهد من الاصوات راحلتى اذ
اذ سالت الارض بالجرد الابابيل تردى باسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل فظلت عدوا اظن الارض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول فقلت ويل لابن حرب من لقائكم اذا تغطمطت البطحاء بالخيل انى نذير لاهل البسل ضاحية
لكل ذى اربة منهم ومعقول من جيش احمد لا وحش تنابلة وليس يوصف ما انذرت بالقيل قال فثنى ذلك ابو سفيان ومن معه ومر به ركب من
عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة قال فهل انتم مبلغون محمدا عنى رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا
بعكاظ غدا اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا الكرة عليه وعلى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان
الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وآله وهو بحمراء الاسد فاخبره بقول ابو سفيان قال رسول الله واصحابه حسبنا الله
ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر فى وجهه ذلك بمعوية بن المغيرة بن العاص
وبابى عزة الجمحى هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآيات فى غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابو سفيان
قال يوم احد حين اراد الانصراف يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله ذلك بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك بيننا وبينك فلما كان
العام المقبل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مجنة فى ناحية من الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له الرجوع فلقى نعيم
بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان انى واعدت محمدا واصحابه ان يلتقى بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جدب
ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك
جراة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل اضعها على يدى سهيل بن عمرو فاتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون
الميعاد ابى سفيان فقال لهم بئس الراى رايتم اتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا شريد فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم
عند الموسم لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لاخرجن ولو وحدى
فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله ص واصحابه حتى وافوا بدر
الصغرى وهو ماء لبنى كنانة وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها فى كل عام ثمانية ايام فاقام ببدر ينتظر ابا سفيان
وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق ويقولون انما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله
واصحابه احدا من المشركين ببدر ووافقوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا واصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة
سالمين غانمين روى ذلك ابو الجارود عن الباقر عليه السلم المعنى الذين استجابوا لله والرسول اى اطاعوا الله فى اوامره و
اطاعوا رسوله من بعد ما اصابهم القرح اى نالهم الجراح يوم احد للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله واجابته الى الغزو
واتقوا معاصى الله اجر عظيم اى ثواب جزيل الذين قال لهم الناس فى المعنى بالناس الاول ثلثة اقوال احدها انهم الركب الذين
دسهم ابو سفيان الى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من احد لما ارادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحق وقد مضت قصتهم
والثانى انه نعيم بن مسعود الاشجعى وهو قول ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم والثالث انهم المنافقون عن السدى ان
الناس قد جمعوا لكم المعنى به ابو سفيان واصحابه عند اكثر المفسرين اى جمعوا جموعا كثيرة لكم اى جمعوا الالات والرجال وانما عبر بلفظ
الواحد عن الجميع فى قوله قال لهم الناس لامرين احدهما انه قد جاءهم من جهة الناس فاقيم كلامه مقامهم وسمى باسمهم والاخر انه لتفخيم
الشان فاخشوهم اى خافوهم ثم بين سبحانه ان ذلك القول زادهم ايمانا وثباتا على دينهم واقامة على نصرة نبيهم بان قال فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله اى كافينا الله وولينا وحفيظنا والمتولى لامرنا ونعم الوكيل اى نعم الكافى والمعتمد والملجا الذى يوكل
الامور اليه فانقلبوا اى فرجع النبى صلى الله عليه وآله ومن معه من اصحابه بنعمة من الله وفضل اى بعافية من السوء وتجارة
رابحة لم يمسسهم سوء اى قتل عن السدى ومجاهد وقيل النعمة ههنا الثبوت على الايمان فى طاعة الله والفضل الربح فى التجارة عن
الزجاج وقيل ان اقل ما يفعله الله بالخلق فهو نعمة وما زاد على ذلك فهو الموصوف بانه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة
ان النعمة لا تكون نعمة الا اذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة وهذا لان النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق

الشكر

الشكر بالقبيح واتبعوا رضوان الله بالخروج الى لقاء العدو والله ذو فضل عظيم على المومنين وقد تضمنت الآية التنبيه على ان كل من
دهمه امر فينبغي ان يفزع الى هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق عليه السلم انه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع الى حسبنا الله
ونعم الوكيل فانى سمعت الله سبحانه يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله الاية وروى عن ابن عباس انه قال اخر كلام ابرهيم عليه السلم حين
القى فى النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثل هذا وتلى هذه الاية قوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون
ان كنتم مومنين • آية الاعراب كم من لكم للخطاب لا للضمير فلا موضع له من الاعراب وقوله يخوف يتعدى الى مفعولين يقال خاف زيد القتال
وخوفت القتال المعنى ثم ذكر سبحانه ان ذلك التخويف والتثبيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه المومنين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يخوف المومنين بالكافرين وقال الزجاج وابو على الفارسي وغيرهما ان تقديره يخوفكم
اولياءه اى من اولياءه بدلالة قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين اى ان كنتم مصدقين بالله فقد اعلمتكم انى انصركم عليهم
ومثله قوله لينذر باسا شديدا من لدنه اى لينذركم بباس شديد فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المنافقين
الذين هم اولياؤه وانهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بان يوسوس اليهم ويرهبهم ويعظم امر العدو فى قلوبهم فيقعدوا عن
متابعة الرسول والمؤمنون لا يخافونه لانهم يثقون بالنصر الموعود ونظيره قوله سبحانه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون والاول اصح قوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم
حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم • ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم • آيتان القراءة
قرا نافع فى جميع القرآن يحزن بضم الياء وكسر الزاء الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتحها وضم الزاء وقرا الباقون فى جميع ذلك يحزن بفتح
الياء وضم الياء وقرا ابو جعفر عكس ما قرا نافع فانه فتح الياء فى جميع القرآن الا قوله لا يحزنهم فانه ضم الياء الحجة قال ابو على
قال سيبويه تقول فتن الرجل وفتنته وحزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعله
فاتنا كما انك حين تقول ادخلته اردت جعله داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا او فتنة جعلت فيه دهنا
فجئت بفعلته على حده ولم ترد بفعلته ههنا تغيير قوله حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت احزنته وافتنته
قال وقال بعض العرب افتنت الرجل واحزنته اذا جعلته فاتنا وحزينا فغيروا فعل قال ابو على فهذا الذى حكاه عن بعض العرب
حجة نافع واما قراءته لا يحزنهم الفزع الاكبر فتشبه ان يكون اتبع فيه اثرا واحب الاخذ بالوجهين الاعراب قوله شيئا نصب على
انه وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف الباء كانه قال بشيء مما يضر به كما يقال ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال ولا غيره المعنى
لما علم سبحانه المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان اياهم خص رسوله بضرب من التعظيم فى هذه الآية فقال ولا يحزنك ايها
الرسول الذين يسارعون فى الكفر يعنى المنافقين عن مجاهد والسدى وابن اسحق وقوما من العرب ارتدوا عن الاسلام عن ابى
على الجبائى انهم لن يضروا الله شيئا بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لان الله سبحانه لا يجوز عليه المنافع والمضار وانما قال ذلك على
جهة التسلية لنبيه عليه السلم لانه كان يصعب عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم عن الايمان ولا يبعد انه ربما كان يخطر
بباله ان مسارعتهم الى الكفر وامتناعهم عن الايمان لتفريط حصل من جهته فآمنه الله تعالى من ذلك واخبران ضرر كفرهم راجع
اليهم مقصور عليهم يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة اى نصيبا فى الجنة واذا كانت الارادة تتعلق بما يصح حدوثه ولا تتعلق
بما لا يكون الشيء فلا بد من حذف فى الكلام ومعناه انه يريد ان يحكم بحرمان ثوابهم الذى عرضوا له بتكليفهم وان يعاقبهم فى الآخرة
على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم ولهم عذاب عظيم ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه نسب اليهم المسارعة
الى الكفر واذا كان ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبته اليهم ثم استانف سبحانه الاخبار بان الذين اشتروا الكفر بالايمان اى استبدلوا
الكفر بالايمان وقد تقدم فيما قيل ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع وانما شبه استبدالهم الكفر بالايمان بشراء السلعة
بالثمن لن يضروا الله شيئا انما كرر هذا لانه انما ذكر ذلك فى الآية الاولى على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة الى الضلالة
وذكره فى هذه الاية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصى دون المعصى والفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة

لايكون الا قبيحه والمضرة قد تكون حسنه اذا كانت مستحقه او على وجه اللطف او فيها نفع يوفى عليها او دفع ضرر اعظم منها ولهم عذاب اليم
اي مولم قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين
آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحزنك ولا يحسبن الذين يفرحون كله بالياء وكسر السين وكذا ولا يحسبنهم
بضم الياء والباء وكسر السين وقرا حمزة كلها بالتاء وفتح السين وفتح الباء من يحسبنهم وقرا اهل الكوفة والشام ويعقوب كلها
بالياء الا قوله فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء الا ان اهل المدينه ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامى وقرا عاصم والكسائى وخلف
كل ما فى السورة بالتاء الا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون فانهما بالياء غير ان عاصما فتح السين وكسرها
الكسائى الحجة من قرا بالياء فالذين فى هذه الاى فى موضع الرفع بانه فاعل واذا كان الذين فاعلا ويقتضى حسبت مفعو لين
او ما يسد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيدا منطلق وحسبت ان يقوم عمرو وقوله انما نملى لهم خير لانفسهم قد سد مسد
المفعولين الذين يقتضيهما يحسبن وما يحتمل امرين احدهما يكون بمعنى الذى فيكون التقدير لا يحسبن الذين كفروا ان الذى نمليه
لهم خير لانفسهم والاخر ان يكون ما نملى بمنزلة الاملاء فيكون مصدرا واذا كان مصدرا لم يقتض راجعا اليه قال المبرد من قرا
يحسبن بالياء فتح انه وبفتح الكسر مع الياء وهو جايز على تقد لان الحسبان ليس بفعل حقيقى فهو يبطل عمله مع ان المكسورة
كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق وقال ابو على الوجه فيه ان يتلقى بها القسم كما تتلقى بلام الابتداء ويدخل
كل واحد منهما على الابتداء والخبر وكان قال هنا لا يحسبن الذين كفروا للاخرة خير لهم واما قراءة حمزة بالتاء من تحسبن فقد
ان فقد خطاء البصريون فى ذلك لان تصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املاءنا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على
البدل من الذين والمعنى ولا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم ومثله فى الشعر وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم
تهدما قال ابو على لا يجوز ذلك لانك اذا ابدلت ان من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيرا من حيث كان المفعول الثانى ولم
ينصبه احد من القراء واذا لم يصح البدل لم يجز فيه الا كسران على ان يكون ان وخبرها فى موضع المفعول الثانى من يحسبن
اللغة الاملاء اطالة المدة والملاء الحين الطويل والملاء الدهر والملوان الليل والنهار لطول تعاقبهما النزول نزلت فى
مشركى مكة عن مقاتل وفى قريظه والنضير عن عطا المعنى ثم بين سبحانه ان امهال الكفار لا ينفعهم اذا كان يؤدى الى العقاب
فقال ولا تحسبن اى لا تظن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم اى اطالتنا لاعمارهم وامهالنا اياهم خير لهم من القتل فى سبيل
الله باحد لان قتل الشهداء اداهم الى الجنة وبقاء هولاء فى الكفر يوديهم الى العقاب ثم ابتدأ سبحانه فقال انما نملى لهم اى نطيل
عمرهم ونترك المعاجلة لعقوبتهم ليزدادوا اثما اى ليكون عاقبة امرهم ازدياد الاثم فيكون اللام بمعنى لام العاقبة مثل اللام فى
قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم انما اخذوه ليكون لهم سرورا وقرة عين ولكن لما علم الله انه يصير فى آخر
امره عدوا وحزنا قال كذلك ومثله قول الشاعر اموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الاخر سماك
فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالده وقول الاخر وللموت تغذو الوالدات سخالها كالخراب الدهر تبنى المساكن وقول الاخر لدوا للموت
وابنوا للخراب ولا يجوز ان يكون لام الارادة والغرض لوجهين احدهما ان ارادة القبيح قبيحة وتلك عنه سبحانه منفيه والاخر انه لو
كانت لام الارادة لوجب ان يكون الكفار مطيعين من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
والقرآن يصدق بعضه بعضا وعلى هذا فلا بد من تخصيص الآية بمن علم منه انه لا يؤمن لو كان فيهم من يؤمن لما توجه عليهم
هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القسم البلخى معناه ولا يحسبن الذين كفروا ان املانا لهم رضا بافعالهم وقبولا لها بل هو شر لهم
لانا انما نملى لهم وهم يزدادون اثما يستحقون به العذاب الاليم ومثله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اى ذرانا كثيرا من
الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحى الا شرا وعلى الاتساع
ونظيره قوله سبحانه حتى انسوكم ذكرى ومعلوم ان الرسول ما انسوهم ذكر الله على الحقيقه وما بعث الا للتذكير والتنبيه دون الانسا

مع ان الانساء ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه انما اضيف اليهم لان دعاءه اياه لما كان لا ينجع فيهم ولا يردهم عن معاصيهم
فاضيف الانساء اليهم وفي هذا المعنى قوله سبحانه حكاية عن نوح ع فلم يزدهم دعائي الا فرارا وروي عن ابي الحسن الاخفش والاسكافي
انهما قالا ان في الاية تقديما وتاخيرا وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم وهذا بعيد
لانه لو كان كذلك لوجب ان يكون انما الاخيرة مفتوحة الهمزة لانه معمول يحسبن على هذا القول وانما يكون انما الاولى مكسورة
الهمزة لانها مبتداء على هذا والتقديم والتاخير لا يغير ان الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف عليه القراءة لان القراء اجمعوا على
كسر الثانية واكثرهم على فتح الاولى ولهم عذاب مهين يهينهم في نار جهنم قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان
تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم • آية القراءة قرا اهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف والباقون بالتشديد
وضم الياء الاولى الحجة ماز يميز فعل متعد الى مفعول واحد كما ان ميز فعل متعد الى مفعول واحد يقال مزته فلم يتميز وتلته فلم
يزل والتضعيف في ميز ليس للتعدي والنقل كما ان التضعيف في عوض ليس للنقل من عاض لان عاض متعد الى مفعول
كما في قول الشاعر عاضها الله غلاما بعد ما شابت الاصداغ والضرس نقد فلو كان التضعيف في عوض للنقل لتعدى الى ثلثه
مفعولين نعوض وعاض لغتان في معنى واحد مثل ميز وماز النزول قيل ان المشركين قالوا لابي طالب ان كان محمد صادقا فليخبرنا
من يؤمن منا ويكفر فان وجدنا مخبره كما اخبر امنا به قد ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فانزل الله تعالى هذه الاية عن السدي
والكلبي وقيل سال المؤمنون ان يعطوا علامة يفرق بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الاية عن ابي العالية والضحاك المعنى
ما كان الله ليذر اي ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين على ما انتم عليه يا اهل الكفر من الابهام واشتباه المخلص بالمنافق اي لم يكن
يجوز في حكم الله ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله بل يتعبدكم حتى يميز الخبيث من الطيب اي الكافر
من المؤمن عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحق وابن جريج و
قيل هو خطاب للمؤمنين وما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون
قد رجع من الخبر الى الخطاب كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واختلف في انه سبحانه باي شيء ميز بين الخبيث والطيب
فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه مما يظهر به الحال كما يظهر يوم احد بان ثبت المؤمنون وتخلف المنافقون عن الجبائي وقيل
بالآيات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بنصر سبحانه المؤمنين وتكثيرهم وعز الدين وبذل المنافقين والكافرين
عن ابي مسلم وقيل بان يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على ايمانه ويتميز من ينقلب على عقبيه وما كان الله ليطلعكم على الغيب
اي ما كان الله ليظهر على غيبه احدا منكم فتعلموا ما في القلوب ان هذا مؤمن وهذا منافق ولكن الله يجتبي من رسله اي يختار
لرسالته من يشاء فيطلعه على الغيب اي يوقفه على علم الغيب ويعرفه اياه فامنوا بالله ورسله كما امركم وان تؤمنوا اي تصدقوا و
تتقوا عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه فلكم في ذلك اجر عظيم وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يطلعه على
الغيب عن السدي وفي هذه الاية دلالة على انه لا يجوز ان يصلح جماعة للرسالة ويختار سبحانه منهم من يشاء اما لا تراجح وبالتادية
اقوم وعن المنفرات ابعد واما لانهم قد تساووا في جميع الوجوه ويختار من يشاء من بينهم لان النبوة ليست بمستحقة ولا جزاء وفيها
دلالة على ان الثواب مستحق بالايمان والتقوى خلافا لمن قال انه تفضل قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا يبخلون بما آتيهم
الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير •
آية القراءة الحجة ذكرنا الاختلاف فيه فمن قرا يحسبن بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الاول محذوف من اللفظ
لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب كان شرا له اي الكذب وكذلك في الاية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم من فضله
البخل هو خيرا لهم فدخلت هو فصلا لان تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرا بالتاء فاعل المخاطب هو النبي صلى الله عليه وآله والذين
يبخلون مفعول اول لتحسبن وخيرا لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خيرا لهم وهو فصل

وانما احتجت الى هذا المحذوف ليكون المفعول الثانى هو الاول فى المعنى لان هذه الافعال انما تدخل على المبتداء والخبر واذا كان الخبر مفردا فيجب
ان يكون المبتداء فى المعنى والبخل هو منع الواجب لانه تعالى توعد عليه وذم به واصله فى اللغة المشقة فى الاعطاء وقال ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
يعملون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب المعنى لا يحسبن الباخلين الذين يبخلون بما اتاهم اى اعطاهم
الله من فضله اى من الاموال فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ذلك البخل هو خيرا لهم وعلى القراءة الاخرى لا تحسبن ايها
السامع او لا تظنن يا محمد فالخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم اى ليس ذلك كما يظنون بل ذلك البخل
شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اختلف فى معناه فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقا فى عنقه والاية نزلت فى مانعى
الزكوة وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدى والشعبى وغيرهم وروى عن النبى صلى الله
عليه واله انه قال ما من رجل لم يؤدى من زكوة ماله الا جعل فى عنقه شجاع يوم القيمة ثم تلى هذه الآية وقال عليه السلم ما من ذى رحم
ياتى ذى رحمه يسئله من فضل الله اعطاه الله اياه فيبخل به عنه الا اخرج الله له من جهنم شجاعا يتلظ لسانه حتى يطوقه وتلى
هذه الآيه وقيل معناه يجعل فى عنقه يوم القيمة طوق من نار عن النخعى وقيل معناه يكلفوا يوم القيمة ان ياتوا بما بخلوا به من
اموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمعناه انه يجعل طوقا فيعذب
به عن الجبائى وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لاعناقهم كقوله وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه عن ابى مسلم قال والعرب
تعبر بالرقبه والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله سبحانه فتحرير رقبة مؤمنة وروى عن ابن عباس ايضا ان المراد بالآية الذين
يبخلون ببيان صفة محمد والفضل هو التورية التى فيها صفته والاول اليق بسياق الآية ولله ميراث السموات والارض معناه يموت
من فى السموات والارض ويبقى جل جلاله لم يزل ولا يزال فيبطل ملك كل مالك الا ملكه وقد تضمنت الآية الحث على الانفاق والمنع
عن الامساك من قبل ان الاموال اذا كانت معرض الزوال اما بالموت او بغيره من الافات فاجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه
ولا يحرص على امساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه والله بما تعملون خبير هذا تاكيد للوعد والوعيد فى انفاق المال لاجل
الثواب والاجر والسلامة من الاثم والوزر النظم والوجه فى اتصال الآيه بما قبلها هو انهم كما بخلوا بالجهاد بخلوا بالانفاق والزكوة
عن على بن عيسى وقيل انهم مع ما تقدم من احوالهم كتموا امر محمد صلى الله عليه واله وبخلوا ببيانه قوله تعالى لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ
الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ اَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذٰلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ آيتان القراءة قرا حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء وقرا الباقون سنكتب
بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون الحجة الوجه فى قراءة من قرا سنكتب ان النون ههنا بعد الاسم الموضع للغيبه فهو
مثل قوله بل الله مولكم ثم قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ولو قال سيكتب بالياء لكان فى الافراد كقوله وقذف فى قلوبهم الرعب
وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى وعطفه على ما قالوا ايضا وهو فى موضع نصب بانه مفعول به اللغة سمع يسمع سمعا
اذا ادرك بحاسة الاذن والله سبحانه يسمع من غير ادراك بحاسه والسميع من هو على حالة يسمع لاجلها المسموعات اذا وجدت
والسامع المدرك لذلك وقال المحققون ان الله سبحانه سميع فيما لم يزل وسامع عند وجود المسموع وكونه سميعا بصيرا ليس بصفة
زايدة على كونه حيا وكونه مدركا صفة زايدة على كونه حيا عالما وكونه سامعا مبصرا بمعناه وقال ابو القسم البلخى فايدة كونه سميعا
بصيرا انه يعلم المسموعات والمبصرات وهو لا يثبت للقديم سبحانه صفة الادراك وقال الخليل كل ما نزل بانسان من مكروه
فقد ذاقه الا انه توسع ويذوق من عسيلتك كنى عن الجماع وهذا من الكنايات المليحة والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق
بسكونه المصدر كقولهم حرقت الشىء بردته بالمبرد الاعراب موضع الباء فى قوله بما قدمت ايديكم رفع لانها فى موضع خبر المبتداء
وهو ذلك وهى متصلة بالاستقرار كانه قيل ذلك استقر بما قدمت ايديكم وان الله انما فتح ان لانه معطوف على ما عملت فيه الباء
وتقديره وبان الله فموضعه جر النزول لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا
ونحن اغنياء وقايله حيى بن اخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبى صلى الله عليه واله مع ابى بكر الى يهود بنى قينقاع يدعوهم

الى

الى اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل منهم
يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم الى الاسلام والصلوة والزكوة فقال فنحاص ان كان ما يقول حقا فان الله فقير ونحن اغنياء ولو
كان غنيا لما استقرضنا اموالنا فغضب ابابكر وضرب وجه فنحاص فانزل الله هذه الآية عن عكرمة والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق
المعنى ثم ذكر سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال لقد سمع الله قول الذين قالوا معناه ادرك قولهم وقيل علم ذلك عن
البلخي ان الله فقير اى ذو حاجة لانه يستقرض منا ونحن اغنياء عن الحاجة وقد علموا ان الله لا يطلب القرض وانما ذاك تلطف فى الاستدعاء
الى الانفاق وانما قالوه تلبيسا على عوامهم وقيل معناه قالوا ان الله فقير لانه يضيق علينا الرزق ونحن اغنياء لانا نوسع الرزق على
اهالينا سنكتب ما قالوا قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكنى بالكناية عن الحفظ لانه طريق الى الحفظ وقيل نامر بكتب ذلك فى صحايف
اعمالهم وانما يفعل ذلك مبالغة فى الزجر عن المعصية لان المكلف اذا علم ان افعاله واقواله مكتوبة فى الصحايف وانه لا بد من عرضها
عليه ومن قراءته على رؤس الاشهاد يوم الشاهد كان ذلك ابلغ فى الزجر عن المآثم والمنع عن ارتكاب الجرائم وقتلهم الانبياء بغير
حق اى وسنكتب قتل اسلافهم الانبياء ورضاهم لانه يجازى كلا بفعله وفيه دلالة على ان الرضا بفعل القبيح يجرى مجراه فى عظم
الجرم لان اليهود الذين وصفوا بقتل الانبياء لم يتولوا ذلك بانفسهم وانما ذموا بذلك لانهم بمنزلة من تولاه فى عظم الاثم ونقول
ذوقوا عذاب الحريق يعنى المحرق وانما الفائدة فيه ان يعلم ان العذاب النار التى تحرق وهى الملتهبة لان ما لم يلتهب لا يسمى حريقا وقد
يكون العذاب بغير النار وبعيد قوله ذوقوا انكم لا تتخلصون من ذلك يقال ذق هذا البلاء اى انك لست بناج منه ذلك اشارة الى
ما سبق اى ذلك العقاب بما قدمت ايديكم معناه بما كنتم عملتموه وجنيتموه على انفسكم وان الله ليس بظلام للعبيد اى وبان الله
لا يظلم احدا من عباده وانما اضافه الى اليد وان كان تكسب الذنوب بجميع الجوارح لان ما يكسبه الانسان انما يكسبه بيده وكان
العادة قد جرت باضافة الافعال التى يلابسها الانسان الى اليد وان كان اكتسبها بجارحة اخرى فجرى خطاب القديم تعالى على عادتهم
وفيه ايضا دلالة على انه لو وقع العقاب عن غير جرم سلف من العبد لكان ظلما وذلك على خلاف ما يذهبون اليه من انه يعذب
الاطفال من غير جرم سلف منهم لانه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لانه لا ظلم اعظم من ذلك وانما ذكر ظلام وهو للتكثير تاكيدا لنفى الظلم عنه
قوله تعالى الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي
بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۞ آيتان القراءة قرا ابن عامر وبالزبر بالباء وكذلك هى فى مصاحف الشام كما فى فاطر والباقون
بغير باء الحجة من حذف فلان واو العطف اغنت عن تكرار العامل ومن اثبتها فانها كرر العامل تاكيدا وكلاهما حسن اللغة القربان
مصدر على وزن عدوان وخسران تقول قربت قربانا وقد يكون اسما كالبرهان والسلطان وهو كل ما يتقرب به العبد الى الله سبحانه
والزبر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة قال امرؤ القيس لمن طلل ابصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمانى يقال زبرت الكتاب اذا
كتبته وزبرت الرجل اذا زجرته والزبر مجتمع الشعر على كتف الاسد وزبرت البئر اذا احكمت طيها بالحجارة فهى من بوره والزبر
العقل وانما جمع بين الزبر والكتاب ومعناهما واحد لان اصلهما مختلف فهو كتاب لضم حروف بعضها الى بعض وزبور لما فيه
من الزجر عن خلاف الحق وانما سمى زبور داود لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر الاعراب الذين قالوا محله جر ردا على الذين
قالوا ان الله فقير على تقدير وسمع قول الذين النزول قيل نزلت الآية فى جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
ووهب بن يهوذا وفنحاص بن عازورا قالوا يا محمد ان الله قد عهد الينا فى التورية ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار
فان زعمت ان الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبى وقيل ان الله امر بنى اسرائيل فى التورية من
جاءكم يزعم انه نبى فلا تصدقوه حتى يأتى بقربان تاكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما بغير قربان المعنى ثم ذكر قولهم
الآخر فقال الذين قالوا لنبيه صلى الله عليه وآله ان الله عهد الينا اى امرنا وقيل اوصانا فى كتبه وعلى السن رسله ان لا نؤمن لرسول
اى لا نصدق رسولا فيما يقول من انه جاء به من عند الله حتى يأتينا بقربان اى حتى يجيئنا بما يتقرب به الى الله من صدقة او بر يتقبل

منه وقوله تاكله النار بيان العلامة التقبل فانه كان علامة قبول قربانهم ان نزل نار من السماء فتاكله وكان ذلك يكون دلالة على
صدق الخرب فيما ادعاه عن ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء اليهود قد جاءكم رسل من قبلي يعني جاء اسلافكم بالبينات يعني بالحجج الدالة على صدقهم
وصحة رسالتهم وحقيقه قولهم كما كنتم تقترحون وتطلبون منهم وبالذي قلتم معناه وبالقربان الذي قلتم فلم قتلتموهم اراد بذلك زكريا
ويحيى وجميع من قتلهم اليهود من الانبياء يعني لم قتلتموهم وانتم مقرون بان الذي جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم
صادقين فيما عهد اليكم مما ادعيتموه وهذا تكذيب لهم في قوله ودلالة على عنادهم وعلى ان النبي لو اتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم
يؤمنوا به كما لم يؤمن اباؤهم بالانبياء الذين اتوا به وبغيره من المعجزات وانما لم يقطع الله سبحانه عذرهم بما سالوه من القربان الذي
تاكله النار لعلمه سبحانه بان في الاتيان به مفسدة لهم والمعجزات تابعة للمصالح لان ذلك اقتراح في الادلة على الله والذي يلزم في
ذلك ان يزيح عللهم بنصب الادلة فقط فان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله في تكذيب الكفار
اياه وذلك انه سبحانه اخبر بانه ليس باول مكذب من الرسل بل كذب قبله رسل جاؤا بالبينات اي بالمعجزات الباهرات والزبر اي الكتب
التي فيها الحكم والزواجر والكتاب المنير قيل المراد به التورية والانجيل لان اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرفت ما جاء
به عيسى من صفة النبي صلى الله عليه وآله وبدلت عهده اليهم فيه والنصارى ايضا جحدت ما في الانجيل من نعته وغيرت ما امرهم
به والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي الى الحق قوله تعالى كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ آية اللغة يقال لكل من
نجا من هلكة وكل من لقي ما يغتبط به فقد فاز فوزا وقيل فاز تباعد من المكروه ولقي ما يحب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التفأل وانما المفازة
المنجاة كما سموا اللديغ سليما والاعمى بصيرا المعنى ثم بين سبحانه ان مرجع الخلق اليه فيجازي المكذبين رسله على اعمالهم من حيث
حتم الموت على جميع خلقه فقال كل نفس ذائقة الموت اي ينزل بها الموت لا محالة فكانها ذاقته وقيل معناه كل نفس ذائقة الموت
وشدائده وسكراته كقوله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله سبحانه لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله وهذا الظاهر
يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان القتل لا ينفك من الموت الذي هو فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالموت
هنا انتفاء الحيوة والقتيل قد انتفى الحيوة عنه فهو داخل في الآية وانما توفون اجوركم معناه وانما تعطون جزاء اعمالكم يوم القيمة وافيا ان
خيرا فخيرا وثوابا وان شرا فشرا وعقابا فان الدنيا ليست بدار جزاء وانما هي دار عمل والآخرة دار جزاء وليست بدار عمل فمن زحزح عن
النار اي بوعد من نار جهنم ونحي عنها وادخل الجنة فقد فاز اي نال المنية وظفر بالبغية ونجا من الهلكة وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور معناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها الا امتعة متمتعونها والغرور الخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الاختبار لانكم
تلتذون بها ثم انها تعود عليكم بالرزايا والفجايع فلا تركنوا اليها ولا تغتروا بها فانما هي غرور وصاحبها مغرور وقيل متاع الغرور
القوارير وهي في الاصل ما لا يبقى عن عكرمه وفي الآية دلالة على ان اقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا باسره ولذلك قال عليه السلم
موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حي سيموت ولولا ورود السمع بذلك لكان يجوز في العقل ان
تتصل حيوتهم الى وقت المجازاة واذا قيل اليس من قولكم لا بد من قطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه ان ذلك القطع كان
يجوز ان يحصل مع بقاء الحيوة وفيها دلالة على ان المقتول يحصل فيه الموت وقد اختلف في الموت قول ابي علي وابي هاشم فعند ابي علي
الموت معنى يضاد الحيوة وعند ابي هاشم عدم الحيوة فعلى كلى المذهبين يجوز حصوله في المقتول قوله تعالى لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ آية الاعراب اللام في قوله لتبلون لام التاكيد وفيه معنى القسم والنون تاكيد للقسم وانما ضمت الواو في لتبلون ولم تكسر
لالتقاء الساكنين لانها واو الضمير حركت بما يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة ولو كانت لوا وحرف الاعراب لفتحت نحو هل
تعرف زيدا النزول نزلت الاية في كعب بن الاشرف قال محمد بن مسلم وكان يهجو النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم
ويشبب بنساء المسلمين فقال عليه السلم من لي بابن الاشرف فقال محمد بن مسلم انا يا رسول الله فخرج هو وابو نائلة مع جماعة فقتلوه

نصف الحزب

مقدمات م

غيله

غيله واتوا براسه الى النبي صلى الله عليه وآله اخر الليل وهو قايم يصلي عن الزهري وقيل فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع لما بعث رسول الله
صلى الله عليه وآله ابا بكر وكتب اليه كتابا فلما قراه قال قد احتاج ربكم الى ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وآله
لا تفتاتن بشيء حتى ترجع فكف عن عكرمة ومقاتل المعنى ثم بين سبحانه ان الدنيا دار محنة وابتلاء وانها انما زويت عن المؤمنين ليصبروا فيوجروا
فقال لتبلون اي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدايد في اموالكم بذهابها ونقصانها وفي انفسكم ايها المؤمنون بالقتل والمصايب مثل
ما نالكم يوم احد ولفرض الجهاد وغيره من الفرايض والضرب التي امرنا بها وانما سماه بلوى مجازا فان حقيقة الاختبار والتجربة لا تجوز على الله
تعالى لانه العالم بالاشياء قبل كونها وانما يفعل ذلك ليتميز المحق من المبطل عن ابي علي الجبائي ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
يعني من اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني كفار مكة وغيرهم اذى كثيرا يعني ما سمعوه من تكذيب النبي صلى الله عليه وآله ومن
الكلام الذي يغمهم وان تصبروا وتتقوا يعني ان صبرتم على ذلك وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الاثم فان ذلك من
عزم الامور اي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل من محكم الامور قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون • آية القراءة
قرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ليبيننه بالياء ولا يكتمونه بالياء ايضا والباقون بالتاء فيهما الحجة حجة من قرا بالتاء قوله واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم والاتفاق عليه وكذلك قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقد تقدم القول في ذلك
وجه من قرا بالياء ان الكلام حمل على الغيبة لانهم غيب المعنى ثم حكى سبحانه عنهم نقض الميثاق والعهد بعد حكايته عنهم
التكذيب والرسل فقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اراد به اليهود خاصة وقيل اليهود والنصارى وقيل اراد كل من اوتي
علم شيء من الكتب لتبيننه للناس اي لتظهرنه للناس والهاء عايدة الى محمد صلى الله عليه وآله في قول سعيد بن جبير والسدي
لان في كتابهم ان محمدا رسول الله وان الدين هو الاسلام وقيل الهاء عايدة الى الكتاب فيدخل فيه بيان امر النبي صلى الله عليه وآله
لانه في الكتاب عن الحسن وقتادة ولا يكتمونه اي لا يخفونه عند الحاجة فنبذوه وراء ظهورهم اي طرحوه خلف ظهورهم ومعناه
ضيعوه وتركوه ولم يعملوا به وان كانوا مقرين به عن ابن عباس وقيل لمن يطرح الشيء ولا يعبا به رماه بظهر قال الفرزدق تميم بن
قيس الانكون حاجتي بظهر ولا يعيا علي طلابها واشتروا به ثمنا قليلا اي استبدلوا بعهد الله عليهم ومخالفته وميثاقه عوضا يسيرا من
حطام الدنيا يعني ما حصلوه لانفسهم من المماكل والرشى والهدايا التي اخذوها من عوامهم وسفلتهم فبئس ما يشترون اي بئس الشيء
ذلك اذ يستحقون به العذاب الاليم وان كان نفعا عاجلا ودلت الآية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين و
الاحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الامور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن الحسن بن عمارة قال
اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان تحدثني فقال اما علمت اني تركت الحديث
فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب عليه السلم يقول
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني باربعين حديثا قوله تعالى لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم • آية القراءة
قد ذكرنا القراءة في يحسبن ويحسبنهم فيما قبل الحجة قال ابو علي من قرا لا تحسبن بالتاء فلا تحسبنهم فالذين في موضع رفع بانه فاعل
يحسبن ولم يوقع يحسبن على شيء قال ابو الحسن لا يعجبني قراءة الاول بالياء لانه لم يوقعه على شيء وزعم انه لا يستحسن ان لا يعدي
حسب لانه قد جرى مجرى اليمين في نحو علم الله لافعلن ولقد علمت لتاتين منيتي وظنوا ما لهم من محيص فكما ان القسم لا يتكلم به حتى يتعلق
بالمقسم عليه فكذلك ظننت وعلمت في هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومن ثم جاء
نحو وما خلت ابقى بيننا من مودة عراض المذاكي المسنفات القلايصا وانما هو وما ابقى بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد يحسبن الى
مفعوليه اللذين يقتضيهما لان حسبت في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الاول وعدي الى مفعوليه استغنى بهما
من تعدية الاول اليهما كما استغنى في قوله باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب بتعدية احدى الفعلين الى المفعولين

الذين

عن تعدية الاخر اليهما والفاء زائدة فالتقدير لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا انفسهم بمفازة من العذاب واما قراءة فلا تحسبنهم بضم الباء
فان فعل الفاعل الذى هو تحسبن تعدى الى ضمير وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فان قيل هلا لم يحذف الواو من يحسبون و
اثبتها كما تثبت فى ثمود الثوب والحاجوتى ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما فى الساكن الاول من زيادة المد الذى يقوم مقام
الحركة فالقول فيه انه حذفت كما حذفت مع الحقيقة الا ترى انك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهبا لزمك الحذف فاجرى الثقيلة مجرى
الخفيفة فى هذا وقوله بمفازة من العذاب فى موضع المفعول الثانى وفيه ذكر للمفعول الاول وفعل الفاعل فى هذا الباب يتعدى الى
ضمير نفسه نحو ظننتنى اخاك لان هذه الافعال لما كانت تدخل على المبتداء والخبر اشبهت ان واخواتها فى دخولهن على المبتداء والخبر
كدخول هذه الافعال عليهما وذلك قولك ظننتنى ذاهبا كما تقول انى ذاهب ومما يوكد على ذلك قبح دخول النفس عليها لو قلت اظن نفسى
تفعل كذا لم يحسن كما يحسن اظننى فاعلا واما قراءة نافع وابى جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء فمثل قراءة
ابن كثير وابو عمرو الا فى قوله فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان فى قوله لا تحسبن الذين يفرحون محذوفا فان الدلالة
ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما فاما قراءة حمزة بالتاء فيهما فخلاف
المفعول الثانى الذى يقتضيه تحسبن لان ما يجئ من بعد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب يدل عليه ويجوز ان يجعل تحسبنهم
بدلا من تحسبن والفاء زائدة كما فى قوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى النزول نزلت فى اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس
لهم ونسبتهم اياهم الى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت فى اهل النفاق لانهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله
صلى الله عليه وآله فاذا رجعوا اعتذروا واحبوا ان يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان عن ابى سعيد الخدرى
وزيد بن ثابت وقيل اتت يهود خيبر الى النبى صلى الله عليه وآله فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك فى قلوبهم فحمدهم
المسلمون فنزلت الاية عن قتادة المعنى ثم بين سبحانه خصلة اخرى من ذميمة من خصال اليهود فقال لا تحسبن الذين يفرحون
اى الفارحون الذين يفرحون بالنفاق ويحبون ان يحمدوا بالايمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتمان امر النبى صلى الله عليه وآله
واحبوا ان يحمدوا بانهم اخيار وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى فى القراءة بالتاء والياء بالحجة فلا معنى لاعادته وقال ابو القسم
البلخى ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه واهل الصلوة والصوم وليسوا باولياء الله ولا احبائه ولا اهل الصلوة والصيام ولكنهم
اهل شرك ونفاق وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم وقيل معناه انهم يحبون ان يحمدوا على ابطالهم امر محمد وتكذيبهم به والاقوى
[illegible] بمفازة من العذاب اى لا تظنهم بمنجاة وبعد من النار ولهم عذاب اليم اى مولم موجع قوله تعالى وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٭ آية المعنى لما ذكر سبحانه فى الآية المتقدمة من فرح بمعصية ربهما واحب ان يحمد بما لم يفعله
اخبر انه لا نجاة له من عذابه قال ولله ملك السموات والارض اى هو مالك ما فى السموات وما فى الارض بمعنى انه يملك تدبيرها وتصريفها
على ما شاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه فى الخلاص منه والله على كل شئ قدير فيه تنبيه
على انه قادر على اهلاك من اراد اهلاكه وعلى الانشاء والافناء كما يشاء قوله تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٭ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٭ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ أَنْصَارٍ ٭ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا
مَعَ الْأَبْرَارِ ٭ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ٭ خمس آيات فضلها
روى الثعلبى فى تفسيره باسناده عن محمد بن الحنفية عن على بن ابى طالب عليه السلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا قام
يستاك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبى صلى الله عليه
وآله انه لما نزلت هذه الآيات قال ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها وورد عن الائمة من آل محمد عليهم السلم الامر بقراءة هذه
الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلوة وفى الضجعة بعد ركعتى الفجر وروى محمد بن على بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله

ان يكون المعنى بالآية من اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم فى ان يبينوا امر محمد ولا يكتمونه قيل اكثر اهل التأويل و
قوله فلا ٣٦ ع

من

بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت اباعبد الله عليه السلم وذكر النبي صلى الله عليه وآله قال كان يؤتى بطهور فيخمر عند راسه
ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ماشاء الله فاذا استيقظ جلس ثم قلب بصره الى السماء وتلى الآيات من آل عمران ان في خلق السموات
الاية ثم يستن ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فركع اربع ركعات على قدر قراءته ركوعه وسجوده على قدر ركوعه حتى يقال متى يرفع راسه ثم
يعود الى فراشه فينام ماشاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلوا الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد
فيوتر ويصلي الركعتين ثم يخرج الى الصلوة اللغة اللب العقل سمي به لانه خير في الانسان واللب من كل شيء خيره وخالصه
سبحانك معناه تنزيها لك من ان يكون خلقتهما باطلا وبراءة مما يليق بصفاتك قال الشاعر سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي
والجمد والله بر راجع بر وهو الذي بر الله بطاعته اياه حتى ارضاه واصل البر الاتساع فالبر الواسع من الارض خلاف البحر والبر صلة
الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وابر الرجل على اصحابه اى زاد عليهم الاعراب الذين يذكرون في موضع جر صفة لاولي الالباب
قياما وقعودا اى مضطجعين لان الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على
الحايط وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا اصير الى فلان ماشيا وعلى الفراش فيكون موضع على الفراش نصب على الحال من
الضمير في اصير وقوله ماخلقت هذا باطلا اى يقولون ماخلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلا نصب على انه المفعول
الثاني وقيل تقديره بالباطل او للباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل وجزاء ان في قوله من تدخل النار فقد اخزيته جملة مركبة من الشرط
والجزاء والاصل فيهما جملتان كل واحدة منهما من فعل وفاعل لان موضع من نصب بتدخل على انه مفعول به وقوله ان امنوا يحتمل
ان يكون ان هذه هي المفسرة بمعنى اي ويحتمل ان يكون الناصبة للفعل لانه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بان آمنوا
المعنى لما بين سبحانه بان له ملك السموات والارض عقبه ببيان الدلالة على ذلك فقال ان في خلق السموات والارض
اى في ايجادها بما فيهما من العجايب والبدايع واختلاف الليل والنهار اى تعاقبهما ومجيء كل منهما خلف الاخر لايات اى دلالات
على توحيد الله وصفاته العلى لاولي الالباب اى لذوي البصاير والعقول ووجه الدلالة في خلق السموات والارض ان وجودهما
مضمن باعراض حادثة وما لا ينفك عن الحادث مثله والمحدث لابد له من محدث يحدثه ومن جد يوجده فدل وجودهما و
حدوثهما على ان لهما محدثا قادرا ودل ابداعهما بما فيهما من البدايع والامور الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان
مبدعهما عالم لان الفعل المحكم المنتظم لا يصح الا من عالم كما ان الايجاد لا يصح الا من قادر ودل ذلك ايضا على ان صانعهما قديم
لم يزل لانه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث فيؤدي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار انه في تزايدهما
على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان كل واحد منهما عن الاخر في حال وزيادته عليه في حال وازدياد احدهما
بقدر نقصان الاخر دلالة ظاهرة على ان لهما صانعا قادرا حكيما لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو ثم وصف سبحانه ذوي الالباب
فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلقه السموات والارض هم
الذين يذكرون الله قايمين وقاعدين ومضطجعين اى في ساير الاحوال لان احوال المكلفين لا تخلو من هذه الاحوال الثلثة
وقد امر يذكر الله في جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر امكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قايما والمريض جالسا وعلى
جنبه اى مضطجعا فسمى الصلوة ذكرا رواه علي بن ابرهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين لانه غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه
الاحوال وهم في الصلوة وهو قول ابن جريج وقتادة ويتفكرون في خلق السموات والارض اى ومن صفة اولي الالباب ان
يتفكروا في خلق السموات والارض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم
يقولون ربنا ماخلقت هذا باطلا اى ماخلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل وللباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة
ليكون دليلا على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته او لا يليق بذاته فيقولون سبحانك
اى تنزيها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقها عبثا ولا لعبا بل تعريضا للثواب بدلا من العقاب فقنا عذاب النار بلطفك الذي
يتمسك معه بطاعتك وفي هذه الآية دلالة على ان الكفر والضلال والقبايح ليست خلق الله تعالى لان هذه الاشياء كلها

باطله بلا خلاف وقد نفى الله سبحانه ذلك بحكايته عن اولى الالباب الذين رضى اقوالهم بانه لا باطل فيما خلقه سبحانه فيجب بذلك
القطع على ان القبائح كلها غير مضافة اليه سبحانه و منفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن اولى الالباب الذين
وصفهم بانهم ايضا يقولون ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل فيه وجوه احدها ان معناه فضحته واهنته ويكون
منقولا من الخزي ونظيره قوله ولا تخزون فى ضيفى وثانيها قال المفضل معناه اهلكته وانشد اخزى الاله من الصلب الهه واللابسين
ملابس الرهبان وثالثها ان معناه احللته محلا ووقفته موقفا يستحيا منه فيكون منقولا من الخزاية التى معناها الاستحياء قال
ذو الرمة خزاية ادركته بعد جولته من جانب الدف مخلوطا به الغضب واختلف اهل التاويل فى المعنى بهذه الآية فروى عن
انس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريح ان الاخزاء يكون بالتابيد فى النار وهى خاصة بمن لا يخرج منها وقال
جابر بن عبد الله ان الخزى يكون بالدخول فيها وروى عنه عمرو بن دينار وعطا انه قال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون
ذلك خزيا وهذا هو الاقوى لان الخزى هو هتك المخزى وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب
اليه من جواز العفو عن المذنبين لان على قول من قال الخزى هو بالخلود فى النار فمن عفى الله عنه لا يكون اخزاه واذا ادخله
النار ثم اخرجه منها بعد استيفاء العقاب وعلى قول من اثبت الخزي بنفس الدخول فانه وان كان خزيا فليس كمثل خزي
الكفار ويجوز حمل قوله يوم لا يخزى الله النبي والذين امنوا معه على كلا الوجهين وعلى قول من جعله من الخزاية التى هي
الاستحياء فيكون اخزاء للمؤمنين محمولا على الحياء واخزاء الكافر على الاهانة والخلود فى النار وقوله وما للظالمين من انصار
اى ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لان الناصر هو الذى يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا
ينافى ذلك ما صح من شفاعة النبى صلى الله عليه واله والاولياء لاهل الكبائر لان الشفاعة هى على سبيل المسئلة والخضوع و
التضرع الى الله تعالى وليست من النصرة فى شئ وصح عن النبى صلى الله عليه واله انه قال سيصيب اقوام سفع بذنوب اصابوها
ثم يخرجون تسميهم اهل الجنة الجهنميين رواه البخارى باسناده عن انس بن مالك وفيما رواه ابو سعيد الخدرى عنه عليه السلم
قال فيخرجون وقد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون فى نهر يقال له نهر الحيوة قال فينبتون منه كما ينبت الحبة من حميل السيل رواه
البخارى ومسلم ايضا فى الصحيح ومما روى فى مثل ذلك من الاخبار لا يحصى وهذا كما تراه صريح فى وقوع العفو عن مرتكبى الكبائر
ربنا اننا سمعنا مناديا قيل المنادى محمد صلى الله عليه واله عن ابن مسعود وابن عباس وابن جريح واختاره الجبائى وقيل انه
القرآن عن محمد بن كعب القرظى وقتادة واختاره الطبرى قال لانه ليس يسمع كل احد قول النبى صلى الله عليه واله ولا رآه
والقرآن سمعه من رآه ومن لم يره كما قال سبحانه مخبرا عن الجن انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به ولمن نصر القول الاول
ان يقول بلغه قول النبى صلى الله عليه واله ودعوته جاز ان يقول سمعنا مناديا وان كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله
سمعنا مناديا نداء مناديا لان المنادى لا يسمع وقوله ينادى للايمان معناه الى الايمان كقوله سبحانه الحمد لله الذي هدانا لهذا و
معناه الى هذا وكقول الشاعر اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت ومثله قوله بان ربك اوحى لها فالمعنى
ربنا اننا سمعنا داعيا يدعوا الى الايمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله ان آمنوا
بربكم معناه بان امنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم فامنا اي صدقنا الداعى فيما دعا اليه من التوحيد
واجبناه ربنا فاغفر لنا ذنوبنا معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها فى القيمة على رؤس الاشهاد بعقوبتك وكفر عنا سيئاتنا معناه
امحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا اليك فى جملة الابرار واحشرنا معهم فان قيل معنى قوله كفر عنا وقد
اغنى عنه قوله فاغفر لنا فالجواب عنه من وجهين احدهما ان معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة وكفر عنا ان تبنا والثانى
ان اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفر عنا باجتناب الكبائر السيآت لان الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب والتكفير لا يكون الا عند
فعل من العبد والاول الذى يذهب اليه ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك هذه حكاية ايضا عمن تقدم وصفهم بانهم يقولون اعطنا
ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ولا تخزنا اى لا تفضحنا ولا تهلكنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد هو كلام مستانف

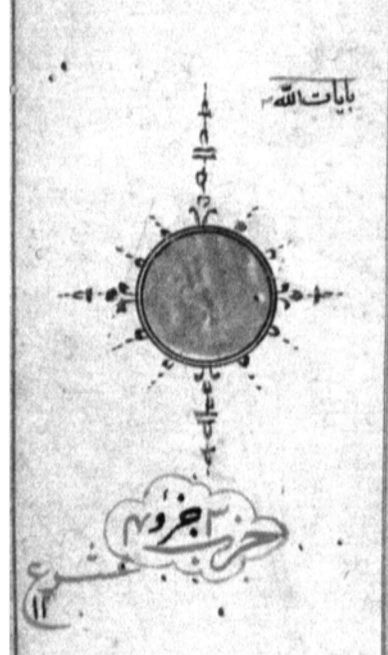
بدلالة

بدلالة انه كرر ان والمعنى انك وعدت الجنة لمن آمن بك وانت لا تخلف وعدك فان قيل ما وجه المسئلة في انجاز الوعد والمعلوم انه
يفعل لا محالة فالجواب من وجوه احدها ان ذلك على وجه الانقطاع الى الله والتضرع له والتعبد كما قال سبحانه رب احكم بالحق
واختاره علي بن عيسى والجبائي وثانيها ان الكلام خرج مخرج المسئله والمراد الجزاء اي توفنا مع الابرار لتؤتينا ما وعدتنا به على رسلك
ولا تخزنا يوم القيمه لانهم علموا ان ما وعد الله به حق ولا بد ان ينجزه وثالثها ان معناه السوال والدعا بان يجعلهم ممن وعدهم
من الكرامة في انفسهم ثم سالوه ان يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند انفسهم لانه لو كان كذا لكانوا قد زكوا انفسهم
وشهدوا بانها تستوجب كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين والرابع انهم انما سالوا ذلك على وجه الرغبة منهم
الى الله في ان يؤتيهم ما وعدهم من النصر على اعدائهم من اهل الكفر واعلاء كلمة الحق على الباطل لتعجيل ذلك لهم لانه لا يجوز ان
يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين وعلى غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا الى الله في تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا
النصر ولم يوقت لهم لم ذلك وقت فرغبوا الى الله في تعجيل ذلك لهم لما لهم في ذلك من السرور بالظفر وهو اختيار الطبري
وقال الاية مختصة بمن هاجر من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين رغبوا في تعجيل النصرة على اعدائهم وقالوا لا صبر لنا على
اناتك وحلمك وقوى ذلك بما بعد هذه الآيه من قوله فاستجاب لهم ربهم الايات والى هذا ابو القسم البلخي ايضا قوله تعالى
فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده
حسن الثواب ۝ القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول على الفعل المبني للفاعل و
التخفيف وقرا الباقون بتقديم قاتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر الحجة اما تقدم قاتلوا على قتلوا فلان القتال قبل القتل ومن
التشديد لتكرر القتل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف قتلوا فلان فعلوا يقع على الكثير والقليل والتشديد يختص بالكثير واما
تقديم قتلوا فلان المعطوف بالواو يجوز ان يكون اولا في المعنى وان كان موخرا في اللفظ ويمكن ان يكون الوجه فيه انه لما قتل منهم
قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله سبحانه فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اللغة الاضاعة الاهلاك
ضاع الشي يضيع ضياعا اذا هلك واضاعه وضيعه بمعنى ومنه الضيعه للقرية واما قولهم كل رجل وضيعته فان الضيعة هنا
الحرفة والمهاجر فاعل من الهجر وهو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار الى دار تركوا الاولى للثانيه وتهجر الرجل تشبه بالمهاجرين
الاعراب من في قوله من ذكر او انثى للتبيين والتفسير عن قوله منكم بمعنى لا اضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث فهو بيان لجنس
من اضيف العمل اليه ويقال انها موكدة بمعنى النفي في لا اضيع اي لا اضيع عمل ذكر وانثى منكم وبعضكم مبتدا وقوله من بعض
في موضع رفع بانه خبره وثوابا مصدر موكد لان معنى ولادخلنهم جنات لاثيبنهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لان معنى قوله حرمت
عليكم امهاتكم كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر موكد النزول روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون
الهجرة دون النساء فانزل الله تعالى هذه الآية قال البلخي نزلت الآية وما قبلها في المتبعين للنبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين
معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم واحدا واحدا وهم من المسلمين المعنى ثم عقب سبحانه دعوة المومنين بذكر الاجابة فقال
فاستجاب لهم ربهم اي اجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم اني لا اضيع اي باني لا ابطل عمل عامل منكم من ذكر او انثى رجل او امراة
بعضكم من بعض في النصرة والدين والموالاة فحكمي في جميعكم حكم واحد فلا اضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم في صفة الايمان و
هذا يتضمن الحث على مواظبة الادعية التي في آيات المتقدمة والاشارة الى انها مما تعبد الله تعالى بها وندب اليها وذلك لانه
تضمن الاجابة لمن دعا بها فالذين هاجروا الى المدينة وفارقوا قومهم من اهل الكفر واخرجوا من ديارهم اخرجهم المشركون من
مكه واوذوا في سبيلي اي في طاعتي وعبادتي وديني وذلك هو سبيل الله فتحمل الاذى لاجل الدين وقاتلوا في سبيل الله وقتلوا فيها
لاكفرن عنهم سيآتهم يعني لامحونها عنهم ولا تفضلن عليهم بعفوي ومغفرتي ورحمتي وهذا يدل على ان اسقاط العقاب تفضلا من
الله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها اي من تحت ابنيتها واشجارها الانهار ثوابا اي جزاء لهم من عند الله على اعمالهم والله عنده

حسن الثواب اى ثمّ عنده حسن الجزاء على الاعمال مالا يبلغه وصف واصف ولا يدرك بنعت ناعت مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسن الثواب فى دوامه وسلامته عن كل مشوب من النقصان والتكدير قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ثلث آيات القراءة قرا يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك ولا يحطمنكم ولا يستخفنك فاما نذهبن بك او نرينك خفيفة النون فى الجميع والباقون بالتشديد فيها وقرا ابو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون والباقون لكن بالتخفيف اللغة الغرور ايهام حال السرور فيما الامر بخلافه فى المعلوم وليس كل ايهام غرورا لانه قد يتوهمه مخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والغرر نظير الخطر والفرق بينهما ان الغرر قبيح كله لانه ترك الحزم فيما يمكن ان يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لانه من العظم من قولهم رجل خطير اى عظيم والمتاع النفع الذى يتعجل به اللذة اما بوجود اللذة او بما يمكن به اللذة نحو المال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهاد الذى يسكن فيه الانسان ويفترشه وواحد الابرار بر وبار تقول بررت والذى فانا بر واصله برر ولكن الواو ادغمت للتضعيف الاعراب بنى المضارع مع نون التاكيد لانه بمنزلة ضم اسم الى اسم نحو خمسة عشر ونحوه ومتاع خبر مبتداء محذوف تقديره تقلبهم متاع قليل حذف المبتداء لدلالة ما تقدمه عليه وبئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدمه عليه تقديره بئس المهاد جهنم ونزلا مصدر موكدا ايضا مثل ما تقدم ذكرهم فى قوله ثوابا من عند الله لان خلودهم فى الجنة انزالهم فيها فصار كانه قال نزلهم نزلا وقيل هو نصب على التفسير كما تقول هولك هبة او صدقة عن الفراء وخالدين فيها منصوب على الحال اى مقدارا لهم الخلود فيها النزول نزلت فى مشركى العرب وكانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المسلمين ان اعداء الله فى العيش الرخى وقد هلكنا من الجوع فنزلت الاية قال الفراء كانت اليهود تضرب فى الارض فتصيب الاموال فانزل الله سبحانه لا يغرنك الاية المعنى لا يغرنك يا محمد الخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لا يغرنك ايها الانسان او ايها السامع تقلب الذين كفروا اى تصرفهم فى البلاد سالمين غير مواخذين باجرامهم اعلم الله سبحانه ان ذلك مما لا ينبغى ان يغبطوا به لان ماويهم ومصيرهم بكفرهم الى النار ولا خير بخير بعده النار وقوله متاع قليل اى تصرفهم فى البلاد والنعم متاع قليل اى ستمتعون بذلك قليلا ثم يزول وسماه متاعا لانهم متمتعوا به فى الدنيا ثم ماويهم اى مصيرهم ومرجعهم جهنم وبئس المهاد اى ساء المستقر هى ثم اعلم سبحانه ان من اراد الله واتقاه فله الجنة فقال لكن الذين اتقوا ربهم ولفظه لكن الاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبة خير انما هى للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصى لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله بين سبحانه ما يصيرون اليه من النعيم المقيم فى دار المعدة للابرار والنزل ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب وما عند الله من الثواب والكرامة خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا لان ذلك عن قريب سيزول وما عند الله سبحانه دايم لا يزول وروى عن عبد الله بن مسعود قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا الموت خير لها من الحيوة فاما الابرار فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار واما الفجار فقد قال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم الاية وقوله فى النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما يعنى بذلك اذا كانت تدوم على فجورها قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب آية اللغة اصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهى سهولة فى الرمل كالربوة والخاشع من الارض الذى لا يهتدى له لان الرمل تعفى آثاره والخاشع الخاضع ببصره والخشوع هو التذلل خلاف التصعب الاعراب خاشعين نصب على الحال من الضمير فى يؤمن وهو عايد الى من وقيل هو من الضمير فى انزل اليهم المجرور بالى والاول احسن النزول اختلفوا فى نزولها فقيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمه وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبرائيل عليه السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشى فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر

سرير النجاشي وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية على
جابر بن عبدالله وابن عباس وانس وقتادة وقيل نزلت فى اربعين رجلا من اهل نجران من بنى الحرث بن كعب واثنين وثلثين من ارض
الحبشه وثمانيه من الروم كانوا على دين عيسى فامنوا بالنبى صلى الله عليه وآله عن عطا وقيل نزلت فى جماعة من اليهود كانوا اسلموا
منهم عبدالله بن سلام ومن معه عن ابن جريج وابن زيد وابن اسحق وقيل نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب كلهم لان الآية قد تنزل
على سبب وتكون عامه فى كل ما يتناوله عن مجاهد المعنى لما ذم سبحانه اهل الكتاب فيما تقدم وصف طايفه منهم بالايمان و
اظهار الحق والصدق فقال وان من اهل الكتاب اى من اليهود والنصارى لمن يؤمن بالله اى يصدق الله ويقر بوحدانيته وبما
انزل اليكم ايها المؤمنون وهو القرآن وما انزل اليهم وهو التورية والانجيل خاشعين لله اى خاضعين له مستكينين بالطاعة
متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخايف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اى
لا ياخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب وكتمان الحق من الرشى والماكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم سبحانه بقوله اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى لكن ينقادون للحق ويعملون بما امرهم الله وينتهون عما نهاهم عنه ثم قال اولئك يعني هؤلاء
الذين وصفناهم لهم اجرهم عند ربهم معناه لهم ثواب اعمالهم واجر طاعاتهم عند الله مذخور حتى يوفيهم يوم القيمة ان الله سريع
الحساب وصف الحساب بالسرعة لانه سبحانه لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه لطول الحساب لانه لا يخفى عليه شئ من اعمالهم قبل ان يعملوها
وبعد ان عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد فيقع فى الاحصاء ابطاء وقيل معناه انه يحاسب كل الخلق معا فاذا حاسب واحدا
فقد حاسب الجميع لانه قادر على ان يكلمهم فى حال واحده كل واحد بكلام يخصه لانه القادر لنفسه عن ابى على الجبائى وانما خص
الله سبحانه هذه الطايفه بالوعد ليبين ان جزاء اعمالهم موفر عليهم ولا يضره كفر من كفر منهم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ٢٠٠ آية اللغة اصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد
ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عن من وراءه من ارادهم بسوء والرباط ايضا اسم لما يشد
المعنى لما حكى سبحانه احوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين والجهاد فى سبيل
الله فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله اصبروا وصابروا ورابطوا اختلف فى معناها على وجوه احدها ان المعنى
اصبروا على دينكم اى اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم فى سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك فعلى هذا
يكون معناه اصبروا على طاعة الله سبحانه وعن معاصيه وقاتلوا العدو فاصبروا على قتالهم فى الحق كما يصبرون على قتالكم فى الباطل
وانما اتى بلفظ ما بينهما لان فاعل انما ياتى لما يكون بين اثنين والرباط هو المرابط فيكون بين اثنين ايضا يعني اعدوا لهم من الخيل
ما يعدونه لكم كقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وثانيها ان المراد واصبروا على دينكم وصابروا وعدى اياكم ورابطوا
عدوى وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي وثالثها ان المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن اسلم وقيل ان معنى رابطوا اى رابطوا
الصلوات ومعناه انتظروها واحده بعد واحده لان المرابطه لم تكن حينئذ روى ذلك عن على عليه السلم وعن جابر بن عبد
الله وابى سلمة بن عبدالرحمن وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الاعمال فقال اسباغ الوضوء فى السبرات ونقل
الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة فذلكم الرباط وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم انه قال معناه اصبروا على المصايب وصابروا
على عدوكم وهو قريب من القول الاول وقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه اتقوا ان تخالفوا الله فيما يامركم لكى تفلحوا بنعيم
الابد وقيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكى تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البغيه والوصول الى النجح
فى الطلبه وذلك حقيقه الفلاح وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله التكليف لان قوله اصبروا يتناول لزوم جميع العبادات
وتجنب المحرمات وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما هو اعظم منها من جهاد النفس ورابطوا يدخل
فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهى والزواجر والايتمار بجميع الاوامر ثم اتبع
جميع ذلك الفلاح والنجاح وبالله التوفيق قال المصنف رحمه الله وافق الفراغ من اتمام هذه السورة يوم الثلثا لست خلون

باياتِ الله



من شهر الله الاصم رجب اعظم الله بركته من سنة احدى وثلثين وخمسمائة والله عز اسمه المأمول والمسئول فى اتمام تفسير جميعه
والتوفيق لتهذيبه وترصيعه وان يجعله وقفا لما يحبه ويرضاه بمعزل عما يكرهه ويناه انه على ما يشاء قدير وهو ولى التسهيل
والتيسير بمنه ولطفه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على خير خلقه محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء وهي مدنية كلها وقيل انها مدنية الا قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الاية ويستفتونك
قل الله يفتيكم فى الكلالة الى آخرها فان الايتين نزلتا بمكة عدد آيها مائة وسبعون آية وسبع آيات شامى وستة كوفى وخمس
فى الباقين خلافها آيتان ان تضل السبيل كوفى شامى ويعذبكم عذابا اليما شامى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله
وسلم قال من قرأها فكانما تصدق على كل مؤمن ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله من الذين
يتجاوز عنهم روى عن عمر بن الخطاب انه قال تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فان فيهن الفرايض روى
العياشى باسناده عن امير المؤمنين عليه السلم قال من قرأ سورة النساء فى كل جمعة أومن من ضغطة القبر اذا ادخل فى قبره تفسيرها
لما ختم الله سبحانه السورة التى ذكر فيها آل عمران بالامر بالتقوى وافتتح ايضا هذه السورة الا ان هناك خص المؤمنين وعم به ههنا سائر المكلفين
فقال بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا القراءة قرأ اهل الكوفة تساءلون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ
حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وقرئ فى الشواذ والارحام بالرفع الحجة من خفف قال اراد يتساءلون فحذف التاء من
تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شدد فقال تساءلون فانه ادغم التاء فى السين وحسن ذلك لاجتماعهما فى انهما من حروف طرف
اللسان واصول الثنايا واجتماعهما فى الهمس فخفف هنا بالادغام كما خفف هناك بالحذف قال ابو على من نصب الارحام احتمل انتصابه
وجهين احدهما ان يكون معطوفا على موضع الجار والمجرور والآخر ان يكون معطوفا على اتقوا وتقديره واتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها
ولا تقطعوها فاما من جر فانه عطف على الضمير المجرور بالابتداء وهذا ضعيف فى القياس وقليل فى الاستعمال وما كان كذلك فترك
الاخذ به وانما ضعف فى القياس لان الضمير قد صار عوضا مما كان متصلا بالاسم من التنوين فقبح ان يعطف عليه كما ان الشرط ايضا اهله
على التنوين وبذلك انه جرى عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادى المضاف اليها كحذفهم التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو
الاكثر من غيره ووجه الشبه بينهما انه على حرف كما ان التنوين كذلك واجتماعهما فى السكون وانه لا يوقف على الاسم منفصلا منه كما ان
التنوين كذلك والمضمر اذهب فى مشابهة التنوين من المظهر لانه قد يفصل بين المضاف والمضاف اليه اذا كان ظاهرا بالظرف وبغيرها
نحو قول الشاعر كان اصوات من ايغالهن بنا اواخر الميس اصوات الفراريج وقال الآخر من قرع القسى الكنائن فليس المضمر فى هذا كالظاهر فلما
كان كذلك لم يستجيزوا عطف الظاهر عليه لان المعطوف ينبغى ان يكون مشاركا للمعطوف عليه وقد جاء ذلك فى ضرورة الشعر
انشد سيبويه فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب فعطف الايام على موضع الكاف وقال آخر تعلق فى مثل
السوارى سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف فعطف الكعب على الهاء والالف فى بينها ومثل ذلك لا يجوز فى القرآن والكلام الفصيح
قال المازنى وذلك لان الثانى فى العطف شريك للاول فان كان الاول يصلح ان يكون شريكا للثانى والا لم يصلح ان يكون شريكا له فكما لا
تقول مررت بزيد وبك كذلك لا تقول مررت بك وزيد ولا القراءة الشاذة فى رفع الارحام فالوجه فيه حمله على الابتداء اى والارحام
مما يجب ان تتقوه وحذف العلم به اللغة البث النشر بث وابث سرى وابثثته سرى لغتان واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار
ومنه الرقبى لان كل واحد منهما ينتظر موت صاحبه يقال رقب يرقب رقوبا ورقبة ورقبا فعلى هذا يكون الرقيب فعيلا بمعنى
الفاعل وهو الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ المعنى ابتدأ الله هذه السورة بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الناس وهو
خطاب للمكلفين من جميع البشر وقيل النداء انما كان فى ساير كتب الله السالفة يا ايها المساكين واما فى القرآن فما نزل بمكة فالنداء
يا ايها الناس وما نزل بالمدينة فمرة يا ايها الذين آمنوا ومرة يا ايها الذين آمنوا ومرة يا ايها الناس اتقوا ربكم معناه اتقوا معصية

بكم

ربكم او مخالفة ربكم بترك ما امر به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقه ان تضيعوه وقيل اتقوا عقابه فكانه قال يحق عليكم ان
تتقوا عذاب من انعم عليكم باعظم النعم وهى انه خلقكم من نفس واحدة واوجدكم ومن عظمت عنده النعم فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد به بيان
كمال قدرته فكانه قال الذى قدر على ان خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم اقدر فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله الذى
خلقكم من نفس واحدة المراد بالنفس ههنا آدم عند جميع المفسرين وانما لم يقل نفس واحد بالتذكير وان كان المراد آدم لان لفظ النفس مونث
بالصيغة فهو كقول الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال فانث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز وخلق منها
زوجها يعنى حوا عليها السلم ذهب اكثر المفسرين الى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم ورووا عن النبى صلى الله عليه وآله قال خلقت المراة من
ضلع ان اقمتها كسرتها وان تركتها وفيها اعواج استمتعت بها وروى عن ابى جعفر الصادق عليه السلم ان الله خلق حوا من فضل الطينة التى
خلق منها آدم وفى تفسير على بن ابرهيم انها من اسفل اضلاعه وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اى نشر وفرق من هاتين النفسين على وجه الارض رجالا
كثيرا ونساء وانما من علينا نعم بان خلقنا من نفس واحدة لانه اقرب الى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا الى اصل
واحد وكان ذلك ابلغ فى القدرة وادل على العلم والحكمة وقوله واتقوا الله الذى تساءلون به قيل معناه تقولون احدكما انه من قولهم والارحام ه
اسالك بالله ان تفعل كذا وانشدك بالله وبالرحم ونشدتك الله والرحم وكذا كانت العرب تقول عن الحسن وابرهيم وعلى هذا يكون
قوله والارحام عطفا على موضع قوله به والمعنى انكم كما تعظمون الله باقوالكم فعظموه بطاعتكم اياه وقال الاخرون معنى تساءلون تطلبون حقوقكم
وحوائجكم فيما بينكم والارحام معناه واتقوا الارحام ان تقطعوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع وهو المروى عن ابى جعفر
وعلى هذا يكون منصوبا عطفا على اسم الله تع وهذا يدل على وجوب صلة الرحم ويؤيده ما روى عن النبى ص انه قال قال الله تعالى انا الرحمن
خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفى امثال هذا الخبر كثرة وصلة الرحم قد تكون بقبول
النسب وقد تكون بالانفاق على ذى الرحم وما يجرى مجراه وروى الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين عليه السلم قال ان احدكم ليغضب
فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذى رحمه فليمسه فان الرحم اذا مسته الرحم استقرت وانها معلقة بالعرش تنادى اللهم
صل من وصلنى واقطع من قطعنى ان الله كان عليكم رقيبا اى حافظا عن مجاهد وقيل الرقيب العالم عن ابن زيد والمعنى متقارب وانما
اتى بلفظ كان المقيدة للماضى لانه اراد كان حفيظا على من تقدم زمانه من عهد آدم وعلمه الى زمان المخاطبين وعالما بما صدر منهم لم
يعزب عنه من ذلك شئ قوله تعالى وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا آية اللغة
الحوب الاثم يقال حاب يحوب حوبا وحيابة والاسم الحوب وروى عن الحسن انه قال حوبا ذهب الى المصدر وتحوب فلان من كذا
اذا اخرج منه وتركه لنا بحوبة من الارض نوضع سوء والحوبة الحزن والتحوب التحزن والحويا المروح المعنى لما امر سبحانه بالتقوى
وصلة الارحام عقبه ببيان احوال التقوى وهو توفر حقوق اليتامى فقال واتوا اليتامى اموالهم وهذا خطاب لاوصياء اليتامى اعطوهم اموالهم
بالانفاق عليهم فى حالة الصغر وبالتسليم اليهم عند البلوغ منهم اذا اونس منهم الرشد سماهم يتامى بعد البلوغ مجازا لان النبى صلى الله عليه وآله
قال لا يتم بعد الاحتلام كما قالوا للنبى صلى الله عليه وآله يتيم ابى طالب بعد كبره بمعنى انه رباه وكقوله سبحانه والقى السحرة ساجدين اى
الذين كانوا سحرة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب معناه لا تتبدلوا ما حرم الله عليكم من اموال اليتامى بما احله لكم من اموالكم واختلف فى
صفة التبديل فقيل كان اوصياء اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم والرفيع منه ويجعلون مكانه الخسيس والردى عن ابرهيم النخعى
والسدى وسعيد بن المسيب والزهرى والضحاك وقيل معناه لا تتبدلوا الخبيث بالطيب بان تتعجلوا الحرام قبل ان ياتيكم الرزق الحلال
الذى قدر لكم عن ابى صالح ومجاهد وقيل معناه ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم لا يورثون النساء والصغار بل ياخذه الكبار
عن ابن زيد واقوى الوجوه الاول فاذكر عقيب اموال اليتامى فيكون معناه لا تاخذوا السمين الجيد من اموالهم وتضعوا مكانها المهزول
والردى فتحفظون عليهم عدد اموالهم ومقاديرها وتجحفون بهم فى صفاتها ومعانيها وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى مع اموالكم
ومعناه لا تضيفوا اموالهم الى اموالكم فتاكلوهما جميعا ويحتمل ان يكون معناه لا تاكلوا الخبيث من اموالهم بالردى من اموالكم
فتاكلوها فان ذلك اجحافا واضرارا بهم فاما اذا لم يكن فى ذلك ولا ظلم فلا باس عليكم بخلط مال اليتيم بماله فقد روى انه لما نزلت هذه

الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل سبحانه ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم
خير وان تخالطوهم فاخوانكم الآية عن الحسن وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلم انه كان حوبا كبيرا اى اثما عظيما
قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث وربع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * آيتان عد
الا تعولوا آية بالاتفاق وهذا مما يشكل ويفسر القراءة قرا ابو جعفر فواحدة رفع والباقون بالنصب الحجة القراءة بالنصب على انه
مفعول به وتقديره فانكحوا واحدة ومن رفع فعلى انه فواحدة كافية او فواحدة مجزية كقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون
اللغة الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور ويقال ثناء مثنى وثلاث ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه مثل خماس ومخمس
والاعشار فى بيت الكميت وهو قوله فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا وقال صخر الغي ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت
مرة مثل امس الدابر وعال الرجل يعول عولا وعيالة مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص قال ابو طالب
بميزان قسط وزنه غير عائل وعال يعيل عيلة اذا احتاج قال الشاعر فما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل اى يفتقر فمن قال
معنى قوله الا تعولوا الا تفتقروا فقد اخطأ والاية من باب الياء كما ترى ومن قال ان معناه لا تكثر عيالكم فقد اخطأ فيه لان ذلك يكون
من الاعالة يقال اعال الرجل يعيل فهو معيل اذا كثر عياله وعال العيال اذا مانهم ومنه قوله صلى الله ابدأ بمن تعول وقد حكى الكسائي عال
الرجل يعول اذا كثر عياله والصداق والصدقة والصدقة والمهر والنحلة عطية تكون على غير جهة المناكحة يقول نحلت الرجل اذا وهبت
له نحلة ونحلا وسمى النحل نحلا لان الله تعالى نحل منها الناس العسل الذى فى بطونها وهنيئا مأخوذة من هناء البعير لما سط انه فالهنى
شفاء من المرض كما ان الهناء الذى هو القطران شفاء من الجرب قال ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم هانئ انيق جرب متبذلا تبدو
محاسنه يضع الهناء مواضع النقب يقال هناني الطعام ومرانى اى صار لى دواء وعاجلا شافيا وهنئنى ومرأنى بالكسر وهى قليلة فى
تقول فى المستقبل يهنانى ويمرانى ويهنينى ويمرينى واذا افردوا قالوا امرانى ولا يقولون اهنانى وقد ورد هذا الطعام مراة ولا يقال
هنات فلانا المال اذا اوجعته له اهناه هنئاه ومنه المثل انما سميت هانئا لتهنأ اى لتعطى الاعراب قوله ما طاب ما هنا مصدرية عن
الفراء اى فانكحوا الحلال ويروى عن مجاهد ايضا فانكحوا النساء نكاحا طيبا قال المراد ما هنا الجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل وامرأة
وقيل ما كان ابهام جاءت ما لما فيها من الابهام كقول العرب خذ من عبدى ما شئت وقوله مثنى وثلاث ورباع بدل من ما طاب وموضعه
النصب وتقديره اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا الا انه لا ينصرف لعلتين العدل والوصف قال الزجاج لا ينصرف
لجهتين لا اعلم احدا من النحويين ذكرهما غيرنا انه معدول عن اثنين اثنين وثلاث ثلاث وانه معدول عن تانيث وخطاه ابو على الفارسى
فى ذلك واورد عليه كلاما كثيرا يطول بذكره الكتاب ثم قال لو جاز ان يقول قائل ان مثنى وبابه معدول عن مؤنث لمجراه على النساء
واحدتهن مؤنثة لجاز لآخر ان يقول انه معدول عن مذكر لانه جرى صفة على اجنحة وواحدها مذكر وانما جرى على النساء من حيث
كان تانيثها تانيث الجمع وهذا الضرب من التانيث ليس بحقيقى انما هو لاجل اللفظ فهو مثل النار والدار وما اشبه ذلك قد جرت هذه
الاسماء على المذكر الحقيقى قال صخر الغى منيت بان تلاقينى المنايا احاد احاد فى شهر حلال ولكنما اهلى بواد انيسه ذئاب تبغى الناس
مثنى وموحد جرى فيه مثنى وموحد على ذئاب وهو جمع مذكر وقال تميم بن ابى مقبل ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى اصعقتها
صواهله فاحاد ومثنى هنا حال من النعرات قال ابو على فى البصريات ان مثنى وثلث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء فهو كقولك
جئتك ماشيا وراكبا ومنحدرا وصاعدا تريد انك جئته فى كل حال من هذه الاحوال ولست تريد انك جئته وهذه الاحوال لك فى وقت
واحد ومن قدرها على البدل من ما قال انما جاءت الواو هنا ولم تات او لانه على طريق البدل كانه قال وثلث بدلا من مثنى ورباع بدلا
من ثلث ولو جاء باو لكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلث ولا لصاحب الثلاث رباع وقوله نحلة نصب على المصدر وقوله نفسا منصوب
على التمييز كما يقال ضقت بهذا الامر ذرعا وقررت عينا والمعنى ضاق به ذرعى وقرت به عينى ولذلك وحد النفس لما كانت مفسرة والنفس
المراد به الجنس يقع على الواحد والجمع كقول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب ولم يقل جلودها ولو قال

فان طبن لكم نفسا لجاز وقوله بالاخسرين اعمالا انما جمع لئلا يتوهم انه عمل مضاف الى الجميع كما يضاف القتل الى الجماعة اذا رضوا به ومن في قوله عن
شئ منه لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المهر كله لجاز بلا خلاف وهنيئا مريئا نصب على الحال النزول والنظم اختلف في سبب
نزولها وكيفية نظم محصولها واتصال فصولها على اقوال احدها انها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون
صداق مثلها فنهوا عن ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال مهور امثالهن وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء الى اربع عن عائشة وروى ذلك في
تفسير اصحابنا وقالوا انها متصلة بقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الاية وبه قال الحسن والجبائي والمبرد وثانيها انها نزلت في الرجل منهم
كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعني ان اتزوج كما يتزوج فلان فاذا فني ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه
فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا الاربع لئلا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة عن ابن عباس
وعكرمة وثالثها انهم كانوا يشددون في اموال اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال سبحانه كما
تخافون الا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى اربع عن سعيد بن جبير والسدي وقتادة والربيع والضحاك وفي احدى
الروايات عن ابن عباس ورابعها انهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى واكل اموالهم ايمانا وتصديقا فقال سبحانه ان تحرجتم من ذلك
فكذلك تحرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح واحدة الى اربع عن مجاهد وخامسها ما قاله الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة
في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قراباتكم مثنى وثلث ورباع وبه قال الجبائي وقال الخطاب متوجه الى ولي
اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها وسادسها ما قاله الفراء ان كنتم تتحرجون من مواكلة اليتامى فتحرجوا من الجمع بين النساء وان لا تعدلوا بينهن
ولا تتزوجوا منهن الا من تأمنون معه الجور قاله القاضي ابو عاصم القول الاول اولى واقرب الى نظم الاية ولفظها المعنى وان خفتم
ان لا تقسطوا اي ان لا تنصفوا ولا تعدلوا يا معشر اولياء اليتامى في اليتامى وذكرنا معناه والاختلاف فيه في النزول فانكحوا ما طاب لكم
اي ما حل لكم ولم يقل من طاب لكم لان معناه فانكحوا الطيب من النساء والحلال منهن اي من اللاتي يحل نكاحهن دون المحرمات التي
ذكرن في قوله حرمت عليكم امهاتكم الاية ويكون تقديره على القول الاول ان خفتم ان لا تعدلوا في نكاح اليتامى ان نكحتموهن فانكحوا
البوالغ من النساء وذلك انه اذا وقع حيف في حق البوالغ امكن طلب المخلص منه بتطييب نفوسهن والتماس تحليلهن لانهن من اهل
التحليل واسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فانه اذا وقع حيف في حقهن لم يمكن المخلص منه لانهن لسن من اهل التحليل ولا من اسقاط الحقوق
وقوله مثنى وثلاث ورباع معناه اثنتين اثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا فلا يقال ان هذا يؤدي الى جواز نكاح التسع فان اثنتين
وثلثة واربع تسعة لما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول ولان لهذا العدد
لفظا موضوعا وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى وثلث ورباع نوع من العي جل كلام سبحانه عن ذلك وتقدس وقال الصادق عليه السلم
لا يحل لماء الرجل ان يجري في اكثر من اربعة ارحام من الحرائر فان خفتم الا تعدلوا بين الاربع او الثلاث في القسم والنفقة وساير وجوه
التسوية فواحدة اي فتزوجوا واحدة او ما ملكت ايمانكم اي واقتصروا على الاماء حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن لانهن لا حق لهن في القسم
ذلك اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها ادنى ان لا تعولوا اي اقرب ان لا تميلوا وتجوروا عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومن قال معناه ادنى ان لا تكثر عيالكم فانه مع ضعفه في اللغة ففي الاية ما يبطله وهو قوله او ما ملكت ايمانكم ومعلوم ان
ما يحتاج اليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الاية يتزوج بما شاء من النساء وقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة
معناه اعطوا النساء مهورهن عطية من الله تعالى وذلك ان الله سبحانه جعل الاستمتاع مشتركا بين الزوجين ثم اوجب لها بازاء
الاستمتاع مهرا على زوجها فذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد نحلة فريضة مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين
كما يقال فلان ينتحل بكذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلف فيمن خوطب بقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة فقيل هم الازواج
امرهم الله باعطاء المهر المدخول بها كاملا ولغير المدخول بها على النصف على ما مر شرحه من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة لان ما يؤخذ
بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل هم الاولياء لان الرجل

كان اذا تزوج امة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن ابى صالح وهو المروى عن الباقر عليه السلم رواه ابو الجارود عنه والاول
اشبه بالظاهر فان طبن لكم عن شىء منه نفسا خطاب للازواج معناه فان طابت نفوسهن بهبة شىء من الصداق فكلوه اى كلوا الموهوب
لكم هنيا مريا فالهنى الطيب المساغ الذى لا ينغصه شىء والمرى المحمود العاقبة التام الهضم الذى لا يضر ولا يؤذى وفى كتاب العياشى مرفوعا
الى امير المؤمنين عم انه جاءه الرجل فقال يا امير المؤمنين انى موجع بطنى فقال الك زوجة قال نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها
من مالها ثم اشتر به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فانى سمعت الله سبحانه يقول فى كتابه العزيز ونزلنا من السماء ماء مباركا
وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجتمعت البركة
والشفاء والهنى المرى شفيت ان شاء الله تعالى قال ففعل ذلك فشفى وقد استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من
حيث ان ظاهر الامر يقتضى الوجوب وهذا خطاء لانه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج غير واجب
قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا آية القراءة
قرا نافع وابن عامر قيما بغير الف والباقون قياما بالالف الحجة قال ابو الحسن فى قيام ثلث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذى تقيمك
قال لبيد افتلك ام وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها قال ابو على ليس قول من قال ان القيم جمع قيمة بشىء انما القيم بمعنى
القيام وهو مصدر يدل عليه قوله دينا قيما والقيمة التى هى معادلة الشىء ومقاومته لا مذهب له ههنا انما المعنى دينا دائما ثابتا لا ينسخ
كما نسخت الشرايع التى قبله فيكون مصدرا وصف الدين به ولا وجه للجمع ههنا ولا للصفة لقلة مجىء هذا البناء فى الصفة الا ترى انه
انما جاء فى قولهم قوم عدى ومكان سوى وفعل فى المصادر كالشبع والرضا ونحوهما اوسع من الوصف فاذا كان كذلك حمل على الاكثر
المعنى لما امر سبحانه فيما تقدم بدفع مال الايتام اليهم عقبه بذكر من لا يجوز الدفع اليه منهم فقال ولا تؤتوا اى ولا تعطوا السفهاء
اموالكم اختلف فى المعنى بالسفهاء على اقوال احدها انهم النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وابى مالك و
قتادة ورواه ابو الجارود عن ابى جعفر ع قال ابن عباس اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة للمال وعلم ان ولده سفيه يفسد المال
لم يسع له ان يسلطها على ماله وثانيها ان المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروى عن انس بن مالك قال جاءت امراة سوداء
جرية المنطق ذات ملح الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت بابى انت وامى يا رسول الله قل فينا خيرا مرة واحدة فانه بلغنى انك تقول
فينا كل شر قال اى شر قلت لكن قالت سميتنا السفهاء قال الله سماكن السفهاء فى كتابه قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصانا ان
تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها ثم قال اما يكفى احديكن انها اذا حملت كان لها كاجر المرابط فى سبيل الله فاذا وضعت كانت
كالمتشحط بدمه فى سبيل الله فاذا ارضعت كان لها بكل جرعة كعتق رقبة من ولد اسمعيل فاذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها كعتق رقبة
من ولد اسمعيل وذلك للمومنات الخاشعات الصابرات اللاتى لا يكلفن العشر قال قالت السوداء يا له فضلا لولا ما يتبعه الشرط وثالثها انه عام
فى كل سفيه من صبى او مجنون او محجور عليه للتبذير وقريب منه ما روى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال السفيه شارب الخمر ومن جرى
مجراه وهذا القول اولى لعمومه وقوله التى جعل الله لكم قياما اى اموالكم التى جعلها الله قواما لمعاشكم ولمعادكم يقيمكم فيقومون بها قياما
وقيل معناه لا تعطى ولدك السفيه من مالك الذى جعله الله قوام عيشك فيفسد ما عليك ويضطر اليه فيصير ربا عليك ينفق مالك عليك
وارزقوهم فيها واكسوهم اختلف فى معناه فقيل يريد لا تؤتوهم اموالكم التى تملكونها ولكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن يلزمكم نفقته و
اكسوهم الاية عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امراتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك و
اطعمهم من مالك واكسهم عن السدى وابن زيد وهذا امر باحراز المال وحسن سياسته كقوله سبحانه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
ويلتفت اليه قوله ص نعم المال الصالح للرجل الصالح وقيل عنى بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم اى لا تؤتوا اليتامى اموالهم
وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاول حمل الاية على العموم فلا يجوز ان تعطى المال السفيه الذى يفسده ولا اليتيم الذى
لم يبلغ ولا الذى بلغ ولم تونس منه الرشد وانما يكون اضافة مال اليتيم الى من له القيام بامرهم ضربا من المجاز او يكون التقدير لا تؤتوا
السفهاء اموالكم التى بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روى انه سئل الصادق ع عن هذا فقيل كيف تكون اموالهم اموالنا فقال اذا

كنت

۱۸۸

ت الوارث له وقولوا لهم قولا معروفا اى تلطفوا بهم فى القول ولا تخاشنوهم وقولوا لهم ما يلينهم على الرشد والصلاح فى امر
ى والمعاد حتى اذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفى هذه الآية دلالة على وجوب الوصية اذا كانت الورثة جواز الحجر على اليتيم
ولم يونس منه الرشد لان الله تعالى منع من دفع المال الى السفهاء وفيها ايضا دلالة على وجوب الوصية اذا كانت الورثة
لان ترك الوصية والحال هذه بمنزلة اعطاء المال اهل السفه وانما سمى الناقص العقل سفيها لان السفه خفة الحلم ولذلك
اسق ايضا سفيها لانه لا وزن عند اهل اللين قوله تعالى وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
م وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
م فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا آية اللغة الايناس الابصار من قوله انس من جانب الطور نارا اخذ من العين
دها التى يبصر بها وانست به ايناس الفتنه وفى قراءة عبد الله فان احستم اى احسستم بمعنى وجدتم فحذف احدى السينين نحو قوله
تفكهون واصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك فى الافراط وربما كان فى التقصير غير انه اذا كان فى الافراط
ـنه اسروه فيسرف اسرافا فاذا كان فى التقصير يقال سرف يسرف سرفا ويقال مررت بكم فسرفتكم يراد به سهوت عنكم واخطأتكم قال
اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من ولا سرف يريد انهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئونها والبدار المبادرة واصل
ء ومنه البدر القمر لامتلائه نورا والبدرة لامتلائها بالمال والبيد ولا متلائه بالمال والبيدر لامتلائه بالطعام وعين خدرة بدرة
والحسيب الكافى من قولهم احسبنى الشئ اذا كفانى والحسيب من الرجال المرتفع النسب وقيل الحسيب بمعنى المحاسب الاعراب
ن امصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله بدارا وموضع ان يكبروا نصب بالمبادرة اى لا تاكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم قوله
ف الجار والمجرور فى موضع نصب على الحال وكفى بالله الباء مزيدة والجار والمجرور هنا فى موضع رفع بانه فاعل كفى وحسيبا منصوب
ال وتقديره وكفى بالله فى حال الحساب او على التمييز المعنى لما امر الله سبحانه بايتاء الايتام اموالهم ومنع من دفع المال الى السفهاء بين
حد الفاصل بين ما يحل من ذلك للولى وما لا يحل فقال وابتلوا اليتامى هذا خطاب لاولياء اليتامى امرهم ان يختبروا عقول
ى فى افهامهم وصلاحهم فى اديانهم واصلاحهم اموالهم وهو قول قتادة والحسن والسدى ومجاهد وابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح
و حتى يبلغوا الحد الذى يقدرون معه على المواقعة وينزلوا وليس المراد بالبلوغ الاحتلام لان فى الناس من لا يحتلم او يتاخر
مه وهو قول اكثر المفسرين ومنهم من قال اذا كمل عقله واونس منه الرشد سلم اليه ماله وهو الاولى ومنهم قال لا يسلم ماله اليه
كان عاقلا حتى يبلغ خمس عشرة سنة وقال اصحابنا حد البلوغ اما كمال خمس عشرة سنة او بلوغ النكاح او الانبات وقوله فان
م منهم رشدا معناه فان وجدتم منهم رشدا وعرفتموه واختلف فى معنى قوله رشدا فقيل عقلا ودينا وصلاحا عن قتادة والسدى
صلاحا فى الدين واصلاحا للمال عن الحسن وابن عباس وقيل عقلا عن مجاهد والشعبى قالا لا يدفع الى اليتيم ماله وان اخذ
ه وان كان شيخا حتى يونس منه رشدة العقل والاقوى ان تحمل على ان المراد به العقل والصلاح المال على ما قاله ابن عباس والحسن وهو
ى عن الباقر عليه السلم للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر فى ماله وان كان فاجرا فى دينه فكذلك اذا بلغ وهو بهذه الصفة
ب تسليم ماله اليه وفيه ايضا دلالة على جواز الحجر على العاقل اذا كان مفسدا لماله من حيث انه اذا جاز ان يمنع المال عند البلوغ اذا كان
سدا له بعد البلوغ وهو المشهور فى اخبارنا وقوله فادفعوا اليهم اموالهم خطاب لاولياء اليتيم وهو تعليق لجواز الدفع بالشرطين
وغ وايناس الرشد فلا يجوز الدفع قبلهما ولا تاكلوها اسرافا وبدارا اى بغير ما اباحه الله لكم وقيل معناه لا تاكلوا من مال
يم فوق ما تحتاجون اليه فان لولى اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت اذا كان محتاجا على وجه الاجرة على عمله فى مال اليتيم
ان كل شئ اكل من مال اليتيم فهو الاكل على وجه الاسراف والاول اليق بمذهبنا فقد روى محمد بن مسلم عن احدهما قال سالته عن
ل بيده ماشية لابن اخ له يتيم فى حجره ايخلط امرها بامر ماشيته قال ان كان يليط حياضها ويقوم بمهنتها ويرد نادتها فيشرب من
انها غير منهك الحلاب ولا مضر بالولد وقوله وبدارا ان يكبروا اى ومبادرة اكبرهم ومعناه لا تبادروا باكل مالهم كبرهم ورشدهم
ذران يبلغوا فيلزمكم تسليم المال اليهم ومن كان غنيا فليستعفف اى من كان غنيا من الاولياء فليستعفف بماله عن اكل مال اليتيم

ولا يأخذ لنفسه منه قليلا ولا كثيرا يقال استعف عن الشيء وعف عنه اذا امتنع منه وتركه ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف معناه من
كان فقيرا فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما اخذ اذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية و
الزهري وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر عليه السلم وقيل معناه يأخذ قدر ما يسد به جوعته ويستر عورته لا على جهة القرض عن
عطا بن ابي رباح وقتادة وجماعة ولم يوجبوا اجرة المثل لان اجرة المثل ربما كان اكثر من قدر الحاجة والظاهر في روايات اصحابنا ان له اجرة
المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن وسئل ابن عباس عن ولي يتيم له ابل هل له ان يصيب من البانها فقال ان كنت تلوط حوضها وتهنا
جرباها اصبت من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب والرسل اللبن والنهك المبالغة في الحلب فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم هذا خطاب ايضا لاولياء اليتيم اي اذا دفعتم الى اليتامى اموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لانفسكم بالاشهاد عليهم كيلا يقع منهم جحود وكلا
تكونوا ابعد من التهمة فانظر الى حسن نظر سبحانه لليتامى وللاوصياء وكمال لطفه بهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك نظره ولطفه
بجميع عباده في امور معاشهم ومعادهم وكفى بالله حسيبا اي شاهدا على دفع المال اليهم وكفى بعلمه وثقة وقيل محاسبا فاحذروا محاسبته
في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ قوله تعالى لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا
تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا آية اللغة الفرق بين الفرض والوجوب ان الفرض
يقتضي فارضا فرضه وليس كذلك الوجوب لانه قد يجب الشيء في نفسه من غير ايجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض
عليه سبحانه ولم يجز ان يقال لذلك فرض ومفروض واصل الفرض الثبوت فالفرض الحز في سية القوس حيث يثبت الوتر والفرض
ما اثبته على نفسك من هبة او صلة والفرض ما اعطيت من غير قرض لثبوت تمليكه واصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط
وجوبا اذا وقع وسمعت وجبته اي وقعته كالهدة ووجب الحق وجوبا اذا وقع سببه ووجب القلب وجيبا اذا خفق من فزع وقعه
الاعراب نصيبا مفروضا نصب على الحال لان المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيبا مفروضا حالا مؤكدا وقيل هو اسم في موضع المصدر
كقولك قسما واجبا وفرضا لازما ولو كان اسما لا شائبة للمصدر فيه لم يجز نحو قولك عندي حق درهما ويجوز لك عندي درهم هبة
مقبوضة النزول قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الاناث فنزلت الاية ردا لقولهم عن قتادة وابن جريج وابن زيد
وقيل كانوا لا يورثون الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحريم والمال فقال سبحانه مبينا حكم اموال الناس بعد موتهم بعد ان بين حكمها
في حال حياتهم المعنى للرجال نصيب اي حظ وسهم مما ترك الوالدان والاقربون اي من تركة الوالدين والاقربين وللنساء نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء من قرابة الميت حصة وسهم من تركته مما قل منه او كثر من قليل التركة وكثيرها نصيبا مفروضا اي
حظا فرض تعالى تسليمه الى مستحقيه وعينه لا محالة وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة لان الله تعالى فرض الميراث
للرجال وللنساء فلو جاز منع النساء من الميراث في موضع لجاز ان يجري الرجال مجراهن في المنع من الميراث وتدل ايضا على ذوي
الارحام يرثون لانهم من جملة الرجال والنساء الذين مات عنهم الاقربون على ما ذهبنا اليه وهو مذهب ابي حنيفة ايضا ويدخل في عموم
اللفظ ايضا الانبياء وغير الانبياء فدل على ان الانبياء يورثون كغيرهم كما ذهبت اليه الفرقة المحقة قوله تعالى وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا
الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا آية المعنى لما بين سبحانه فيما تقدم حال من يرث بين هنا
حال من لا يرث واختلف الناس في هذه الآية على قولين احدهما انها محكمة غير منسوخة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابراهيم
ومجاهد والشعبي والزهري والسدي وهو المروي عن الباقر ع واختاره البلخي والجبائي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء والآخر انها
منسوخة بالمواريث عن سعيد بن المسيب وابي مالك والضحاك واختلف من قال انها محكمة على قولين احدهما ان الامر فيها على
الندب قوله واذا حضر القسمة معناه اذا شهد قسمة المواريث اولوا القربى اي فقراء قرابة الميت واليتامى والمساكين اي ويتاماهم وهم
ومساكينهم يرجون اي تعودوا عليهم فارزقوهم منه اي اعطوهم من التركة قبل القسمة شيئا واختلف في المخاطبين بقوله فارزقوهم
على قولين احدهما ان المخاطب بذلك الورثة امروا بان يرزقوا المذكورين اذا كانوا لا سهم لهم في الميراث عن ابن عباس وابن الزبير والحسن
وسعيد بن جبير واكثر المفسرين والآخر ان المخاطب بذلك من حضرته الوفاة وارادة الوصية فقد امر بان يوصي لمن لا يرثه من المذكورين

بتيم من ماله عن ابن عباس ايضا وسعيد بن المسيب واختار الطبري وقولوا لهم قولا معروفا اى حسنا غير خشن واختلف فيه ايضا فقال
سعيد بن جبير امر الله الولى ان يقول للذى لا يرث من المذكورين قولا معروفا اذا كان الورثة صغارا يقول ان هذا لليتامى صغار ليس
لكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه وقيل المامور بذلك الرجل الذى يوصى فى ماله والقول المعروف ان يدعوا لهم بالرزق والغناء وما
اشبه ذلك وقيل الاية فى الوصية على ان يوصى للقرابة ويقول لغيرهم قولا معروفا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الاية على
ان الانسان قد يرزق غيره على معنى التمليك فهى حجة على المجبرة قوله تعالى وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۞ آيتان القراءة قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم سيصلون بضم الياء والباقون بفتحها
الحجة قال ابو على حجة من فتح الياء قوله اصلوها فاصبروا وجهنم يصلونها والا من هو صال الجحيم وحجة من ضم الياء انه من
اصلاه النار كقوله فسوف نصليه نارا اللغة ضعاف جمع ضعيف وضعيفة والسديد السليم من خلل الفساد واصله من سد الخلل تقول
سددته اسده سدا والسداد الصواب وفيهم سداد من عوز بالكسر وسدد السهم اذا قومه والسد الردم وصلى الرجل النار يصلاها صلى
وصلاء وصليا اى لزمها واصلاه الله اصلاء وهو صالى النار من قوم صلى وصالين ويقال صلى بالامر اذا قاسى حره وشدته قال العجاج
وصاليات للصلاء صلى وقال الفرزدق وقاتل كلب الحى عن باب اهله ليربض فيها والصلا متكنف وشاة مصلية اى مشوية والسعير
بمعنى مسعور مثل كف خضيب والسعر اشعال النار واسعرت النار فى الحطب ومنه سعر السوق لاستعارها به فى النفاق الاعراب
ظلما نصب على المصدر لان معنى قوله ياكلون اموال اليتامى يظلمونهم ويجوز ان يكون فى موضع الحال كقولهم جاءنى فلان ركضا اى راكضا
المعنى لما امر الله سبحانه بالقول المعروف نهاهم عن خلافه وامر بالاقوال السديدة والافعال الحميدة فقال وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فيه اقوال احدها انه كان الرجل اذا حضرته الوفاة قعد عنده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
فقالوا انظر لنفسك فان اولادك لا يغنون عنك من الله شيئا فيقدم جل ماله فقال وليخش الذين لو تركوا من بعدهم اولادا صغارا
خافوا عليهم الفقر وهذا نهى عن الوصية بالحيف بالورثة وامر لمن حضر الميت عند الوصية ان يأمره بان يبقى لورثته ولا يزيد وصيته على
الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو الموصى لاحب ان يحثه من حضره حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عالة اى كما تحبون ورثتكم فاحبوا
ورثة غيركم وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وثانيها ان الامر فى الاية لولى مال اليتيم يأمره
باداء الامانة فيه والقيام بحفظه كما لو خاف على مخلفيه اذا كانوا ضعافا واحب ان يفعل بهم عن ابن عباس ايضا فيكون معناه من
كان فى حجره يتيم فليفعل به ما يحب ان يفعل بذريته من بعده والى هذا المعنى يؤل ما روى عن موسى بن جعفر ع قال ان الله اوعد فى مال
اليتيم عقوبتين اما احديهما فعقوبة الدنيا قوله وليخش الذين لو تركوا الاية قال يعنى بذلك ليخش ان اخلفه فى ذريته كما صنع بهؤلاء
اليتامى وثالثها انها فى حرمان ذوى القربى ان يوصى لهم بان يقول الحاضر لا توص لاقاربك ووفر على ذريتك وقوله خافوا عليهم معناه
خافوا من جفاء يلحقهم او ظلم يصيبهم او غضاضة او ضعف فليتقوا الله اى وليتق كل واحد من هؤلاء فى يتامى غيره ان يجفوهم ويظلمهم
وليعاملهم كما يحب ان يعامل به يتاماه بعد موته وقيل فليتقوا الله فى الاضرار بالمؤمنين وليقولوا قولا سديدا اى مصيبا عدلا موافقا للشرع والحق وقيل انه يريد قولا لا خلل فيه وقيل معناه فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول
جميل وفى معنى الاية ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليأته منيته وهو يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويحب ان يأتى اليه ونهى رسول الله ص ان يوصى باكثر من الثلث وقال والثلث كثير وقال
لسعد لان تدع ورثتك اغنياء احب الى من ان تدعهم عالة يتكففون الناس ثم اوعد سبحانه آكلى مال اليتيم نار جهنم فقال ان
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اى ينفقون باموال اليتامى ويأخذونها ظلما بغير حق ولم يؤديه فقصر الحكم على الاكل الذى هو عبارة
عن المضغ والابتلاع وفائدة تخصيص الاكل بالذكر انه معظم منافع المال المقصوده فذكره سبحانه تنبيها على ما فى معناه من وجوه
الانتفاع وكذلك معنى قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تاكلوا الربوا وانما علق الوعيد بكونه ظلما لانه قد يأكله الانسان على
وجه الاستحقاق بان يأخذ منه اجرة المثل او يأكل منه بالمعروف او يأخذه قرضا على نفسه ما تقدم القول فى ذلك فلا يكون فى ذلك

عشر ع

فلا يكون ظلما فان قيل اذا اخذه قرضا او اجرة المثل فانما اكل مال نفسه ولم ياكل مال اليتيم قلنا به لا بل يكون اكلا مال اليتيم لكن على وجه لا يكون
ظلما بان التزم عوضه على نفسه او استحقه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز ان يكون انما ذكر كونه ظلما لضرب من التاكيد والبيان لان اكل مال
اليتيم لا يكون الا ظلما وشكل كثيرة واخذا اذا كان من نيته ان لا يرده اليهم وقوله انما ياكلون فى بطونهم نارا قيل فيه وجهان احدهما ان
سيلهب من افواههم واسماعهم واناقهم يوم القيامة ليعلم اهل الموقف انهم اكلة اموال اليتامى عن السدى وروى عن الباقر عليه السلم انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ناس من قبورهم يوم القيمة تاجج افواههم نارا فقيل يا رسول الله من هولاء فقرا هذه الآية
والآخر انه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث ان فعل ذلك يصير الى جهنم فيملى بالنار اجوافهم عقابا على اكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر
وان الذى اصبحتم تحلبونه دم غير ان اللون ليس باحمر يصف اقواما اخذوا الابل فى الدية يقول انما تحلبون دم العسل منها لا الالبان و
سيصلون سعيرا اى سيلزمون النار المسعرة للاحراق وانما ذكر البطون تاكيدا كما يقال نظرت بعينى وقلت بلسانى واخذت بيدى ومشيت
برجلى وروى الحلبى عن الصادق ع قال ان فى كتاب على بن ابى طالب من اكل مال اليتيم ظلما سيدركه وبال ذلك فى عقبه من بعده فى الحقيقة
وبال ذلك فى الآخرة اما فى الدنيا فان الله يقول وليخش الذين لو تركوا الآية واما فى الآخرة فان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى الآية
قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ
فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً ه آية

القراءة قرا اهل المدينة وان كانت واحدة بالرفع والباقون بالنصب وقرا حمزة والكسائى فلامه وفى امها ونحوها بكسر الهمزة والميم وحمزة
بطون امهاتكم بكسرها والكسائى بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة فى الجميع وقرا ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم يوصى بفتح الصاد
فى الموضعين وقرا حفص الاولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرها الحجة الاختيار فى واحدة النصب لان التى قبلها لها
خبر منصوب وهو قوله فان كن نساء اى وان كانت الورثة واحدة ووجه الرفع ان وقعت واحدة او وجدت واحدة اى ان حدث
حكم واحدة لان المراد حكمها لا ذاتها ووجه قراءة حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة ان الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخفيفهم لها فاتبعوها
ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيها من وجه واحد ويقوى ذلك انها تقارب الهاء وقد فعلوا ذلك بالهاء فى نحو عليه وبه
ومن قرا يوصى فلان ذكر الميت قد تقدم فى قوله فان كان له اخوة فلامه السدس ومن قرا يوصى فانما يحسنه انه ليس بميت معين
انما هو شايع فى الجميع فهو فى المعنى يؤول الى يوصى الاعراب للذكر مثل حظ الانثيين جملة من مبتدا وخبر يفسر قوله يوصيكم الله
انما لم يقل للذكر مثل حظ الانثيين بنصب لام مثل فيعدى قوله يوصيكم اليه لانه فى تقدير القول فى حكاية الجملة بعده فكانه قال قال الله
تعالى فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله الثلث والسدس والربع ونحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال ثلث وسدس
وربع وثمن قال الزجاج ومن زعم ان الاصل التخفيف فيها فثقل فخطا لان الكلام موضوع على الايجاز لا على التثقيل وانما قيل للاب
والام ابوان تغليبا للفظ الاب ولا يلزم ان يقال فى ابن وابنة ابنان لانه يوهم فان لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوب
على التاكيد والحال من قوله لابويه ولهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضا ففريضة مؤكدة لقوله يوصيكم الله ويجوز ان يكون نصبا على المصدر
من يوصيكم الله لان معناه يفرض عليكم فريضة النزول روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انه قال مرضت فعادنى
رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر وهما يمشيان فاغمى على فدعا بماء فتوضا ثم قال صبه على فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع
فى مالى فسكت رسول الله ص فنزلت فى آية المواريث وقيل نزلت فى عبد الرحمن اخى حسان الشاعر وذلك انه مات وترك امراة وخمس
اخوات فجاءت الورثة فاخذوا ماله ولم يعطوا امراته شيئا فشكت ذلك الى رسول الله ص فانزل الله سبحانه اية المواريث عن السدى و
قيل كانت المواريث للاولاد وان كانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك وانزل اية المواريث فقال رسول الله ص ان الله
تعالى لم يرض لملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذى حق حقه عن ابن عباس المعنى ثم بين سبحانه ما اجمله
فيما قيل من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الآية بما فصله فى هذه الآية فقال يوصيكم الله اى يامركم ويفرض عليكم لان الوصية

نصف الحزب

منه

منه سبحانه امر وفرض يدل على ذلك قوله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به وهذا من الفرض المحكم علينا فى اولادكم اى
اى فى ميراث اولادكم اى فى توريث اولادكم وقيل فى توريث اولادكم وقيل فى امور اولادكم اذا متم ثم بين ما اوصى به فقال للذكر مثل حظ الانثيين
اى للابن من الميراث مثل نصيب البنتين ثم ذكر نصيب الاناث من الاولاد فقال فان كن نساء فوق اثنتين اى فان كانت المتروكات والاولاد
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك من الميراث ظاهر الكلام يقتضى ان البنتين لا يستحقان الثلثين لكن الامة اجمعت على ان حكم البنتين
حكم من زاد عليهما من البنات وذكر فى الظاهر وجوه احدها ان فى الاية بيان حكم البنتين فما فوقهما لان معناه فان كن نساء اثنتين
فما فوقهما فلهن ثلثا ما ترك الا انه قد تقدم ذكر الفوق على الاثنتين كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لا تسافر المرأة فوق
ثلثة ايام الا ومعها زوجها او ذو محرم لها ومعناه لا تسافر سفرا ثلثة ايام فما فوقها وثانيها ما قاله ابو العباس المبرد فى الآية دلالة
على ان للبنتين الثلثين لانه اذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول العدد ذكرا وانثى وللذكر الثلثان وللانثى الثلث علم من ذلك ان
للبنتين الثلثين ثم اعلم الله تعالى بان ما فوق البنتين لهن الثلثان وثالثها ان البنتين اعطيتا الثلثين بدليل لا فرض لهما سمى
والدليل قوله سبحانه يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فقد صار للاخت
النصف كما ان للبنت النصف فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فاعطيت الاختان الثلثين كما ان اعطيت البنات الثلثين ويدل
عليه ايضا الاجماع على ان الحكم البنتين حكم البنات فى استحقاق الثلثين الا ما روى عن ابن عباس ان للبنتين النصف وان
الثلثين فرض الثلث من البنات وحكى النظام فى كتاب النكت عن ابن عباس انه قال للبنتين نصف وقيراط لان للواحدة النصف
وللثلاث الثلثين فينبغى ان يكون للبنتين ما بينهما وان كانت واحدة اى ان كانت المولودة او المتروكة واحدة فلها النصف اى
نصف ما ترك الميت ثم ذكر ميراث الوالدين فقال ولابويه يعنى الابوين الاب والام والهاء الذى اضيف اليه الابوان كناية عن غير
مذكور تقديره ولابوى الميت لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فللاب السدس مع الولد وكذلك الام لها السدس
معه ذكرا كان او انثى واحدا كان او اكثر ثم ان كان الولد ذكرا كان الباقى له وان كانوا ذكورا فالباقى لهم بالسوية وان كانوا ذكورا
واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتا فلها النصف بالتسمية ولاحد الابوين السدس اولهما السدسان والباقى عند
اصحابنا يرد على البنت وعلى احد الابوين او عليهما على قدر سهامهم بدلالة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
تعالى وقد ثبت ان قرابة الوالدين وقرابة الولد متساوية لان الولد يتقرب الى الميت بنفسه كما ان الوالدين يتقربان اليه بانفسهما
وولد الولد يقوم مقام الولد للصلب مع الوالدين كل منهما يقوم مقام من يتقرب به وفى هذه المسائل خلاف بين الفقهاء فان لم يكن
له يعنى للميت ولد اى ابن ولا بنت ولا اولادهما لان اسم الولد يعم الجميع وورثه ابواه فلامه الثلث فظاهر هذا يدل على ان الباقى
للاب وفيه اجماع فان كان فى الفريضة زوج فان له النصف وللام الثلث والباقى للاب وهو مذهب ابن عباس وائمتنا عليهم السلم
ومن قال فى هذه المسئلة ان للام ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر وكذلك ان كان بدل الزوج زوجة فلها الربع وللام الثلث
والباقى للاب وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس قال اصحابنا انما يكون لها السدس اذا كان هناك اب ويدل عليه
ما تقدم من قوله وورثه ابواه فان هذه الجملة معطوفة على قوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث وتقديره فان كان
له اخوة وورثه ابواه فلامه السدس وقال بعض اصحابنا ان لها السدس مع وجود الاخوة وان لم يكن هناك اب وبه قال جميع
الفقهاء واتفقوا على ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وقد روى عن ابن عباس انه قال لا يحجب الام من الثلث
الى السدس باقل من ثلثة من الاخوة والاخوات كما تقتضيه ظاهر الآية واصحابنا يقولون لا يحجب الام عن الثلث الى السدس
الا باخوين او اخ واختين او اربع اخوات من قبل الاب والام او من قبل الاب خاصة دون الام وفى ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا
والعرب تسمى الاثنين بلفظ الجمع فى كثير من كلامهم حكى سيبويه انهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلى راحلتيهما وقال سبحانه
وكنا لحكمهم شاهدين يعنى حكم داود وسليمن وقال قتادة انما يحجب الاخوة الام مع انهم لا يرثون من المال شيئا معونة للاب لان
الاب يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الام وهذا يدل على انه ذهب الى ان الاخوة للام لا يحجبون على ما ذهب اليه اصحابنا لان الاب لا يلزمه

نفقتهم بالخلاف من بعد وصية يوصى بها او دين اى تقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الدين وانفاذ الوصية ولا خلاف فى ان الدين مقدم
على الوصية والميراث وقيل ان الموصى له شريك الوارث له الثلث ولهم الثلثان وقد روى عن امير المومنين عليه السلام انه قال انكم تقرؤن فى هذه
الاية الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وآله قضى بالدين قبل الوصية والوجه فى تقديم الدين على الوصية فى الآية ان لفظه او انما هى لاحد الشيئين
او الاشياء ولا يوجب الترتيب فكانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين اى
جالس احدهما مفردا او مضموما الى الاخر اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ذكر فيه وجوه احدها ان معناه لا تدرون اى هؤلاء انفع لكم وابنا وكرم
فى الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق وان الله سبحانه قد فرض الفرايض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد وثانيها ان معناه لا تدرون ايهم
انتم اسعد فى الدين والدنيا والله يعلمه فاقتسموا على ما بينه من يعلم المصلحة فيه عن الحسن وثالثها ان معناه لا تدرون ان نفعكم بتربية
آبائكم لكم اكثر ام نفع اباكم بخدمتكم اياه وانفاقكم عليه عند كبره اكثر عن الجبائى ورابعها ان المعنى اطوعكم لله عز وجل من الابناء فالاباء
ارفعكم درجة يوم القيمة لان الله تعالى يشفع المومنين بعضهم فى بعض فان كان الوالد ارفع درجة فى الجنة من ولده رفع الله اليه ولده
فى درجته لتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله والديه الى درجته لتقر بذلك اعينهم عن ابن عباس وسادسها ان
المراد لا تدرون اى الوارثين والموروثين اسرع موتا فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه عن ابى مسلم فريضة من الله اى فرض
الله ذلك فريضة او كما ذكرناه فى الاعراب ان الله كان عليما حكيما اى لم يزل عليما بمصالحكم حكيما فيما يحكم به عليكم من هذه الاموال وغيرها قال
الزجاج كان هنا لثلثة اقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله تعالى كان كذلك اى لم يزل
على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما يقدر تدبيره منها وقال بعضهم الخبر عن الله سبحانه فى هذه الاشياء بالمضى
كالخبر بالاستقبال والحال لان الاشياء عند الله فى حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كاين قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما
السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم
آية القراءة روى فى الشواذ قراءة الحسن يورث كلالة بكسر الراء وقراءة عيسى بن عمر الثقفى يورث وقراءة الحسن ايضا غير مضار وصية مضاف
الحجة كلاهما منقول من ورث فهذا من اورث وذاك من ورث وفى كلتى القراءتين المفعولان محذوفان فكانه قال يورث وارثه ماله
وقد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكميت باى كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا على وتحسب فلم يعد تحسب واما قوله غير مضار وصية
فيعنى به غير مضار من جهة الوصية او عند الوصية كقول طرفة بضة المتجرد اى بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم مسئلة اى
شجاع عند الحرب وكريم عند المسئلة اللغة اصل الكلالة الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس ومنه الكل لاحاطته بالعدد فالكلالة
تحيط باصل النسب الذى هو الولد والوالد وقال ابو مسلم اصلها من كل اى اعيا فالكلالة تناول الميراث من بعد على كلال واعياء قال الحسين
بن على المغربى اصله عندى ما تركه الانسان وراء ظهره ماخوذ من الكل وهو الظهر تقول العرب ولانى فلان كله على وبنت اظله اى ولانى
ظهره والعرب تخص بهذا الاسم عن جملة النسب والوراثة قال عامر بن الطفيل وانى وان كنت ابن فارس عامر وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن كلالة ابى الله ان اسمو بام ولا اب ويروى عن وراثة وقال زيادة بن زيد العذرى ولم ارث المجد التليد كلالة ولم يأن
منى فترة العقب ويقال رجل كلالة وقوم كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر الاعراب تنصب كلالة على انه مصدر وضع موضع
الحال ويكون كان التامة ويورث صفة رجل وتقديره ان وجد رجل موروث متكلل النسب والعامل فى الحال يورث وذو الحال الضمير فى
يورث ويجوز ان ينتصب كلالة على انه خبر كان على ان يكون كان ناقصة قال الزجاج من قرأ يورث بكسر الراء فكلالة مفعول ومن قرأ
يورث فكلالة منصوب على الحال وصية نصب على المصدر اى يوصيكم الله بذلك وصية المعنى ثم خاطب الله سبحانه الازواج فقال ولكم
ايها الازواج نصف ما ترك ازواجكم اى زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد لا ذكر ولا انثى ولا ولد ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى من تراثهن
من بعد وصية يوصين بها او دين قد مر تفسيره ولهن اى ولازواجكم الربع مما تركتم من الميراث ان لم يكن لكم ولد واحدة كانت الزوجة او

اثنتين

او اثنين او ثلثا او اربعا لم يكن لهن اكثر من ذلك فان كان لكم ولد ذكرا او انثى او لد له ولد فلهن الثمن مما تركتم من الميراث واحدة الزوجة كانت
او اكثر من ذلك بعد وصية توصون بها ايها الازواج او دين وقد مر بيانه معنى بيان ميراث الازواج ثم ذكر ميراث ولد الام فقال وان كان رجل
يورث كلالة اختلف في معنى الكلالة فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابو بكر وعمر وابن عباس في احدى الروايتين عنه وقتادة
الزهري وابن زيد هو من عدا الوالد والولد وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه من عدا الولد وقال الضحاك والسدي انه اسم للميت
الذي يورث عنه والمروي عن ائمتنا عم ان الكلالة الاخوة والاخوات والمذكور في هذه الآية من قبل الام منهم والمذكور في آخر السورة من كان
منهم من قبل الاب والام او من قبل الاب او امرأة هو عطف على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل كلالة يورث ماله او امرأة كلالة تورث
مالها على قول من قال ان الميت نفسه يسمى كلالة ومن قال انه الحي الوارث فتقديره وان كان رجل يورث في حال تكلل نسبه به او امرأة
تورث كذلك وهو قول ابن عمر واهل الكوفة ويؤيده ما روي عن جابر انه قال اتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وانا مريض فقلت
وكيف الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت اية الفرايض فالكلالة في النسب من احاط بالميت وتكلله من الاخوة والاخوات والولد والوالد
ليسا بكلالة لانهما اصل النسب الذي ينتهي الى الميت ومن سواهما خارج عنهما وانما يشتمل عليهما بالانساب من غير جهة الولادة فعلى
يكون الكلالة كالاكليل يشتمل على الراس ويحيط به وليس من اصله فان الوالد والولد طرفان للرجل فاذا مات الرجل ولم يخلفهما
فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلالة وقوله وله اخ او اخت يعني الاخ والاخت من الام فلكل واحد منهما السدس فان
كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث جعل الذكر والانثى ههنا سواء ولا خلاف بين الامة ان الاخوة والاخوات من قبل الام متساوون
في الميراث من بعد وصية يوصى بها او دين مر بيانه غير مضار وصية من الله منع الله سبحانه من الضرار في الوصية اي غير موص وصية
تضر بالورثة وقيل اراد غير مضار في الميراث كره سبحانه الضرار في الحيوة وبعد الممات عن قتادة وتقديره لا ايضا ر بعد الورثة بعضا
وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار في الوصية راجع الى الميراث وهو ان يضر في وصية بماله او بعضه
لاجنبي او يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن وارثه او يقر باستيفاء دين له في مرضه او يبيع ماله في مرضه واستيفاء ثمنه
لئلا يصل الى وارثه وجاء في الحديث ان الضرار في الوصية من الكباير والله عليم بمصالح عباده يحكم بما يوجب الحكمة في قسمة الميراث
والوصايا وغيرها حليم لا يعاجل العصاة بالعقوبة ويمن عليهم بالانظار والامهال وفي هاتين الآيتين دلالة على تقدير سهام اصحاب
فرايض المواريث العصاة ونحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن اهل البيت عم دون غيرهم فان الاختلاف في مسايل المواريث
بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن اراده وجده في مظانه اعلم ان الارث يستحق بامرين نسب وسبب فالسبب الزوجية و
الولاء فالميراث بالزوجية يثبت مع كل نسب والميراث بالولاء لا يثبت الا مع فقد كل نسب واما النسب فعلى ضربين احدهما ابو الميت
ومن يتقرب بهما والاخر ولده وولد ولده وان سفل والمانع من الارث بعد وجود سبب وجوبه ثلثة الكفر والرق وقتل الوارث من
كان يرثه لولا القتل ولا يمنع الابوين والولد والزوج والزوجات من اصل الارث مانع ثم هم على ثلثة احزب الاول الولد يمنع من
يتقرب به ومن يجري مجراه من ولد اخوته واخواته من اصل الارث ويمنع من يتقرب بالابوين ويمنع الابوين عما زاد على السدس الا على
سبيل الرد مع البنت او البنات والابوان يمنعان من يتقرب بهما او باحدهما ولا يتعدى منعهما الى غير ذلك والزوج والزوجة لاحظ لهما
في المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام الولد الادنى عند فقده في الارث والمنع ويترتبون الاقرب فالاقرب وهذه سبيل ولد
الاخوة والاخوات وان سفل عند فقد الاخوة والاخوات مع الجدة والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقرابة فالفرض
ما سماه الله تعم ولا يجتمع في ذلك الا من كانت قرابته متساوية للحي الميت مثل البنت فتى او البنات مع الابوين او احدهما لان كل واحد
منهم يتقرب بنفسه الى الميت فمتى انفرد احدهم بالميراث اخذ المال كله بعضه بالفرض والباقي بالقرابة وعند الاجتماع ياخذ كل منهم ما سمي له
والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فان نقصت التركة عن سهامهم لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت او البنات
دون الابوين او احدهما ودون الزوجة الزوج ويصح اجتماع الكلالتين معا لتساوي قرابتيهما واذا فضلت التركة عن سهامهم يرد الفاضل
على كلالة الاب والام او الاب دون كلالة الام وكذلك اذا نقصت عن سهامهم لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا عليهم

دون كلالة الام فان كلالة الام والزوج والزوجة لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلى هذا اذا اجتمع كلالة الاب مع كلالة الام كان
لكلالة الام للواحد السدس والاثنين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقى لكلالة الاب ولا يرث كلالة الاب مع كلالة الاب ذكورا
كانوا او اناثا فاما من يرث بالقرابة دون الفرض فاقواهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد ويأخذ نصيب من يتقرب به ذكرا
كان او انثى والبطون الاول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الاب يأخذ جميع المال اذا انفرد ثم من يتقرب به اما ولده او والده ومن يتقرب بهما من عم
او عمة فالجد اب الاب مع الاخ الذى هو ولده فى درجة وكذلك الجدة مع الاخت فهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان
يمنع له من سبب واحد وولد الاخوة والاخوات يقومون مقام ابائهم وامهاتهم فى مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب
مع الاب وكذلك الجد والجدة وان عليا يقاسمان الاخوة والاخوات واولادهم وان نزلوا على حد واحد وان من يرث بالقرابة ممن يتقرب بالام
فهم الجد والجدة من قبلها او من يتقرب بها من الخال والخالة فان اولادهم يرثون بالفرض دون القرابة فالجد والجدة من قبلها يقاسمان
الاخوة والاخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الاب مع قرابة الام مع استوائهم فى الدرج كالقرابة الام الثلث بينهم بالسوية والباقى
لقرابة الاب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعد احدى القرابتين بدرجة سقطت مع التى هى اقرب سواء كان الاقرب من قبل الاب او من قبل
الام الا فى مسئلة واحدة وهى ابن عم لاب وام فان المال لابن العم وهذه اصول مسايل الفرايض ولتفريعها شرح طويل دونه المشايخ فى كتب الفقه
قوله تعالى تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ آيتان القراءة قرأ نافع وابن عامر
ندخله بالنون فى الموضعين والباقون بالياء الحجة فمن قرأ بالياء فلان ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرأ بالنون عدل عن لفظ
الغيبة الى الاخبار عن الله سبحانه بنون الكبرياء ويقوى ذلك قوله بل الله مولكم ثم قال سنلقى اللغة الحد الحاجز بين الشيئين واصله المنع و
الفصل وحدود الدار تفصلها من غيرها والفوز والفلاح والنجاح نظاير الاعراب خالدين فيها نصب على الحال قال الزجاج والتقدير يدخلهم
مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها تقول مررت برجل معه باز صايدا به غدا اى مقدرا الصيد به غدا وقوله خالدا فيها منصوب على احد
وجهين احدهما الحال من الهاء فى يدخله نارا والتقدير على ما ذكرناه والاخر ان يكون صفة لقوله نارا وهذا كما تقول زيد مررت بدار ساكن فيها
فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لان اسم الفاعل اذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت تسكن فيها وجب
ابرازه فتقول زيد مررت بدار ساكن هو فيها المعنى فرض الله سبحانه فرايض المواريث عقبها بذكر الوعد فى الايثار لها والوعيد على التعدى
لحدودها فقال تلك حدود الله اى هذه التى بينت فى امر الفرايض وامر اليتامى حدود الله اى الامكنة التى لا ينبغى ان تتجاوز عن الزجاج
واختلف فى معنى الحدود على اقوال احدها تلك شروط الله عن السدى وثانيها تلك طاعة الله عن ابن عباس وثالثها تلك تفصيلات الله
لفرايضه وهو الاقوى فيكون المراد هذه القسمة التى قسمها الله تعالى لكم والفرايض التى فرضها الله لاصحابكم من اموالكم فصول بين طاعة الله
ومعصيته فان معنى حدود الله حدود طاعة الله وانما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين ومن يطع الله ورسوله فيما امر به من الاحكام
وقيل فيما فرض له من فرايض المواريث يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها وابنيتها الانهار اى ماء الانهار فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الموضعين خالدين فيها اى دايمين فيها وذلك الفوز العظيم اى الفلاح العظيم وصفه بالعظيم
ولم يبين بالاضافة الى ما والمراد انه عظيم بالاضافة الى منفعة الجنازة فى السركر من حيث كان امر الله بها حقيرا بالاضافة الى امر الاخرة
وانما حض الله سبحانه الطاعة فى قسم الميراث بالوعد مع انه واجب فى كل طاعة اذا فعلت لوجوبها او لوجه وجوبها ليبين سبحانه عن
عظم موقع هذه الطاعة فى الترغيب فيها والترهيب عن تجاوزها وتعديها ومن يعص الله ورسوله فيما بينه من الفرايض وغيرها
ويتعد حدوده اى يتجاوز ما حد له من الطاعات يدخله نارا خالدا اى دايما فيها وله عذاب مهين سماه مهينا لان الله تعالى يفعله على وجه
الاهانة كما انه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الآية على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة يخلد فى النار ومعاقب
فيها لا محالة فقوله بعيد لان قوله تعالى ومن يتعد حدوده يدل على ان المراد به من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولان
صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج من عموم الآية وان كان فاعلا للمعصية ومتعديا حدا من حدود الله واذا جاز لغيره ان يخرج من عمومها

من يشفع له النبي صلى الله عليه وآله او يتفضل الله عليه بالعفو بدليل آخر وايضا فان التائب لا بد من اخراجه من عموم الآية لقيام الدليل
على وجوب قبول التوبة فكذلك يجب اخراج من يتفضل الله تعالى باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعفو فان
جعلوا الآية دلالة على ان الله سبحانه لا يختار العفو جاز لغيرهم ان يجعلها دلالة على ان العاصي لا يختار التوبة على ان المفسرين من حمل الآية
على من تعدى حدود الله وعصاه مستحلا لذلك ومن كان كذلك لا يكون الا كافرا **قوله تعالى وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ
فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا
وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** آيتان **القراءة** قرا ابن كثير واللذان
يأتيانها بتشديد النون وكذلك هذان وفذانك وهاتين وقرأ الباقون بتخفيف ذلك كله الا ابا عمرو فانه شدد فذانك وحدها **الحجة**
قال ابو علي القول في تشديد نون التثنية انه عوض من الحذف الذي لحق الكلمة الا ترى ان اذا قد حذف لامها وقد حذف الياء من اللذان
في التثنية اتفق اللذان وهذان في التعويض كما اتفقا في فتح الاوائل منهما في التحقير مع ضمها في غيرها وذلك نحو اللذيا واللتيا وذيا وتيا **اللغة**
اللاتي جمع التي وكذلك اللواتي قال من اللواتي والتي واللاتي زعمن اني كبرت لداتي وقد تحذف التاء من اللاتي فيقال اللاتي قال من
اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا **المعنى** لما بين سبحانه حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث بين
حكم الحدود فيهن اذا ارتكبن الحرام فقال واللاتي يأتين الفاحشة اي يفعلن الزنا من نسائكم الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم اي من المسلمين يخاطب الحكام والائمة ويأمرهم بطلب اربعة من الشهود في ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب
للازواج في نسائهم اي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم وقال ابو مسلم المراد بالفاحشة في الآية ان تخلو المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة
عنهن وهذا القول مخالف للاجماع ولما عليه المفسرون فانهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا فان شهدوا يعني الاربعة فامسكوهن
اي فاحبسوهن في البيوت حتى يتوفاهن اي يدركهن الموت فيمتن في البيوت وكان في مبدأ الاسلام اذا فجرت المرأة وقام عليها اربعة
شهود حبست في البيت ابدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين او يجعل الله لهن سبيلا قالوا لما نزل قوله تعالى
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي صلى الله عليه وآله خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب
عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وقال بعض اصحابنا ان من وجب عليه الرجم يجلد اولا ثم يرجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعة
من الفقهاء وقال اكثر اصحابنا ان ذلك مختص بالشيخ والشيخة فاما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحكم هذه الآية منسوخ عند جمهور المفسرين
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وقال بعضهم انه غير منسوخ لان الحبس لم يكن مؤبدا بل كان مستندا الى غاية فلا يكون
بيان الغاية نسخا لما لو قال افعلوا كذا الى راس الشهر وقد فرق بين الموضعين فان الحكم بمجيء راس الشهر لا يحتاج الى بيان صاحب الشرع
بخلاف ما في الآية وقوله واللذان يأتيانها منكم اي يأتيان الفاحشة وفيه ثلثة اقوال احدها انهما الرجل والمرأة عن الحسن وعطا
وثانيها انهما البكران من الرجال والنساء عن السدي وابن زيد وثالثها انهما الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لانه لو كان
كذلك لما كان للتثنية معنى لان الوعد والوعيد انما يأتي بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم او بلفظ الواحد للدلالة على الجنس فاما
التثنية فلا فائدة فيها وقال ابو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما والفاحشة في الآية الاولى عنده السحق وفي الآية الثانية
اللواط فحكم الآيتين عنده ثابت غير منسوخ والى هذا التأويل ذهب اهل العراق فلا حد عندهم في اللواطة والسحق وهذا بعيد لان الذي
عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة في الآية الزنا وان الحكم في الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور ذهب اليه الحسن ومجاهد وقتادة
والسدي والضحاك وغيرهم واليه ذهب البلخي والجبائي والطبري وقال بعضهم نسخها الحدود بالرجم او الجلد وقوله فآذوهما قيل في معناه قولان
احدهما هو التعيير باللسان والضرب بالنعال عن ابن عباس والآخر انه التعيير والتوبيخ باللسان عن قتادة والسدي ومجاهد واختلف في
الاذى والحبس كيف فقال الحسن كان الاذى اولا والآية الاخيرة نزلت من قبل ثم امرت ان توضع في التلاوة من بعد فكان الاول الاذى
ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقال السدي كان الحبس في الثيبين والاذى في البكرين وقيل كان الحبس للنساء والاذى للرجال وقال الفراء
ان الآية الاخيرة نسخت الآية الاولى وقوله فان تابا اي رجعا عن الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فاعرضوا عنهما اي اصفحوا عنهما وكفوا عن

اذا هما ان الله كان توابا رحيما يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم قال الجبائى فى الاية دلالة على نسخ القرآن بالسنة لانها نسخت بالرجم او الجلد والرجم والجلد
وقد ثبتا بالسنة ومن لم يجوز نسخ القرآن بالسنة يقول ان هذه الآية نسخت بالجلد فى الزنا واضيف اليه الرجم زيادة لا نسخا واما الاذى المذكور
فى الآية فغير منسوخ فان الزانى يؤذى ويعنف على فعله ويذم لكنه لم يقتصر عليه بل زيد فيه بان اضيف الجلد او الرجم اليه قوله تعالى
وانما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما آيتان اللغة
اصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود الى مثله اعتدنا قيل اصله اعددنا فالتاء بدل من الدال وقيل هو
افعلنا من العتاد وهو العدة قال عدى بن الرقاع مائية اسلاف الاعزة عوة فرادا وجمع للحروب عتادها يقال للفرس المعد للحرب عتد وعتد
الاعراب موضع الذين يموتون جر بكونه عطفا على قوله للذين يعملون السوء تقديره ولا الذين يموتون المعنى لما وصف سبحانه نفسه بالتواب
الرحيم بين عقيبه شرايط التوبة فقال انما التوبة ولفظة انما تتضمن النفى والاثبات فمعناه لا توبة مقبولة على الله اى عند الله الا الذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب واختلف فى معنى قوله بجهالة على وجوه احدها ان كل معصية يفعلها العبد جهالة وان كانت على سبيل العمد
لانه يدعو اليها الجهل ويزينها للعبد عن ابن عباس وعطا ومجاهد وقتادة وهو المروى عن ابى عبد الله عم فانه قال كل ذنب عمله العبد وان كان
عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه فى معصية ربه فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم فى معصية الله تعالى وثانيها ان معنى قوله بجهالة انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشئ
ضرورة عن الفراء وثالثها ان معناه انهم يجهلون انها ذنوب ومعاص فيفعلونها اما بتاويل يخطئون فيه واما بان يفرطوا فى الاستدلال
على قبحها عن الجبائى وضعف الرمانى هذا القول لانه بخلاف ما اجمع عليه المفسرون ولانه يوجب ان لا يكون لمن علم انها ذنوب توبة
لان قوله انما التوبة يفيد انها لهؤلاء دون غيرهم وقال ابو العالية وقتادة اجمعت الصحابة على ان كل ذنب اصابه العبد فهو بجهالة وقال
الزجاج انما قال بجهالة لانهم فى اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال فهو فى الاختيار ومعنى يتوبون من قريب اى
يتوبون قبل الموت لان ما بين الانسان وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت وقال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم
يعاين الموت وقال السدى هو ما دام فى الصحة قبل المرض والموت وروى عن امير المؤمنين عم انه قيل له فان عاد وتاب مرارا قال يغفر الله له
قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور وفى كتاب من لا يحضره الفقيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى آخر خطبة
خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال وان الشهر لكثير من تاب
قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال وان يوما لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وان الساعة لكثيرة من تاب وقد بلغت
نفسه هذه واهوى بيده الى حلقه تاب الله عليه وروى الثعلبى باسناده عن عبادة بن الصلت عن النبى صلى الله عليه وآله هذا
الخبر بعينه الا انه قال فى آخره وان الساعة لكثيرة من تاب قبل ان يغرغر بها تاب الله عليه وروى ايضا باسناده عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لما هبط ابليس قال وعزتك وجلالك وعظمتك لا افارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده فقال
الله سبحانه وعزتى وعظمتى لا احجب التوبة عن عبدى حتى يغرغر بها فاولئك يتوب الله عليهم اى يقبل توبتهم وكان الله عليما بمصالح
العباد حكيما فيما يعاملهم به وليست التوبة المقبولة التى ينتفع بها صاحبها للذين يعملون السيئات اى المعاصى ويصرون عليها ويسوفون
حتى اذا حضر احدهم الموت اى اسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطع الرجاء عن الحيوة وهو حال اليأس التى لا يعلمها احد غير
المحتضر قال انى تبت الآن اى فليس عند ذلك اليأس توبة واجمع اهل التأويل على ان هذه قد تناولت عصاة اهل الاسلام الا ما يحكى
عن الربيع انه قال انها فى المنافقين وهذا لا يصح لان المنافقين من جملة الكفار وقد بين الكفار بقوله ولا الذين يموتون وهم كفار
ومعناه وليست التوبة ايضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون على بعد الموت اولئك اعتدنا اى هيأنا لهم عذابا اليما اى موجعا
وانما لم يقبل الله عز اسمه التوبة فى حال اليأس واليأس من الحيوة لانه يكون العبد ملجأ الى فعل الحسنات وترك القبايح فيكون خارجا
من حد التكليف اذ لا يستحق على فعله المدح ولا الذم واذا زال عنه التكليف لم يصح منه التوبة ولهذا لم يكن اهل الآخرة مكلفين

ولا يقبل توبتهم

ولا تقبل توبتهم ومن استدل بظاهر قوله سبحانه اعتدنا لهم عذابا اليما على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبي الكباير من المؤمنين قبل التوبة
فالانفصال عن استدلاله ان يقال ان معنى اعداد العذاب لهم انما هو خلق النار التي هي مصيرهم فالظاهر يقتضي استحقاقهم لدخولها وليس
في الآية ان الله تعالى يفعل بهم ما يستحقونه لا محالة ويحتمل ايضا ان يكون اولئك اشارة الى الذين يموتون وهم كفار لانه اقرب اليه منهم
من قوله الذين يعملون السيآت ويحتمل ايضا ان يكون التقدير اعتدنا لهم العذاب اى عاملناهم بالعدل ولم نشأ العفو عنهم وتكون الفايدة
فيه اعلامهم ما يستحقونه من العقاب وانه لا يؤمنون ان يفعل بهم ذلك فان قوله سبحانه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا يتناول المشية
فيه الا المؤمن من اهل الكباير الذين يموتون قبل التوبة لان المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التايب اذ لا خلاف فى ان الله
تعالى لا يعذب اهل الطاعة من المؤمنين ولا التائبين من المعصية والكافر خارج ايضا عن المشية لاخبار الله عز وجل انه لا يغفر الكفر
فلم يبق تحت المشية الا من مات مؤمنا موحدا وقد ارتكب كبيرة لم يتب منها وقال الربيع ان الآية منسوخة بقوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء لانه حكم من الله تعالى والنسخ جايز فى الاحكام كما جاز فى الاوامر والنواهي وانما يمتنع النسخ فى الاخبار بان يقول كان كذا وكذا ثم
يقول لم يكن ويقول فى المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكون وهذا لا يصح لان قوله اعتدنا وارد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز فى ساير الاخبار
قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ
يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا آية القراءة
قرا حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفى التوبة والاحقاف وافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب فى الاحقاف وقرأ الباقون بفتح الكاف
فى جميع ذلك وقرئ بفاحشة مبينة بفتح اليآء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروى فى الشواذ عن ابن عباس مبينة
مكسورة اليآء خفيفة الحجة الكره لغتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر والدف والدف وقال سيبويه بين الشئ وابنته وابان
الشئ وابنته واستبان الشئ واستبنته وتبين وتبينته ومن ابيات الكتاب سل الهموم بكل معط راسه ناج مخالط صهبة متعيس مغتال
لعيله تبين حقه فى منكب زين المطى عزيدس وفى نواد رابى زيد سنهم ذو اللب حتى يراهم بسيماهم لحاهم واصلعها ومن كلامهم قد تبين
الصبح لذى عينين اللغة العضل التضييق بالمنع من التزويج واصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة ببيضها اذا عسرت عليها وعضل
الفضا بالجيش الكثير اذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال الذى لا يبرأ والفاحشة مصدر كالعاقبة والعافية قال ابن عبيدة الفاحشة
الشنار والفحش القبيح والمعاشرة المصاحبة وهو من العشرة الاعراب ان ترثوا النساء فى موضع رفع بانه فاعل يحل وكرها مصدر وضع
موضع الحال من النساء والعامل فى الحال ترثوا وقال فى من والاولى ان يكون ولا تعضلوهن نصبا عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفى ولا تعضلوهن
يجوز ان يكون نصبا بكونه معطوفا على ترثوا وتقديره لا يحل لكم ان ترثوا ولا ان تعضلوا ويجوز ان يكون مجزوما على النهى النزول
قيل ان ابا قيس بن الاسلت لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن القى ابنه محصن بن ابى قيس ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم
يقربها ولم ينفق عليها فجاءت الى النبى صلى الله عليه وآله فقالت يا نبى الله لا انا ورثت زوجى ولا انا تركت فانكح فنزلت هذه الآية عن
مقاتل وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وقيل كان اهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها او وليه فورث امراته كما يرث مالها
والقى عليها ثوبا فان شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى
ذلك ابو الجارود عن ابى جعفر عليه السلم وقيل نزلت فى الرجل تكون تحته المراة يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليه ويضارها لتفتدى
بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس وقيل نزلت فى الرجل يحبس المراة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهرى و
روى ذلك عن ابى جعفر ع ايضا المعنى لما نهى الله سبحانه فيما تقدم عن عادات اهل الجاهلية فى امر اليتامى والاموال عقبها بالنهى
عن الاستنان بسنتهم فى النساء فقال يا ايها الذين امنوا اى ايها المؤمنون لا يحل لكم اى لا يسعكم فى دينكم ان ترثوا النساء اى نكاح
النساء كرها اى على كره منهن وقيل ليس لكم ان تحبسوهن على كره منهن طمعا فى ميراثهن وقيل ليس لكم ان تسيئوا صحبتهن ليفتدين بما لهن
او بما سقتم اليهن من مهرهن او ليمتن فترثوهن ولا تعضلوهن اى وان لا تحبسوهن وقيل ولا تمنعوهن عن النكاح لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
واختلف فى المعنى بهذا النهى على اربعة اقوال احدها انه الزوج امره الله سبحانه بتخلية سبيلها اذا لم يكن له فيها حاجة وان لا يمسكها اضرارا بها

حتى تفتدى ببعض مالها عن ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك وهو المروى عن ابى عبد الله ع وثانيها ان الوارث نهى عن منع المراة من التزويج كما كانت

تفعله اهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن وثالثها انه المطلق اى لا يمنع المطلقة من التزويج كما كانت تفعله قريش فى الجاهلية ينكح الرجل منهم المراة الشريفة

فاذا لم توافقه فارقها على ان لا تتزوج الا باذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فاذا خطبها خاطب فان ارضته اذن لها وان لم تعطه شيئا

عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد ورابعها انه الولى خوطب بان لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد والقول الاول اصح والظاهر الا ان يأتين

بفاحشة مبينة اى ظاهرة وقيل فيه قولان احدهما انه يعنى الا ان يزنين عن الحسن وابى قلابة والسدى وقالوا اذا اطلع منها على زنية

فله اخذ الفدية والاخر ان الفاحشة النشوز عن ابن عباس والاولى حمل الآية على كل معصية وهو المروى عن ابى جعفر ع واختاره الطبرى واختلف

فى هذه الاستثناء وهو قوله الا ان يأتين مما هو فقيل هو من اخذ المال وهو قول اهل التفسير وقيل كان هذا قبل الحدود وكان الاخذ منهن

على وجه العقوبة لهن ثم نسخ عن الاصم وقيل هو من الحبس والامساك على ما تقدم فى قوله فامسكوهن فى البيوت عن ابى على الجبائى وابى مسلم

الا ان ابا على قال انها منسوخ وابى ابو مسلم النسخ وعاشروهن بالمعروف اى خالقوهن من العشرة التى هى المصاحبة بما امركم الله به من اداء

حقوقهن التى هى النفقة فى القسم والنفقة والاجمال فى القول والفعل وقيل المعروف ان لا يضربها ولا يسئ القول فيها ويكون منبسط الوجه

معها وقيل هو ان يتصنع لها كما تتصنع له فان كرهتموهن اى ان كرهتم صحبتهن وامساكهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه اى فى ذلك الشئ

وهو امساكهن على كره منكم خيرا كثيرا من ولد يرزقكم او عطف لكم عليهن بعد الكراهية وبه قال ابن عباس ومجاهد وعلى هذا فيكون المعنى

ان كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا وفى هذا حث الازواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الازواج وترغيبهم

فى امساكهن مع كراهة صحبتهن اذا لم يخافوا فى ذلك من ضرر على النفس او الدين او المال ويحتمل ان يكون الهاء عائدا الى الذى يكرهونه اى

عسى ان يجعل الله فيما يكرهونه خيرا كثيرا والمعنى مثل الاول وقيل المعنى ويجعل الله فى فراقكم لهن خيرا عن الاصم قال ونظيره وان يتفرقا يغن

الله كلا من سعته قال القاضى وهذا بعيد لان الله سبحانه حث على الاستمرار على الصحبة فكيف يحث على المفارقة قوله تعالى وان اردتم

اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ

وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا • آيتان اللغة القنطار اصله مأخوذ من القنطرة ومنه القنطرة الداهية

لانها كالقنطرة فى عظم الصورة ويقال قنطر فى الامر يقنطر اذا اعظمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجة اليه والبهتان الكذب الذى يواجه به

صاحبه على وجه المكابرة له واصله التحير من قوله فبهت الذى كفر اى تحير لانقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه والافضاء

الى الشئ هو الوصول اليه بالملامسة واصله من الفضاء وهو السعة فضا يفضو فضوا اذا اتسع الاعراب بهتانا مصدر وضع موضع

الحال وكذلك قوله واثما المعنى أتأخذونه مباهتين وآثمين المعنى لما حث الله سبحانه على حسن مصاحبة النساء عند الامساك

عقبه ببيان حال الاستبدال فقال مخاطبا للازواج وان اردتم ايها الازواج استبدال زوج مكان زوج اى اقامة امراة مقام امراة

وآتيتم احداهن قنطارا اى اعطيتم المطلقة التى تستبدلون بها غيرها قنطارا اى مالا كثيرا على ما قيل فيه من انه ملء مسك ثور

ذهبا او انه دية الانسان او غير ذلك من الاقوال التى ذكرناها فى اول آل عمران فلا تأخذوا منه شيئا اى من المؤتى والمعطى شيئا اى لا

ترجعوا فيما اعطيتموهن من المهر اذا كرهتموهن واردتم طلاقهن أتأخذونه بهتانا هذا استفهام انكار اى أتأخذونه باطلا وظلما

كالظلم بالبهتان وقيل معناه أتأخذونه بانكار التمليك وسماه بهتانا لان الزوج اذا انكر تمليكه اياها بغير حق استوجب المعطى لها فى ظاهر

الحكم كان بهتانا وكذبا واثما مبينا اى ظاهرا لا شك فيه ومتى قيل فى الآية لم خص حال الاستبدال بالنهى عن الاخذ مع ان الاخذ محرم

مع عدم الاستبدال جوابه ان مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم مقام الاولى فيكون لها ما اخذت

الاولى فبين سبحانه ان ذلك لا يجوز وازال هذا الاشكال والمعنى ان اردتم تخلية المراة سواء استبدلتم مكانها اخرى ام لم تستبدلوا فلا

تأخذوا مما آتيتموها شيئا وكيف تأخذونه هذا تعجيب من الله تعالى وتعظيم اى عجبا من فعلكم كيف تأخذون ذلك منهن وقد افضى بعضكم

الى بعض وهو كناية عن الجماع عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقيل المراد به الخلوة الصحيحة وان لم يجامع فسمى الخلوة افضاء لوصوله بها

الى مكان الوطء وكلا القولين قد رواه اصحابنا وفى تفسير الكلبى عن ابن عباس ان الافضاء حصوله معها فى الخلوة واحدها جامعها او لم يجامعها

فقد

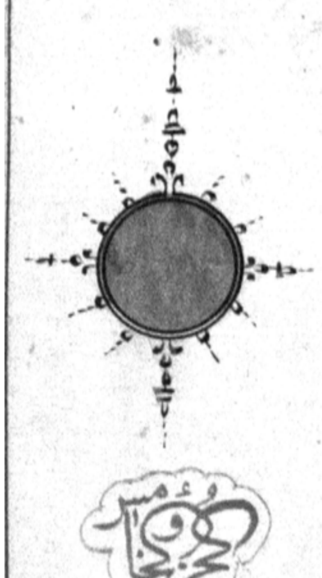
نقد وجب المهر فى الحالين واخذن منكم ميثاقا غليظا فيه اقوال احدها ان الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من
امساك بمعروف او تسريح باحسان عن الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدى وهو المروى عن ابى جعفر ع وثانيها ان المراد بكلمة
النكاح التى يستحل بها الفرج عن مجاهد وابن زيد وثالثها قول النبى صلى الله عليه وآله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عن
عكرمة والشعبى والربيع وقد قيل فى هاتين الآيتين ثلثة اقوال احدها انهما محكمتان غير منسوختين لكن للزوج ان يأخذ الفدية من المختلعة
لان النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون فى حكم المكره لا المختار للاستبدال ولا ينافى حكم الآيتين وحكم الآية الخلع لا يحتاج الى نسخها
بها وهو قول الاكثرين وثانيها انهما محكمتان وليس للزوج ان يأخذ من المختلعة شيء ولا من غيرها لاجل ظاهر الآية عن بكر بن عبد الله المزنى
والثالث ان حكمها منسوخ بقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به عن الحسن قوله تعالى ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا آية اللغة النكاح اسم يقع على العقد ومنه
وانكحوا الايامى ويقع على الوطى ومنه الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة اى لا يطأ بالحرام الا من تطاوعه ومنه ملعون من نكح يده ملعون من
نكح بهيمة قال الشاعر كمك سهى لذيذ النكاح وتفزع من صولة الناكح واصله الجمع ومنه انكحا الثرى فسترى والمقت بغض عن امر قبيح
يركبه صاحبه يقال مقت الرجل الى الناس مقاتة ومقته الناس يمقته مقتا فهو مقيت وممقوت ويقال ان ولد الرجل من امرأة ابيه
كان يسمى المقتى ومنهم الاشعث بن قيس وابو معيط جد الوليد بن عقبة الاعراب الا ما قد سلف استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء
الماضى من المستقبل ونظيره لا تبع من مالى الا ما بعت ولا تاكل الا ما اكلت ومنه لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى المعنى
لكن ما قد سلف فلا جناح عليكم وقال المبرد جايز ان يكون كان زايدة فى قوله انه كان فاحشة فالمعنى انه فاحشة وانشد فى ذلك
قول الشاعر فكيف اذا حللت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام قال الزجاج هذا غلط منه لانه لو كان كان زايدة لم يكن ينصب
جزءها والدليل عليه البيت الذى انشده وجيران لنا كانوا كرام ولم يقل كراما قال على بن عيسى انما دخلت كان ليدل على ان ذلك
قبل تلك الحال فاحشة ايضا كما دخلت فى قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقوله وساء سبيلا اى بئس طريقا كان ذلك الطريق
وسبيلا منصوب على التفسير هنا على ساء مضمر يفسره الظاهر والمخصوص بالذم محذوف النزول قيل نزلت فى ما كان يفعل فى اهل
الجاهلية من نكاح امراة الاب عن ابن عباس وقتادة وعكرمة وعطا وقالوا تزوج صفوان بن امية امرأة ابيه فاختة بنت الاسود
بن المطلب وتزوج حصين بن ابى قيس امراة ابيه كبيشة بنت معن وتزوج منظور بن زياد امرأة ابيه مليكة بنت خارجة قال
اشعث بن سوار توفى ابو قيس وكان من صالحى الانصار فخطب ابنه قيس امراة ابيه فقالت انى اعدك ولدا وانت من صالحى
قومك ولكنى اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأمره فاتته فاخبرته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله ارجعى الى بيتك فانزل
الله هذه الآية المعنى انه لما تقدم ذكر شرايط النكاح عقبه سبحانه بذكر من يحل من النساء ومن لا يحل فقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
اى لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم وقيل ما وطئ آباؤكم من النساء حرم عليكم ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امراة الاب عن
ابن عباس وعطا وقتادة وعكرمة وقيل ان تقديره لا تنكحوا نكاح آباؤكم اى مثل نكاح اباءكم فيكون ما نكح بمنزلة المصدر ويكون ما
حرفا موصولا فعلى هذا يكون النهى عن حلايل الاباء وكل نكاح كان لهم فاسد وهو اختيار الطبرى وفى الوجه الاول يكون ما اسما
موصولا يحتاج الى عايد من صلته اليه قال الطبرى ان الوجه الثانى اجود لانه لو اراد حلايل الآباء لقال لا تنكحوا من نكح اباؤكم وقد اجيب عن
ذلك بانه يجوز ان يكون ذهب به مذهب الجنس كما يقول القايل لا تأخذ ما اخذ ابوك من الاماء فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره
بمن الا ما قد سلف فانكم لا تأخذون به وقيل معناه الا ما قد سلف فدعوه فهو جايز لكم قال البلخى وهذا خلاف الاجماع وما علم من دين
رسول الله وقيل معناه لكن ما قد سلف فاجتنبوه ودعوه عن قطرب وقيل انما استثنى ما قد مضى ليعلم انه لم يكن مباحا لكم انه كان
فاحشة اى معصية محرمة قبيحة ويجوز ان يكون عايدا الى النكاح الذى كان عليه اهل الجاهلية اى انه كان فاحشة قبل هذا ولا
كذلك الا وقد قامت عليهم الحجة بتحريمه من قبل الرسل والاول اقوى وهذا اختيار الجبائى قال وتكون السلامة مما قد سلف
فى الاقلاع عنه بالتوبة والانابة قال البلخى وليس كل نكاح حرمه الله تعالى يكون زنا لان الزنا فعل مخصوص لا يجرى على طريقة لازمة

وسنة جارية ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية اولاد زنا ولا اولاد اهل الذمة والمعاهدين اولاد زنا اذ كان ذلك عقدا بينهم
متعارفونه وقوله وساء سبيلا اى بئس الطريق ذلك النكاح الفاسد وفي هذه الآية دلالة على ان كل من عقد عليها الاب من النساء يحرم على الابن
دخل بها الاب اولم يدخل وهذا اجماع فان دخل بها الاب على وجه السفاح فهل يحرم على الابن ففيه خلاف وعموم الآية يقتضى انه يحرم عليه
لان النكاح قد يعبر به عن الوطى وهو الاصل فيه كما يعبر به عن العقد فينبغي ان يحمل اللفظ في الآية على الامرين وامراة الاب وان علا تحرم
على الابن وان سفل بلا خلاف قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى في حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم
بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما
آية واحدة اللغة الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت بذلك لتربيته اياها فهي في المعنى مربوبة نحو قتيله في موضع مقتولة ١٥١
ويجوز ان يسمى ربيبة سواء تولى تربيتها اولم يتول سواء كانت في حجره اولم تكن لانه اذا تزوج بامها فهو رابها وهي ربيبة والعرب تسمى
الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه يقولون هذا مقتول وهذا ذبيح وان لم يقتل بعد وهذا ذبيح وان لم يذبح بعد اذا كان يراد ذبحه او قتله
وكذلك يقولون هذا اضحية لما اعد للتضحية وهذه قتوبة وحلوبة اى هي مما تقتب وتحلب وقد يقال لزوج المراة ربيب ابن امراته يعني رابه
كما يقال شهيد وخبير بمعنى شاهد وخابر والحلائل جمع حليلة هي بمعنى المحلة وهي مشتقة من الحلال والذكر حليل وجمعه احلة كعزيز واعزة
سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل له مباشرة صاحبه وقيل هو من الحلول لان كل واحد منهما يحال صاحبه اى يحل معه في الفراش المعنى
ثم بين سبحانه المحرمات من النساء فقال حرمت عليكم امهاتكم لا بد فيه من محذوف لان التحريم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بافعال
المكلف ثم يختلف باختلاف ما اضيف اليه فاذا اضيف الى مأكول نحو قوله حرمت عليكم الميتة والدم فالمراد الاكل واذا اضيف الى النساء
فالمراد العقد فالتقدير حرم عليكم نكاح امهاتكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لدلالة مفهوم الكلام عليه وكل امراة رجع
نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث رجع نسبها اليك او مذكور فهي بنتك واخواتكم هو جمع الاخت وكل انثى ولدها شخص ولدك
في الدرجة الاولى فهي اختك وعماتكم هي جمع العمة وكل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الام مثل اخت ابي
امك واخت ابي امك فصاعدا وخالاتكم هي جمع الخالة وكل انثى رجع نسبك اليها بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة
الاب مثل اخت ام ابيك واخت جدة ابيك فصاعدا واذا خاطب سبحانه المكلفين بلفظ الجمع بقوله حرمت عليكم ثم اضاف المحرمات
بعده اليهم بلفظ الجمع فالاحاد يقع بازاء الاحاد فكانه سبحانه قال حرم على كل واحد منكم نكاح امه او من يقع عليها اسم وتكاح بنته
ومن يقع عليها اسم البنت وكذلك الجميع وبنات الاخ وبنات الاخت فهذا ايضا على ما ذكرناه جمع بازاء جمع فيقع الاحاد بازاء الاحاد
والتحديد في هؤلاء كالتحديد في بنات الصلب وهؤلاء السبع هي المحرمات بالنسب وقد صح عن ابن عباس انه قال حرم الله سبحانه
من النساء سبعا بالنسب وسبعا بالسبب وتلا الآية ثم قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ثم ذكر سبحانه المحرمات
بالسبب فقال وامهاتكم اللاتى ارضعنكم سماهن امهات للحرمة وكل انثى انتسب اليها باللبن فهي امك التي ارضعتك او ارضعت امراة
ارضعتك او رجلا ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولده فهي امك من الرضاعة وكذلك كل امراة ولدت امراة ارضعتك فهي امك
من الرضاعة واخواتكم من الرضاعة يعني بنات المرضعة وهن ثلث الصغيرة الاجنبية التي ارضعتها امك بلبان ابيك سواء ارضعتها
معك او مع ولد قبلك او بعدك والثانية اختك لامك دون ابيك وهي التي ارضعتها امك بلبان رجل آخر غير ابيك والثالثة
اختك لابيك دون امك وهي التي ارضعتها معك او مع ولد قبلك او بعدك زوجة ابيك بلبن ابيك وام الرضاعة واخت
الرضاعة لولا الرضاعة لم تحرما فان الرضاعة سبب تحريمهما وكل من تحرم بالنسب من اللاتى مضى ذكرهن يحرم امثالهن بالرضاع
بقول النبي صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل حرم من الرضاعة ما حرم من النسب فثبت بهذا الخبر ان السبع المحرمات بالنسب على
التفصيل الذي ذكره الله تعالى محرمات بالرضاع والكلام في الرضاع يشتمل على ثلثة فصول احدها مدة الرضاع حولان ونصف وقال
مالك حولان وشهر واتفقوا على ان رضاع الكبير لا يحرم وثانيها قدر الرضاع واختلف فيه ايضا فقال ابو حنيفة ان قليله وكثيره

من جهة ابيك او من جهة امك باناث يرجع اليها او بذكور
فهى امك وبناتكم اى ونكاح بناتكم وكل امراة رجع نسبها
اليك بالولادة صح

يحرم

يحرم وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالك والاوزاعى وقال الشافعى انما يحرم خمس رضعات وبه قالت عايشة وسعيد
بن جبير وقال اصحابنا رح لا يحرم الا ما انبت اللحم وانشر العظم وانما يعتبر ذلك برضاع يوم وليلة لا يفصل بينه برضاع امراة اخرى او بخمس عشرة
رضعة متواليات لا يفصل بينها برضاع امراة اخرى وقال بعض اصحابنا المحرم عشر رضعات متواليات وثالثها كيفية الرضاع فعند اصحابنا
لا يحرم الا ما وصل الى الجوف من الثدى فى المجرى هو الغم فاما يوجر او سعط او يحقن به فلا يحرم بحال ولبن الميتة لا حرمة له فى التحريم وفى جميع
ذلك خلاف وقوله وامهات نسائكم اى وحرم عليكم نكاحهن وهذا يتضمن تحريم نكاح امهات الزوجات وجداتهن قربن ام بعدن من اى وجه
كن سواء كن من النسب او من الرضاع وهن يحرمن بنفس العقد على البنت سواء دخل بالبنت نسائكم ولم يدخل لان الله تعالى اطلق التحريم
ولم يقيده بالدخول وربائبكم يعنى بنات نسائكم من غيركم اللاتى فى حجوركم وهو جمع حجر الانسان والمعنى فى ضمانكم وتربيتكم يقال فلان فى
حجر فلان اى فى تربيته ولا خلاف بين العلماء ان كونهن فى حجره ليس بشرط فى التحريم وانما ذكر ذلك لان الغالب انها تكون كذلك وهذا يقتضى
تحريم بنت المراة من غير زوجها على زوجها وتحريم بنت ابنها وبنت بنتها قربت ام بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن من نسائكم اللاتى دخلتم بهن
وهذه نعت لامهات الربائب لا غير لحصول الاجماع على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل بامها قال المبرد ان يكون قوله من نسائكم اللاتى دخلتم
بهن نعت للنساء اللواتى هن امهات الربائب لا غير والدليل على ذلك اجماع الناس على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل بامها ومن اجاز ان يكون قوله
من نسائكم اللاتى دخلتم بهن هو لامهات نسائكم فيكون المعنى وامهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ويخرج ان تكون اللاتى دخلتم بهن
لامهات الربائب قال الزجاج والدليل على صحة ذلك ان الخبرين اذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز النحويون وهربت من نساء زيد الظريفات
على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء وروى العياشى فى تفسيره باسناده عن اسحق بن عمار عن جعفر بن محمد عم عن ابيه
قال ان عليا عليه السلم كان يقول الربائب عليكم حرام من الامهات اللاتى قد دخلتم بهن فى الحجور او فى غير الحجور والامهات مبهمات دخل بالبنات
او لم يدخل بهن فحرموا ما حرم وابهموا ما ابهم الله واختلف فى معنى الدخول على قولين احدهما ان المراد به الجماع عن ابن عباس والاخر انه الجماع
وما يجرى مجراه من المسيس والتجريد عن عطا وهو مذهبنا وفى ذلك خلاف بين الفقهاء فان لم تكونوا دخلتم بهن يعنى بام الربيبة فلا جناح
عليكم اى لا اثم عليكم فى نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او متن وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم اى وحرم عليكم نكاح ازواج ابنائكم ثم ازال
الشبهة فى امر زوجة المتبنى به فقال الذين من اصلابكم لئلا يظن زوجة المتبنى به تحرم على المتبنى وروى عن عطا ان هذه نزلت حين نكح النبى
امراة زيد بن حارثة فقال المشركون فى ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله وما جعل ادعياءكم ابنائكم وما كان محمد ابا احد
من رجالكم واما حلائل الابناء من الرضاع فمحرمات ايضا بقوله عليه السلم ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب وان تجمعوا بين
الاختين لان ان مع صلتها فى حكم المصدر وهذا يقتضى تحريم الجمع بين الاختين فى العقد على الحراير وتحريم الجمع بينهما فى الوطى بملك
اليمين فاذا وطى احديهما فقد حرمت عليه الاخرى حتى تخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء الا ما قد سلف استثناء
منقطع ومعناه لكن ما قد سلف لا يؤاخذكم الله به وليس المراد به ان ما سلف حال النهى يجوز استدامته بلا خلاف وقيل معناه الا ما كان
من يعقوب اذ جمع بين الاختين لساام يهودا وراحيل ام يوسف عن عطا والسدى ان الله كان غفورا رحيما لا يؤاخذكم الله بحكم ما قد سلف
من هذه الانكحة قبل نزول التحريم وكل ما حرم الله سبحانه فى هذه الآية فانما هو على وجه التابيد سواء كن مجتمعات او متفردات الا الاختين
فانهما تحرمان على وجه الجمع دون الانفراد ويمكن ان يستدل بهذه الآية على ان هؤلاء المحرمات من ذوات الانساب لا يصح ان تملك واحدة
منهن لان التحريم عام والمحرمات بالنسب او السبب على وجه التابيد يسمون مبهمات لانهن يحرمن جميع الجهات وهى ماخوذة من
البهيمة التى لا يخالط معظم لونه لون آخر يقال فرس بهيم لا شية له ان الله كان غفورا يغفر الذنوب رحيما يرحم العباد المؤمنين قوله تعالى
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا آية القراءة
قرا الكسائى وحده والمحصنات ومحصنات فى سائر القرآن بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فانه فتح الصاد
فيه وقرا الباقون بفتح الصاد فى كل القرآن وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر وابو جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرا الباقون بفتح الهمزة والحاء الحجة



جزو خامس

ووقع الاتفاق على فتح الصاد من قوله والمحصنات فى هذه الآية ومعناها النساء اللاتى احصن بالازواج والاحصان يقع على الحرية يدل عليه قوله
الذين يرمون المحصنات الآية يعنى الحراير لان من قذف غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع ايضا على العفة يدل عليه قوله ومريم بنت عمران التى احصنت
فرجها وقد فسر قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات بالعفايف ويقع على التزوج كما فى الآية ويقع على الاسلام كما فسر من قرا فاذا احصن
بفتح الهمزة باسلمن واصل الجميع المنع لان الحرية تمنع عن امتهان الرق والعفة حظر النفس عما حظره الشرع والتزوج فى المراة يحظر حظرها التى
كانت مباحة قبل ويمنع تصديها للتزوج والاسلام يحظر الدم والمال اللذين كانا مباحين قبل الاسلام ومن قرا واحل لكم ما وراء ذلكم قال
بناء الفعل للفاعل اشبه بما قبله لان معنى كتاب الله عليكم كتب الله عليكم كتابا والله احل لكم ومن قرا واحل لكم قال انه فى المعنى يؤل الى
الاول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله حرمت عليكم اللغة قال الازهرى يقال للرجل اذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج اذا
اعدم واسهب فهو مسهب اذا اكثر الكلام وكلام العرب كله على افعل فهو مفعل وقال سيبويه حصنت المراة حصنا فهى حصان مثل
جبن جبنا فهو جبان وقد قالوا احصنا كما قالوا علما والحصان الفحل من الافراس واحصن الرجل امرأته واحصنت المراة فرجها من الفجور المسافحة
والسفاح الزناء اصله من السفح وهو صب الماء لانه يصب الماء باطلا وسفح الجبل اسفله لانه يصب الماء منه قال الزجاج المسافحة والمسافح
الزانيان لا يمتنعان من احد فاذا كانت تزنى بواحد فهى ذات خدن الاعراب كتاب الله نصب على المصدر من فعل محذوف واصله
كتب الله كتابا عليكم ثم اضمر الفعل لدلالة ما تقدم من الكلام عليه وهو قوله حرمت عليكم فانه يدل على ان ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقى كتاب الله
عليكم ثم اضيف المصدر الى الفاعل كما اضيف الى المفعول فى قولهم ضرب زيد ومثل ذلك قوله تعالى صنع الله وعلى ذلك قول الشاعر
ما ان تمس الارض الا جانب منه وحرف الساق طي المحمل لان ما فى البيت على انه طيان فكان تقديره طوى طى المحمل وقال الزجاج يجوز
ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز ان يكون منصوبا بعليكم لان عليك لا يجوز تقديم منصوبه
وقوله ما وراء ذلكم ما اسم موصول فى موضع نصب بانه مفعول على قراءة من قرا واحل لكم بفتح الهمزة ومن قرا واحل بالضم فمحله رفع ويجوز
ان يكون محل ان تبتغوا نصبا على البدل من ما ان كان منصوب الموضع او رفعا ان كان محله رفعا ويجوز ان يكون على حذف اللام
من لان تبتغوا على اطراد اشاله فيما مضى فيكون مفعولا له محصنين نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا غير مسافحين صفة لمحصنين
وفريضة نصب على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا فى موضع الحال اى مفروضة المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من
المحرمات فقال والمحصنات اى وحرمت عليكم اللاتى احصن من النساء واختلف فى معناه على اقوال احدها ان المراد به ذوات
الازواج الا ما ملكت ايمانكم من سبى من كان لها زوج عن على عم وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهرى واستدل بعضهم
على ذلك بخبر ابى سعيد الخدرى ان الآية نزلت فى سبى اوطاس وان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان لهن ازواج فى دار
الحرب فلما نزلت نادى منادى رسول الله الا لا توطى الحبالى حتى يضعن ولا الحبالى حتى يستبرين بحيضة ومن خالف فيه ضعف فى
الخبر بان سبى اوطاس كانوا عبدة الاوثان ولم يدخلوا فى الاسلام ولا يحل نكاح الوثنية واجيب عن ذلك بان الخبر محمول على ما بعد
الاسلام وثانيها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم ممن كان لها زوج لان بيعها طلاقها عن ابى بن كعب وجابر بن
عبد الله وانس وابن المسيب والحسن وقال ابن عباس طلاق الامة ست بستة اشياء سبيها وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها
وطلاق زوجها وهو الظاهر من روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ليس طلاق الامة بيعها بل طلاقها
كطلاق الحرة وانما هو فى النبى خاصة لان النبى صلى الله عليه وآله خير بريرة بعد ما اعتقها عايشة ولو بانت بالعتق لم يصح خيرها فقال
الاولون ان زوج بريرة كان عبدا ولو كان حرا لم يخيرها النبى صلى الله عليه وآله وثالثها ان المراد بالمحصنات العفايف الا ما ملكت
ايمانكم بالنكاح او بالثمن ملك استمتاع بالمهر والنسيه او ملك استخدام بالثمن عن ابى العاليه وسعيد بن جبير وعطا والسدى
كتاب الله عليكم يعنى كتب الله ما حرم وتحليل ما حلل عليكم كتابا فلا تخالفوه وتمسكوا به وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم
قيل فى معناه اربعة اقوال احدها احل لكم ما وراء ذات المحارم من اقاربكم عن عطا وثانيها ان معناه احل لكم ما دون الخمس وهى
الاربع فما دونها ان تبتغوا باموالكم على وجه النكاح عن السدى وثالثها ما وراء ذلكم مما ملكت ايمانكم عن قتادة ورابعها احل لكم ما

ورآء ذوات المحارم والزيادة على الاربع ان تبتغوا ان تطلبوا او تلتمسوا باموالكم اما شراء بثمن او نكاحا بصداق عن ابن عباس محصنين غير
مسافحين اى متزوجين غير زانين وقيل معناه اعفه غير زناة وقوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة قال المراد بالاستمتاع
هنالك درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن زيد فمعناه على هذا فما انتفعتم وتلذذتم من النساء
فآتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين الى اجل معلوم عن ابن عباس والسدى وسعيد بن جبير و
جماعة من التابعين وهو مذهب اصحابنا الامامية وهو الواضح لان لفظ الاستمتاع والتمتع وان كان فى الاصل واقعا على الانتفاع
والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لاسيما اذا اضيف الى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى عقدتم عليهن
هذا العقد المسمى متعه فآتوهن ويدل على ذلك ان الله سبحانه علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضى ان يكون معناه هذا
هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لان المهر لايجب الا به هذا وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم ابى بن كعب وعبدالله بن
عباس وعبدالله بن مسعود رض انهم قرؤوا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وفى ذلك تصريح بان المراد به عقد
المتعه وقد اورد الثعلبى فى تفسيره عن حبيب بن ابى ثابت قال اعطانى ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة ابى فرايت فى المصحف
فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن ابى نضرة قال سالت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرا سورة النساء فقلت بلى قال
فما تقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى قلت لا اقرؤها هكذا قال ابن عباس والله هكذا انزلها الله عز وجل ثلث مرات وباسناده عن سعيد بن
جبير انه قرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سالته عن هذه الاية فما استمتعتم به منهن منسوخة
هى قال لا قال على بن ابى طالب لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقى وباسناده عن عمران بن حصين قال نزلت آية المتعة فى كتاب الله عز
وجل ولم تنزل اية بعدها تنسخها فامرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله فتمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومات ولم ينهنا
عنها فقال رجل بعد برايه ما شاء ومما اورده مسلم بن حجاج فى الصحيح حدثنا الحسن الحلوانى قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج
قال عطاء قدم جابر بن عبدالله معتمرا فجئناه فى منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعه فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وآله وابى بكر وعمر ومما يدل ايضا على ان لفظ الاستمتاع فى الاية لا يجوز ان يكون المراد به الانتفاع والجماع انه لو كان كذلك لوجب ان لا
يلزم شئ من المهر من لا ينتفع من المراة بشئ وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الدايم لوجب
للمراة بحكم الاية جميع المهر بنفس العقد لانه قال فآتوهن اجورهن اى مهورهن ولا خلاف فى ذلك غير واجب وانما يجب الاجر بكماله
بنفس العقد فى نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به فى هذه المسئلة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب انه قال متعتان كانتا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله حلالا انا انهى عنهما واعاقب عليهما فاخبر بان هذه المتعة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
واضاف النهى عنها الى نفسه لضرب من الرأى فلو كان النبى صلى الله عليه وآله نسخها او نهى عنها واباحها فى وقت مخصوص دون غيره
لاضاف التحريم اليه دون نفسه وايضا فانه قرن بين متعة الحج ومتعه النساء فى النهى ولا خلاف ان متعه الحج غير منسوخة ولا
محرمة فوجب ان يكون حكم متعة النساء حكمها وقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من قال ان المراد بالاستمتاع
الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا اثم عليكم فيما تراضيتم بينهن زيادة مهر او نقصانه او حط او ابراء او تاخير وقال السدى
معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم من استيناف عقد آخر بعد انقضاء مدة المضروب فى عقد المتعة يزيد الرجل فى الاجر وتزيده
فى المدة وهذا قول الامامية وتظاهرت به الروايات عن ايمتهم عليه السلم ان الله كان عليما بما يصلح امر الخلق حكيما فيما فرض لهم من
عقد النكاح الذى تحفظ الاموال والانساب قوله تعالى وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ
وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية القراءة
قرا اهل الكوفة غير حفص فاذا احصن مفتوحة الهمزة والباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد اللغه الطول الغنا وهو ماخوذ من الطول
خلاف القصر شبه الغنى به لانه ينال به معالى الامور والتطول الافضال بالمال والتطاول على الناس التفضل عليهم وكذلك الاستطالة

خمس

وطال فلان فلانا اذا فضل فی القدرة یقال تطاولنه فطلبه ولم یحل منه فلان بطایل ای بشئ من ای فضل وطالت طولك وطیلك ای طالت
مدتك قال الشاعر انا محیوك فاسلم ایها الطلل وان بلیت وان طالت بك الطیل والطول الحبل قال طرفه لعمرك ان الموت ما اخطا
الفتی کالطول المرخی وسناه بالید والفتی الشاب والفتاه الشابه والفتاة الامة وان کانت عجوزا لانها کالصغیرة فی انها لا توقر توقیرا
الحرة والفتوة حالة الحداثه ومنه الفتیا یقول افتی الفقیه فتی لانه فی مسئلة حادثه والخدن الصدیق وجمعه اخدان نحو ترب واتراب
ویستوی فیه المذکر والمؤنث والواحد والجمع والخدین بمعناه والعنت الجهد والشدة والکه غیوب صعبة المرتقی قال المبرد العنت
الهلاك هاهنا المعنی ثم بین سبحانه نکاح الاماء فقال ومن لم یستطع منکم طولا ای من لم یجد منکم غنی عن ابن عباس وسعید بن
جبیر ومجاهد وقتادة والسدی وهو المروی عن ابی جعفر علیه السلم ان ینکح ای یتزوج المحصنات ای الحرایر المسلمات المؤمنات یعنی لم یقدر علی شئ
مما یصلح لنکاح الحرایر من المهر والنفقه فمما ملکت ایمانکم فلینکح مما ملکت من فتیاتکم ای امائکم المؤمنات فان یهون الاماء واقل ومؤنتهن
اخف فی العادة والمراد به اماء الغیر لانه لا یجوز ان یتزوج الرجل بامة نفسه بالاجماع وقیل ان المعنی من هوی الامة فله ان یتزوجها وان
کان ذا یسار عن جابر وعطا وابرهیم وربیعه والقول الاول هو الصحیح وعلیه اکثر الفقهاء وفی الآیة دلالة علی ان لا یجوز نکاح الامة الکتابیة
لانه تعالی قید جواز العقد علیهن بالایمان بقوله تعالی من فتیاتکم المؤمنات وهذا مذهب مالك والشافعی والله اعلم بایمانکم اراد بهذا
عزاسمه بیان انه لم یؤخذ علینا الا ان ماخذ فالظاهر فی هذا الحکم اذ لا سبیل لنا الی الوقوف علی حقیقة الایمان والله سبحانه هو المنفرد بعلم
ذلك ولا یطلع علیه غیره فان العالم بالسرایر المطلع علی الضمایر بعضکم من بعض قیل فیه قولان احدهما ان المراد به کلکم ولد ادم فلا
یستنکفوا من نکاح الاماء فانهن من جنسکم کالحرایر والاخر ان معناه کلکم علی الایمان ودینکم واحد فلا ینبغی ان یعیر بعضکم بعضا فانه
نهی سبحانه عن عادة اهل الجاهلیة فی الطعن والتعیب بالاماء فانکحوهن یعنی الفتیات المؤمنات ای تزوجوهن باذن اهلهن ای مالکهن
سادتهن وموالیهن وفی هذا دلالة علی انه لا یجوز نکاح الامة بغیر اذن مالکها واتوهن اجورهن ای اعطوا مالکهن مهورهن بالمعروف
ای بما لا ینکر فی الشرع وهو ما تراضی علیه الاسلمون ووقع علیه العقد وقیل معناه من غیر مطل وضرار محصنات ای عفایف مرید
تزوجهن عفایف غیر مسافحات ای زوانی وقیل معناه متزوجات غیر زانیات وقد قری محصنات ومحصنات بفتح الصاد وکسرها
علی ما مر ذکره فی الآیة الاولی ولا متخذات اخدان ای اخلاء فی السر لان الرجل منهم کان یتخذ صدیقه فیزنی بها والمراة تتخذ صدیقا
فتزنی به وروی عن ابن عباس انه کان یوم فی الجاهلیة یحرمون ما ظهر من الزنا ویستحلون ما خفی منه فنهی الله سبحانه عن الزنا
سرا وجهرا فعلی هذا یکون المراد بقوله غیر مسافحات ولا متخذات اخدان غیر زانیات جهرا ولا سرا فاذا احصن من قرا بضم الهمزة فمعناها اذا
زوجن فاحصنهن ازواجهن وهو معنی تزوجن عن ابن عباس وسعید بن جبیر ومجاهد وقتادة ومن قرا بالفتح فمعناه اسلمن عن عمر بن
الخطاب وابن مسعود وابراهیم والشعبی والسدی وقال الحسن یحصنها الزوج ویحصنها الاسلام فان اتین بفاحشة فان زنین
فعلیهن نصف ما علی المحصنات من العذاب ای نصف ما علی الحرایر من حد الزنا وهو خمسون جلدة نصف حد الحرة ذلك اشارة
الی نکاح الامة عند عدم الطول لمن خشی العنت منکم یعنی الزنا وهو ان یخاف ان یحمله شدة الشبق علی الزنا فیلقی الحد فی الدنیا
او العذاب وعلیه اکثر المفسرین وقیل معناه لمن یخاف ان یهواها ویزنی بها وقیل معنی العیب الضرر الشدید فی الدین او الدنیا لغلبة
الشهوة والاول اصح وان تصبروا خیر لکم معناه وصبرکم عن نکاح الاماء وعن الزنا خیر لکم وان تصبروا مبتداء وخیر خبره والله غفور
رحیم لذنوب عباده رحیم بهم وفایدته ان لم یصبر عامر بالصبر عنه ثم تاب غفر الله ورحمه واستدلت الخوارج بهذه الآیة علی بطلان
الرجم قالوا ان الرجم لا یمکن تبعیضه وقال سبحانه فعلیهن نصف ما علی المحصنات من العذاب فعلمنا ان الرجم لا اصل له والجواب
عن ذلك اذا کان المراد بالمحصنات الحرایر سقط القول ویدل علی ذلك قوله سبحانه فی اول الآیة ومن یستطع منکم طولا ان ینکح
المحصنات المؤمنات ولا شك انه اراد به الحرایر والعفایف لان اللاتی لهن ازواج لا یمکن العقد علیهن علی ان فی الناس من قال
ان المحصنات هنا المراد بها الحرایر دون العفایف لانه لو کان مختصا بالعفایف لما جاز علی غیرهن ومعلوم ان ذلك جایز هذا والرجم
اجمعت الامة علی انه من احکام الشرع ولتواتر المسلمون بان النبی ع رجم ماعز بن مالك الاسلمی ورجم یهودیا ویهودیة ولم یختلف

فیه

نيه الفقهاء من عهد الصحابة الى يومنا هذا الخلاف للخوارج فى ذلك شاذ عن الاجماع فلا يعتد به قوله تعالى يريد الله ليبين لكم
ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ثلثه آيات الاعراب ذكر فى اللام من قوله ليبين لكم ثلثة اقوال احدها ان
معناه ان وان يأتى مع امرت واردت لانها بطل الاستقبال فلا يجوز اردت ان قمت فلما كانت ان فى سائر الافعال فطلب الاستقبال
استوثقوا باللام وربما جمعوا بين اللامين وكى لتاكيد الاستقبال قال الشاعر اردت لكيما لا ترى لى عثرة ومن ذى الذى يعطى الكمال فيكمل
وهذا قول الكسائى والفراء وانكر الزجاج فانشد اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود والثانى ان اللام دخلت هنا على
تقدير المصدر اى لارادة البيان نحو قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون اى ان كانت عبارتكم للرؤيا وكذلك قوله والذين هم لربهم يرهبون اى هم
رهبتهم لربهم قال كثير اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لى ليلى بكل سبيل والقول الثالث ان بعض النحويين ضعف هذين الوجهين ان
جعل اللام بمعنى ان لم يقم به حجة قاطعة وحمله على المصدر يقتضى جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز فى
التقديم والتاخير نحو لزيد ضربت فللرؤيا تعبرون لان عمل الفعل فى التقديم يضعف كعمل المصدر فى التاخير ولذلك لم يجز الا فى المتصرف
فاما ردف لكم فعلى تاويل ردف ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وامرنا لنسلم اى امرنا بما امرنا لنسلم وهذه الاقوال
كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه ان مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله لتبصركم ليبين لكم المعنى ثم بين سبحانه بعد التحليل
والتحريم انه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال سبحانه يريد الله ما يريده ليبين لكم احكام دينكم ودنياكم وامور معاشكم ومعادكم و
يهديكم سنن الذين من قبلكم فيه قولان احدهما يهديكم الطريق الذين كانوا من قبلكم من اهل الحق لتكونوا معتدين بهم متبعين آثارهم
لما لكم فيه من المصلحة والاخر سنن الذين من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرائقهم ويتوب
عليكم اى ويقبل توبتكم وقيل يريد التوبة عليكم بالدعاء اليها والحث عليها وتيسير السبيل اليها وفى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة
لانه سبحانه بين انه لا يريد الا الخير والصلاح والله عليم حكيم مر تفسيره والله يريد ان يتوب عليكم اى يلطف فى توبتكم ان وقع منكم ذلك
وقيل يريد ان يوفقكم لها ويقوى دواعيكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات فيه اقوال احدها ان المعنى بذلك جميع المبطلين فان
كل مبطل متبع شهوة نفسه فى باطله عن ابن زيد وثانيها ان المراد بذلك الزناة عن مجاهد وثالثها انهم اليهود والنصارى عن السدى ورابعها
انهم اليهود خاصة اذ قالوا ان الاخت من الاب حلال فى التورية والقول الاول اقرب ان تميلوا ميلا عظيما اى تعدلوا عن الاستقامة
عدولا بينا بالاستكثار من المعصية وذلك ان الاستقامة هى المؤدية الى الثواب والفوز من العقاب والميل عنها يؤدى الى الهلاك واستحقاق
الثواب واذا قيل لم كرر قوله سبحانه يتوب عليكم فجوابه للتاكيد وايضا فان فى الاول بيان انه يريد الهداية والانابة وفى الثانى بيان ارادته
خلاف ارادة اصحاب الاهواء وايضا انه اتى فى الثانى بان الاول لا يعلم انه يريد ليتوب او لا يريد ان يتوب وانما قال سبحانه ميلا عظيما لان
العاصى تأنس بالعاصى كما يأنس المطيع بالمطيع ويسكن الشكل الى الشكل ويألف به ولان العاصى يريد مشاركة الناس اياه فى المعصية
ليسلم عن ذمهم وتوبيخهم ونظيره قوله سبحانه ودوا لو تدهن فيدهنون ودوا لو تكفرون كما كفروا وفى المثل من احرق كدسه تمنى
احراق كدس غيره على ذلك حث القلوب يريد الله ان يخفف عنكم بمعنى فى التكليف فى امر النساء والنكاح باباحة نكاح الاماء عن مجاهد
وطاوس ويجوز ان يريد التخفيف بقبول التوبة والتوفيق لها ويجوز ان يريد التخفيف فى التكليف على العموم وذلك انه سبحانه خفف
عن هذه الامة ما لم يخفف عن غيرها من الامم الماضية وخلق الانسان ضعيفا فى امر النساء وقلة الصبر وقيل خلق الانسان ضعيفا
يميله هواه وشهوته ويستطيشه خوفه وحزنه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا آيتان القراءة
قراءة اهل الكوفة تجارة نصبا والباقون بالرفع الحجة قال ابو على رفع فتقديره الا ان يقع تجارة فالاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض
ليس من اكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتمل ضربين احدهما الا ان تكون التجارة عن تراض ومثل ذلك قول الشاعر اذا كان
يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما والاخر الا ان تكون الاموال اموال تجارة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فالاستثناء على

عشر

اقام م

هذا الوجه ايضا منقطع المعنى لما بين سبحانه تحريم النساء على غير الوجوه المشروعة عقبه بتحريم الاموال في الوجوه الباطلة فقال
يا ايها الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله لا تاكلوا اموالكم بينكم ذكر الاكل واراد سائر التصرفات وانما خص الاكل لانه معظم المنافع وقيل
انه لا يطلق على وجوه الانفاقات اسم الاكل يقال اكل ماله بالباطل وان انفقه في غير الاكل ومعناه لا ياكل بعضكم اموال بعض وفي قوله
بالباطل قولان احدهما الربوا والقمار والبخس والظلم عن السدى وهو المروى عن الباقر ع والاخر ان معناه بغير استحقاق من طريق الاعواض
عن الحسن قال فكان الرجل يتحرج ان ياكل عند احد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية الى ان نسخ ذلك بقوله في سورة النور ليس عليكم
جناح ان تاكلوا من بيوتكم الى قوله ان تاكلوا جميعا او اشتاتا والاول هو الاقوى لان ما اكل على وجه مكارم الاخلاق لا يكون اكلا
باطلا وثالثها ان معناه اخذه من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل الا ان تكون تجارة اى مبايعة ثم وصف التجارة وقال عن تراض منكم اى يرضى
كل واحد منكما بذلك وقيل في معنى التراضي في التجارة قولان احدهما انه امضاء البيع بالتفرق والتخاير بعد العقد وهو قول شريح والشعبي
وابن سيرين ومذهب الشافعي والامامية لقوله ع البيعان بالخيار ما لم يتفرقا او يكون بيع خيار وربما قال او يقول احدهما للاخر اختر
والثاني انه البيع بالعقد فقط عن مالك وابي حنيفة ولا تقتلوا انفسكم اربعة اقوال احدها ان معناه لا يقتل بعضكم بعضا لانكم اهل دين
واحد انتم كنفس واحدة كقوله سلموا على انفسكم عن الحسن وعطا والسدى والجبائي وثانيها انه نهى الانسان عن قتل نفسه في حال غضب
او ضجر عن ابي القسم البلخي وثالثها ان معناه لا تقتلوا انفسكم بان تهلكوها بارتكاب الآثام والعدوان في اكل المال بالباطل وغيره من
المعاصي التي تستحقون بها العذاب ورابعها ما روى عن ابي عبد الله عليه السلم ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا
يطيقونه ان الله كان بكم رحيما اى لم يزل سبحانه كان بكم رحيما ومن رحمته ان حرم عليكم قتل الانفس وافساد الاموال ومن يفعل ذلك
قيل ان ذلك اشارة الى اكل الاموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل اشارة الى المحرمات في هذه السورة من قوله يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وقيل اشارة الى فعل كل ما نهى الله عنه من اول السورة وقيل الى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطا عدوانا
وظلما قيل هما واحد اتى بهما لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر والفى قولها كذبا ومينا وقيل العدوان تجاوز ما امر به والظلم ان ياخذه
على غير وجه الاستحقاق وقيل انما قيده سبحانه بالعدوان والظلم لانه اراد به المستحلين فسوف نصليه نارا اى نجعله صلاء نار
ونحرقه بها ولو كان ذلك اى ادخاله النار وتعذيبه فيها على الله سبحانه يسيرا هينا لا يمنعه مانع ولا يدفعه عنه دافع ولا يشفع عنده الا باذنه
قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما • آية القراءة قرا ابو جعفر ونافع مدخلا كريما
مفتوحة الميم وقرا الباقون مدخلا بالضم الحجة قال ابو علي من قرا مدخلا يحتمل ان يكون مصدرا ويحتمل ان يكون مكانا فان حمله
على ذلك المصدر اضمرت له فعلا دل عليه الفعل المذكور وتقديره يدخلكم فتدخلون مدخلا وان حمله على المكان فتقديره يدخلكم
مكانا كريما وهذا اشبه هنا لان المكان قد وصف بالكريم في قوله سبحانه في مقام كريم ومن قرا مدخلا فيجوز فيه ايضا ان يكون مكانا
وان يكون مصدرا اللغة الاجتناب المباعدة عن الشيء وتركه جانبا ومنه الاجنبي ويقال ها هنا فلان الا عن جنابة اى عن
بعد قال علقمة بن عبد الرحمن فلا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب وقال الاعشى اتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان
حريث عن عطائي جاملا والتكفير اصله الستر المعنى قدم سبحانه ذكر السيئات عقبه بالترغيب في اجتنابها فقال ان تجتنبوا اى تتركوا
جانبا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اختلف في معنى الكبيرة فقيل كل ما اوعد الله عز الله عليه في الآخرة عقابا واوجب فيه في
الدنيا حدا فهو كبيرة وهو المروى عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبير عن ابن عباس والى هذا ذهب اصحابنا
رضي الله عنهم فانهم قالوا المعاصي كلها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وانما يكون
صغيرا بالاضافة الى ما هو اكبر ويستحق العقاب عليه اكثر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه
ثم ان العقاب اللازم عليه يتحبط بالاتفاق بينهم وهل يحبط مثله من ثواب صاحبه فعند ابي هاشم ومن يقول بالموازنة يحبط وعند ابي علي
الجبائي لا يحبط بل يسقط الاقل ويبقى الاكثر بحاله والكبيرة عندهم ما كبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا ولا يعرف شيء من الصغائر ولا
معصية الا ويجوز ان يكون كبيرة فان في تعريف الصغائر اغراء بالمعصية لانه اذا علم المكلف لا ضرر عليه في فعلها ودعته الشهوة اليها فعلها